


- الإبراهيمي فى قلب المعركة!
- حدود الواقعي والمتخيل
- الساعات الحيوية عند الكائنات الحية
- المعجم المعاصر والتكنولوجيا الحديثة
- السواك في معامل البحث

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

**المركز الرئيسي:**

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

**سعر النسخة:**

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

**الاشتراكات:**

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



# مما قل

## الصوم جُنَّة

يقوم المسلمون ، في مشارق الأرض ومغاربها، بصيام شهر رمضان المبارك، في كل عام. وفرضية الصوم على المسلمين وجعله «ركنا رابعا» من أركان الاسلام الحنيف، مغزاها الاول والاخير «تنقية» نفوسهم من الاوضار، و«تصفية» ارواحهم من الاكدار.. التي تقتضيها ملابسات الحياة طيلة احد عشر شهرا من السنة.. فهم اذا صاموا ايام شهر رمضان وقاموا لياليه كانوا بلا شك اقدر على مواجهة مطالب الدين والدنيا.. بعد تحملهم لهذه الرياضة الشاقة اللذيذة في آن واحد.

ولكن الاسف يحز في نفوسنا، حينما نرى عامة المسلمين وغالبيتهم في مختلف بقاع الارض يتخذون من هذا الشهر وسيلة من وسائل الامعان في الترف وكثرة المآكل والمشرب.. زيادة عما كانوا عليه فى ايام افطارهم.

لقد نسوا (الهدف) السامي الذى من اجله شرع الله جل وعلا لهم هذه الفريضة المقدسة، لترتفع بها مكانتهم عن السوى.. فضاعت عليهم هذه الفرصة الثمينة السمينة.

ان المسلمين في فجر الاسلام، كانوا اذا انتهوا من صيامهم المفروض الذي كانوا يؤدونه حق الاداء فى ليل ونهار، يشعرون بفيض من السمو الروحى والنشاط الجسمى يجريان في شرايينهم.. ويتدفقان الى قلوبهم.

انهم - بمناسبته - كانوا يبتعدون عن مراتع التهاتر والتشاحن والتباغض، ويُقْدِمُون على رياض المحبة والتآلف والتسامح والتآخي والتصافي، واسداء الخير.. وقمع الشرور في النفوس.. وبذلك كان صيامهم لهم (جُنَّة) بضم الجيم، يتترسون بها من اعدائهم الداخليين والخارجيين، وليس امتن من دروع تقوية النفس وترقيتها لاحتمال كل المشاكل ومواجهة كل الصعاب بروح رياضية مطمئنة متوثبة.

والله قد امرنا بالصوم، وجعله صومين، صوما جسميا يتمثل فى شهر الصيام المبارك فيقوى به كياننا الخاص والعام امام متربصى الاعداء الداخليين والخارجيين، وصوما روحيا يتمثل فى كبت غيلان الشر في جوانحنا وكبح جماحها والنظر الى (المصلحة العامة) قبل (المصلحة الخاصة) ومجابهة اعدائنا الداخليين والخارجيين فى (صف) موحد كالبنيان المرصوص.. (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) فوحدة الصف هذه قد شرعها لنا الله الحكيم العليم في محكم تنزيله ودعانا الى اعتناقها.. واعرب لنا عن (محبته) لنا اذا نحن قمنا بها على المنوال المطلوب منا..

ليت المسلمين يصومون فى صيامهم وافطارهم عن الخنى والركض المجنون وراء الشعارات المستوردة، فلدينا افضل شعار يهدينا سواء السبيل، وينمينا ويقدمنا ويطورنا على اجمل طراز.

انهم ان فعلوا ذلك كان صيامهم مقبولا.. وافطارهم ميمونا، ومجتمعهم اينما كان في الحالين سعيدا ومتطورا ناميا ومتقدما راشدا ساميا. فهل هم فاعلون؟!!

«عبدالقدوس الأنصاري»

١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م










***الطفل: أمانة والديه والمجتمع .. ينبغي أن يحاط بكل أسباب العناية في التربية: سلوكاً وأخلاقا .. وفكراً ومعرفة..***
***والتربية الدينية هي البيئة الطبيعية التي تصون فلذات أكبادنا.***

## اشـــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

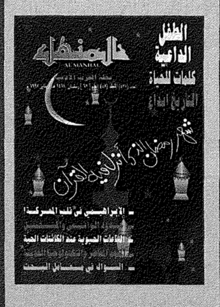


طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦




عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

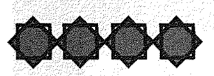
هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.




غلاف العدد




العدد: (٥٣٧)
المجلد: (٥٨)
العام: (٦٢)

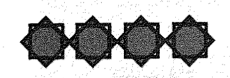


**دار المنهل**
**للصحافة والنشر المحدودة**

تهنيء الأمة العربية
والإسلامية وقرائها
بمناسبة حلول

**شهر رمضان المبارك**

اعادة الله علينا جميعاً
بالخير والبركة
وكل عام وأنتم بخير



منهليات

# السمو الروحي

السمو الروحي غاية إيمانية يسعى إليها المؤمن، وحسن التوجه لله سبحانه، وتحقيق العبادة، الدرجات الموصلة لهذا السمو..

والاحسان اسمى درجات العبادة (أن تعبد الله كانك تراه.. فان لم تكن تراه فإنه يراك) إنها المراقبة الدائمة من غير انقطاع.

مراقبة الله سبحانه في السرّ والعلن .. مراقبته في كل عمل وسلوك..

والذي يُسيِّر حياته على هذا النمط السلوكي الجاد في معطيات حياته كلها، يكون اكثر توفيقاً في حياته ، لان داخله طبع على إبعاد (الأنا) التى تفسد كل الاعمال.. وهذه المراقبة تبعد عن الانسان المؤمن شبح رؤية نفسه فى أعماله، لان المؤمن متى ما رأى نفسه فى اعماله فقد زلت به القدم وهوى فى قاع سحيق من قيعان النفس الامارة بالسوء.

والصوم - لا شك - يقوي فى المسلم دافع المراقبة، فى كل اعماله .. مراقبة ربّ القلوب حتى لا تزيغ بنا الاهواء، وتزل بنا الاقدام.

«الصوم جُنة» وقاية حقيقية للنفس المؤمنة، المؤمن متى ما تعلق بأسباب السماء، ظلت روحه موصولة بالسماء ابدا.

**رئيس التحرير**

**وكلاء التوزيع**

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

**الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤**

شهري العدد ٥٢٧ ـ المجلد: ٥٨ ـ العام: ٦٢

## الفهرس



## في هذا العدد





### أقلام:

د. مجدي الطويل
د. فوزي الفيشاوي
د. يوسف عز الدين
د. البدراوي زهران
د. عبيد خيري
ابو عبد الرحمن الظاهري
د. زكريا بيومي
سعد البواردي

# الطفل الداعية

يقال إن درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة .. وهذا مبدأ طيب ومقبول وجيد - والأحسن من ذلك أن نستغل درء المفسدة الى حد أن نجعله مفتاحا للولوج الى المنفعة.. وهذا ما حدث فعلا مع والد أبعد طفله عن حفظ الغث من الكلام في إعلانات وأغاني أجهزة الاذاعة والتلفاز ليوجه طاقة ولده الذهنية الى حفظ كتاب الله، وكتب الأحاديث والفقه وباقى العلوم الإسلامية مما ينفعه في دينه ودنياه. طفل حفظ القرآن الكريم كاملا وعمره سبع سنوات وشهران، ثم حفظ الأحاديث النبوية الشريفة في صحيحي البخاري ومسلم و«الأربعون النووية» ومتن الشاطبية ومنظومة البيقونية في علم مصطلح الحديث، وكتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ومنظومة سلم الوصول الى علم الأصول في توحيد الله تعالى واتباع الرسول، وحفظ الأجرومية وكتاب (من تحفة الأطفال في علم التجويد) وكماً هائلا من الأشعار الدينية ويجيد البحث في المعاجم والفهارس لاستخراج ما يود استخراجه من مادة، وغير ذلك .. كل ذلك ولم يكمل أحد عشرة عاما .. تبارك الله لا قوة إلا بالله.

## منظومات وموسوعات في الأصول تـ...
## يتحدث بطلاقـ...

وفكرة هذا الاستطلاع برزت عندما دعا نادى مكة الأدبي والثقافي بمكة المكرمة مجلة المنهل للندوة التي عقدها لسماع ومناقشة الطفل عبد الله محمد جبر - الذى جاء من مصر بدعوة من الشيخ عبد الرحمن فقيه مع والده لأداء العمرة على نفقته، ولإلقاء خطبة في نادي مكة الأدبي - كما قام النادي - مشكورا - باهداء - المنهل - شريطا مسجلا بالصورة والصوت لكامل الندوة بادارة الدكتور أحمد المورِّعي، وبحضور عدد كبير من كبار العلماء والمفكرين الاسلاميين بالمملكة العربية السعودية، وجمهرة من كبار السن والشباب وصغار السن.

وقد كانت الندوة في إدارتها ومنهجيتها ناجحة بكل المقاييس.



- د. راشد الراجح

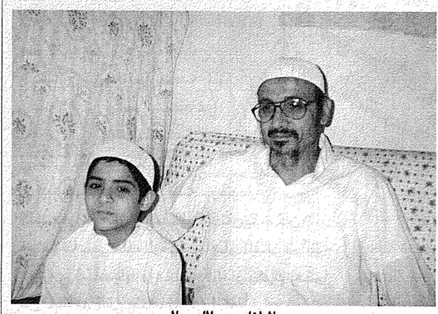
وحرصا من مجلة المنهل على إطلاع قرائها ومحبيها على ما ارتأت أنه مثل حي يمكن للآباء والأنباء - على السواء - الإفادة منه فقد قامت المجلة بتكليف مندوبها بالتوجه الى الشقيقة مصر العربية لعمل استطلاع مصور - من المنطقة التي يعيش فيها الطفل بين أسرته لتعميم الفائدة - باذن الله تعالي - وكان هذا الاستطلاع.

# ...ـقطعت دونها أنفاس الرجال .. حفظها واستظهرها طفل العاشرة
# ...ـة وفصاحة ولم يبلغ الثالثة بعد

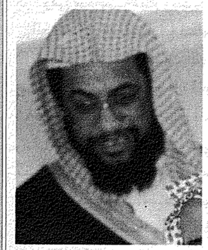
**البحث عن الطفل:**

توجهت الى مدينة المنصورة - وســـألت عن عنوان الطفل (الموهوب) - كما أسماه نادي مكة الأدبي - وكان البعض يقول إنه يعيش في قريته (أويش الحجر) مركز المنصورة - وآخرون يؤكدون أنه يقطن بالمنصورة ويتنقل بين مساجدها إلا أنهم لا يعرفون مقر سكنه بالتحديد - وقدراً قابلت شاعر المنصورة/ المعروف عبد الحميد الحبيبي - الذى أفادني بأن والد الطفل عبد الله - هو شاعر وصديق له وأنه يعرف سكنه.. وتوجهنا معا إلى عنوانه بشارع أبو عبده المتفرع من شارع الجلاء.. وسألنا عن الطفل ووالده فقيل لنا إنه اليوم في القاهرة يلقى خطبة الجمعة في أحد مساجدها الكبيرة «خطبة الجمعة..؟!» طفل في العاشرة من عمره، يلقى خطبة الجمعة؟! - اللهم زد وبارك - هذا ما دار بخاطرى عندما سمعت هذا الخبر - من محدثنا - وبدرت منى لمحة سريعة لوجه مرافقي.. فوجدته لا يقل عنى دهشة واستغرابا .. وغداً سيكون في محافظة المنوفية فتركنا له رسالة طالبين مقابلته لعمل حوار معه لمجلة المنهل - بعد غد -

وعدت إليه في الموعد المحدد واستقبلني والد الطفل استقبالا طيباً وأخبرني أن الطفل عبد الله نائم الآن وَهَمَّ بإيقاظه، ولكنى طلبت منه أن نجلس



- الطفل عبد الله ووالده.



- د. احمد المورعي

معا لمحاورته هو - إلى أن يستيقظ طفله. ولما كان موضوع الحوار من الأهمية بمكان - فقد اتفقت معه أن أطرح عليه جملة من الأسئلة مرة واحدة حتى لا أقاطعه بأسئلة قد ينسى معها شيئا يود قوله - هذا من جانب ومن جانب آخر حتى لا أقطع على القارىء متابعة هذه التجربة الناجحة النافعة - بإذن الله تعالى - فقال: (اسمى محمد محمد جبر (٤٧ سنة) أسرتي من قرية أويش الحجر - مركز المنصورة - مولود ومقيم بمدينة المنصورة - حاصل على بكالوريوس الهندسة - قسم بترول - عام ١٩٧٣ وأعمل مديرا

لمركز التدريب للتشييد والبناء بالمنصورة - ولي ولدان وبنتان وترتيب عبد الله - الثالث - بين أولادي.

وبحكم عملي كنت أقيم وأسرتي في محافظة الوادى الجديد، وعندما كان عبد الله فى سن عام ونصف العام ألحقته بدار حضانة - ولعل احتكاكه بأطفال يختلفون في تعاملهم معه عما يعيشه في بيته ساعد في تشكيل جزء من شخصيته، وصار ينطق جملا مركبة تركيبا سليما - بالنسبة لسنه - وعندما كان عمره سنتان ونصف السنة تقريبا، وكان في بيتنا - في ذلك الوقت - جهاز تلفاز - رأيته مراراً يردد أغنيات واعلانات التلفاز وكذلك بعضا من المشاهد التي يشاهدها في التلفاز.

وفي يوم من الأيام وجدته يقرأ سورة الشرح {ألم نشرح لك صدرك} فألهمني الله سبحانه وتعالى أن أحفّظه كتاب الله، وأن أبعده عن جهاز التلفاز.. وفعلا تخلصت من هذا الجهاز فوراً.

وبدأت - مستعينا بالله - في تحفيظه القرآن الكريم، من جزء عمّ في هذه السن الصغيرة فوجدته يتقبل فقمت بإلحاقه بأحد الكتاتيب بمحافظة الوادى الجديد - حيث كنت أعمل بها - ولأننى أعلم الدور الكبير الذي يجب على الأسرة القيام به حيال طفلها فقد كنت أتابعه متابعة دائمة وأقوم بتحفيظه القرآن الكريم بأن أقرأ الآية الكريمة أمامه - ويقوم هو بترديدها بعدى إلى أن يتم حفظها - حيث إنه لم يكن يجيد القراءة فى تلك السن الصغيرة - إلى أن أتم حفظ جزء عم وعمره أربع سنوات - ثم أصبح ذهابه للكتّاب شبه منقطع حيث ألمّ بالشيخ الذى كان يحفظه القرآن الكريم في الكتّاب مرض جعله يكف عن الذهاب للكتّاب .. فتوليت القيام بمهمة الكتّاب إضافة الى مهمتى في المتابعة - وكنت أحيانا ألقي أمامه بعض أشعاري فكان أيضا يحفظها - إلى أن دُعينا يوما في نادي الوادي الجديد وألقى قصيدة شعر - وهو في هذه السن الصغيرة أمام محافظ الوادى الجديد - الذى كرمه وأثنى عليه وكافأه على حسن إلقائه وأدائه.

**شعرة، هي الفاصل الدقيق بين (عبد الله) الخطيب العالم.. و(عبد الله) الطفل**

وعندما أتم خمس سنوات كان - بفضل الله تعالى - يحفظ جزئين من القرآن الكريم جزء عم، وجزء تبارك، وحصل على أول استثناء من شرط السن ودخل الصف الأول الابتدائى الأزهري وعمره خمس سنوات - بدلا من ست سنوات - وكان هذا الاستثناء حافزا - من الله به عليه - للمسارعة في حفظ القرآن الكريم - فالمعروف أن يحفظ التلميذ القرآن الكريم كاملا في المرحلة الابتدائية.

**بدعوة كريمة من الشيخ عبد الرحمن نقيب الطفل التقى من علماء بجمهرة من العلماء**

وكان عبد الله فى نهاية السنة الأولى الابتدائية قد حفظ حوالي خمسة أجزاء وفي نهاية الأجازة الصيفية لنفس السنة الأولى الابتدائية كان قد حفظ ثمانية أجزاء كاملة.

**في المنصورة:**

ثم انتقلنا من محافظة الوادي الجديد إلى بلدتنا (المنصورة) واستمر في الحفظ مع استمرار متابعة الأسرة له فكنت أقوم بتحفيظه وتقوم والدته - وكذا أخوته بمتابعته والمراجعة له - في الأوقات التي لم أكن متواجداً بها في البيت - حتى أتم

حـفظ ثلاثة عـشـر جـزءا ونصف الجـزء وهـو في منتـصف السنة الثـانيـة الابتـدائيـة. وكان عـمـره ست سنوات وثمانية شـهور وكان ذلك في رمضان عام ١٤١٢هـ.



ـ الطفل مع مندوب المجلة.

**البداية الثانية:**

ثم اشترك في مسابقة لحفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم لصغار السن حتى خمسة عشر عـامـا ـ أقـامـهـا قـصـر ثقـافـة المنصورة ـ وكان عبد الله أصغر المتسـابقين سنا ـ وقـد منّ الله عليه بالحصول على المركز الأول بين المتسابقين ـ وقد أعجب به الشيخ الذي اختبره وطلب مقابلتي في مسجد أنصار السنة ومعى ابني عبد الله.

وذهبنا لمقابلته فعرَّفنا بالمشايخ والعلماء ـ الذين كانوا يستدعون عبد الله ويسألونه ويختبرونه مما حفزه على سرعة الحفظ ـ وبفضل من الله تعالى ـ أتم حفظ القرآن الكريم كاملا يوم ١٢ ربيع الأول ١٤١٣هـ وكان عمره سبع سنوات وشهران وثلاثة أيام.

**بين يدي العلماء:**

فرح به الأخوة المشايخ والعلماء في المسجد، ووجهوه لحفظ السُّنَّة المطهرة ـ فبدأ بحفظ كتاب «الأربعون النووية» وهو كتاب يحوي ٤٢ حديثا نبويا جمعها الإمام محيى الدين النووي ـ وهى أحاديث منتقاة بطريقة طيبة ـ فيها من العقيدة ومكارم الأخلاق وغير ذلك من الفضائل والشمائل التى يدعو إليها الإسلام، فحفظها.

ثم كان اللقاء مع فضيلة الشيخ/ مصطفى بن العدوي الذى وجهه لحفظ كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان وهو كتاب يحوى ١٩٠٦ ألفا وتسعمائة وستة أحاديث ـ وكان الشيخ يطلب منه حفظ مئة حديث ثم يأتى ليسمعها له، فكان يحفظها ويذهب إليه فى مسجده بقرية سمنود بجوار المنصورة ـ فيسمع له المئة حديث.. وكان الشيخ يمنحه جائزة تشجيعية كلما أجاد في الحفظ والتسميع ـ وكان كلما حفظ خمسمائة حديث كان الشيخ يسمّع له ماضى ما حفظه من الكتاب كله ـ أى يختبره في الخمسمئة حديث الأولى ـ وبعد حفظ الألف حديث يختبره في ماضى ما حفظه كله ـ وكذلك بعد الألف وخمسمائة حديث .. إلى أن أتم الكتاب كاملا فاختبره فيه كله وكان ولله الحمد والمنة موفقا ـ وكان وقتئذ عمره تسع سنوات.. ثم وُجِّه بعد ذلك لحفظ صحيح البخاري ـ فحفظه كاملا من مختصر الزبيدي وكان عمره ١٠ عشرة سنوات وحوالي شهرين.

وقد حفظ من المتون حتى الآن متن (تحفة الأطفال في علم التجويد)، ومتن المنظومة البيقونية في علم مصطلح الحديث ومتن الأجرومية في علم النحو، ومتن الشاطبية في علم القراءات الذى درسه دراسة كاملة وحفظ ثلثيه حتى الآن وغير ذلك من الدراسات في الفقه وفي العقيدة، فهو يحفظ منظومة سلَّم الوصول الى علم الأصول في

توحيد الله تعالى واتباع الرسول [صلى الله عليه وسلم] للشيخ حافظ حكمى ويحفظ أكثر من ثلثى صحيح مسلم ولازال حتى الآن لم يكمل أحد عشر عاما (ما شاء الله لا قوة إلا بالله).

**الخطابة:**

أما عن الخطابة يقول والده: بعد ما أتم ثماني سنوات من عمره كان يجلس مع الشيخ محمود غريب الشربيني رئيس أنصار السنّة بالمنصورة فقال له الشيخ «أريدك أن تحضّر خطبة لتلقيها وسأسمعها منك بعد أسبوع واحد» فاهتم عبد الله بالأمر اهتماما كبيرا وبدأ يُحضِّر الخطبة - وساعدته فى ذلك - ثم ألقاها أمام دعاة أنصار السنّة فى اجتماعهم - وكان بفضل الله تعالى موفقا توفيقا كبيرا - مما جعل الدعاة أنصار السنة يقدمونه للناس كنموذج يحتذى به، لكونه قد حفظ القرآن الكريم، وكمّاً كبيرا من الأحاديث النبوية الشريفة.

وكان يلقي المواعظ أمام الناس - فمنّ الله عليه في ذلك الأمر، فأجاد فيه إجادة طيبة، واستطاع - بفضل الله - أن يتفوق على نفسه في هذا الأمر حتى إنه عندما بلغ العاشرة من عمره كان يصعد الى المنبر ليخطب خطبة الجمعة، وكانت أول خطبة جمعة له فى التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٤١٦هـ وكانت بقريتنا أويش الحجر مركز المنصورة.

وقد لاقت استحسانا وقبولا كبيرين جدا - وكانت انطلاقة جديدة يسَّر الله بها - بفضله - لعبد الله الأمر - فانطلق في مجال الدعوة الى الله عز وجل، وبعد ذلك كان يُدْعى إلى كبار المساجد في القاهرة وفي مختلف محافظات مصر - كي يلقي الخطب والمحاضرات - كما قام بدعوته الشيخ عبد الرحمن فقيه إلى المملكة العربية السعودية - أولا لأداء العمرة، ولإلقاء خطب ولقاء بعض علماء ومشايخ المملكة في مكة المكرمة وكانت دعوة كريمة من الشيخ عبد الرحمن وعلى نفقته الخاصة وكانت لقاءات مثمرة ولله الحمد - وقوبلت بالاستحسان والقبول من كل الحاضرين وأثنوا على عبد الله ثناء محموداً - ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

**بعيداً عن (المعهد والعلماء والمنبر) إنه طفل كامل الطفولة**

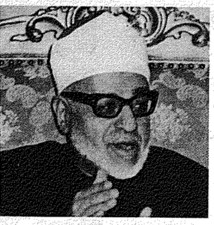
**المشايخ الذين تتلمذ عليهم عبد الله:**

قال والد الطفل (من المشايخ الذين تتلمذ عليهم) الداعية المعروف الشيخ محمد حسَّان كان يدرس له العقيدة، والشيخ مصطفى العدوي كان يدرس له الحديث، وأستاذ القراءات بالأزهر الشيخ حافظ الصانع كان يدرس له متن الشاطبية، والشيخ الدكتور على على لقم يدرس له اللغة العربية وغيرهم من العلماء الذين جلس بين أيديهم يستمع العلم ويعيه قلبه - بفضل الله تبارك وتعالى - وقد استطاع بمزالفة أهل العلم أن يبحث في أمهات الكتب، وهو من المشايخ الذين تتلمذ عليهم يستطيع الآن أن يبحث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث عن حديث يريده وفي لسان العرب وفي قواميس اللغة عن كلمة يريد أن يعرف معناها كذلك في كتب التفسير، فقد تتلمذ على تفسير ابن كثير وتفسير القرطبي وغيرهما من كتب التفسير، وفي كتب الحديث التى تشرح الحديث مثل فتح الباري في شرح صحيح البخاري وشرح صحيح مسلم للإمام النووي وكتب السيرة وكتب الفقه وكتب العقيدة مما منّ الله به عليه).

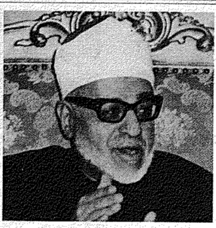
**استثناء .. واستثناء:**

عندما بلغ عبد الله سن العاشرة - استثناه شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق -

يرحمه الله - استثناء دراسيا آخر - ليقفز من الصف الخامس الابتدائي إلى الصف الأول الإعدادي، إذ كان فضيلته قد علم بما مَنَّ الله به على عبد الله من نعمة حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.



- الشيخ جاد الحق علي جاد الحق



- الشيخ عبد الرحمن فقيه.

وعن قدرات الطفل عبد الله العقلية قال والده - نصاً - «وما أؤكده أن عبد الله ليس طفلا معجزة، وإنما هو طفل عادي - قدراته عادية جدا - وهو لا يحفظ من المرة الأولى - كما يدعي بعض الناس - بل هو يحفظ وينسى - وأحيانا يعييه الحفظ - فكان في بعض الأحيان يمكث اليوم الكامل يحاول أن يحفظ آية واحدة حتى إنه يبكي في آخر اليوم لأنه لم يستطع حفظ الآية، وكذلك نفس الشيء أثناء حفظه للأحاديث، فقدراته عادية، ولكنها منّة من الله تبارك وتعالى أن أبعده عن الغث من حفظ الأغاني وفارغ الكلام الذى يملأ أذهان الأطفال وعقولهم، الى حفظ ما يفيده في دينه ودنياه بإذن الله تعالى - وأن هذا - والكلام مازال لوالد الطفل عبد الله - ليس بمقياس للذكاء ولا العبقرية، ولكن بالاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه».

وأضاف المهندس محمد محمد جبر والد الطفل عبد الله أنه في بلدتهم أويش الحجر - مركز المنصورة - قلما تجد صبيا أو فتاة في سن الخامسة عشرة دون أن يكون حافظا للقرآن الكريم.

وينشأ ناشيء الفتيان فينا
على ما كان عوده أبوه

**لقاء الطفل الموهوب عبد الله:**

وجاء الطفل عبد الله مرتديا جلبابا وطاقية بيضاوين وألقى علينا سلام الله ورحمته وبركاته - فرددنا السلام، ورحبتُ به قائلا أهلا بالطفل المعجزة .. فرد قائلا - وبلغة عربية سليمة - (أنا لا أحبذ قول الطفل المعجزة، فالمعجزات للرسل والأنبياء، وإذا صممت فقل الطفل الموهوب أو شيئا من هذا القبيل).

ثم جلس معنا على أريكة بدت كبيرة عندما جلس عليها لصغر جسمه.. وتجاذبنا أطراف الحديث وعرَّفته بكُنه ما جئنا من أجله - فعرفنى بأنه كان يعلم يوم حضوري ولكن لا يعلم فى أى ساعة - فنام - وإلا لكان فى انتظاري.

وشرعت في تصويره فانتقل الى كرسي مجاور للأريكة التى كان يجلس عليها - وبعد التقاط بعض الصور له ولوالده - أخذ مني الكاميرا وطلب أن يقوم هو بتصويري - وبالفعل قام بتصويرى مع والده - ثم أخذ مني جهاز التسجيل وقال لي «عندما تشرع فى التسجيل، يجب أن تجعل مفتاح الصوت على أدنى درجة، حتى إذا ما تم التسجيل ورفعت درجة الصوت فسيكون الصوت واضحا أكثر» فشكرته على هذه النصيحة - الصحيحة - ثم أخذ مني الجهاز مرة أخرى .. وأنا أتابع تصرفاته - فهو طفل يعيش طفولته - فى هذه الدقائق - بكل أبعادها من مرح وشقاوة بريئين.

وما أن طلب منه والده أن يسمعنا بعضا مما

## البيت أحسن تربيته ورعايته

## (أويش الحجر) قرية الحفظة

يحفظ من القرآن الكريم والأحاديث - حتى أخذ يعدّل من ملابسه، فيسحب طرف جلبابه لأسفل ويسوى «ياقته» ويعدّل - بعناية - طاقيته الصغيرة، ثم يجلس على الكرسيّ ويعتدل في جلسته - وأنا أتابعه في دهشة - فقد شعرت أنه - فى هذه اللحظات القليلة - انتقل بهدوء من شقاوة ومرح الطفولة إلى سمت ووقار العلماء - وبدأ بتلاوة ما تيسر له من آيات الله البينات - وبعدها أسمعنا بعض الأحاديث النبوية الشريفة وجزءا من أرجوزة سلم الوصول الى علم الأصول فى توحيد الله تعالى واتباع الرسول .. وهو يسترسل فيما يتلو أو يقرأ .. إلى أن نطلب منه الاكتفاء بذلك القدر.

وأمام طلاقته وحسن تلاوته لما يحفظ - دون ما تردد أو لعثمة عنّ لي سؤال .. هل هذا الطفل «استظهاري» أو «اجتراري» أى أنه يحفظ ما يملى عليه أو يقرأه فقط - ثم يعيده أو يجتره؟ أم أنه يعى ما يحفظه ويقرأه ويفهمه؟.

فعمدت إلى محاورته حتى أصل إلى اجابة سؤالي - ضمنياً - من حواري معه .. فكان أن سألته بعض الأسئلة في النواحي الدينية - طبعا - وأحيانا يكون السؤال طويلا - نسبيا - فكنت ألاحظ أنه بعد كلمتين أو ثلاث من سؤالي يومىء برأسه - بما يعنى أنه فهم سؤالى قبل أن أكمله - ولكنى كنت استمر حتى أكمل سؤالي.

وما أن أنتهى من السؤال .. حتى يسوق لي الآية الكريمة أو الآيات من القرآن الكريم والحديث أو الأحاديث الشريفة التى تتضمن الرد على سؤالى ولا يكتفى بهذا بل يشرح لي - بإسهاب - معنى الآية والحديث - مع الاستشهاد بأمثلة عديدة حتى يتيقن أننى اقتنعت تماما .. ولأبدأ سؤالا آخر ليجيبني عليه بكل الطلاقة والفهم والوعي - ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

إزاء ما تأكد لنا مما سمعناه وشاهدناه من حفظ كم هائل من العلوم والمعارف فى رأس طفل صغير - كمّ ينوء باستيعابه شباب وربما رجال - وأمام ما يؤكده والد الطفل من أن ابنه طفل عادي ككل الأطفال .. فاننا أمام شقين فى قضية واحدة .. نسائل أنفسنا بشأنهما كي نصل إلى جواب شاف.

**السؤال الأول:**

هل القاعدة أن الأطفال - عموما - يولدون ولديهم الاستعداد للاستيعاب بالدرجة التي عليها الطفل عبد الله - وأننا نحن الذين نقلل من شأن استعداداتهم - فلا نحاول إرهاق أطفالنا بمعلومات نرى - من وجهة نظرنا - أنها ثقيلة على عقولهم وأنه لا يمكنهم استيعابها؟ وبذا نئد قدراتهم الكامنة دونما قصد منا؟

**السؤال الثاني:**

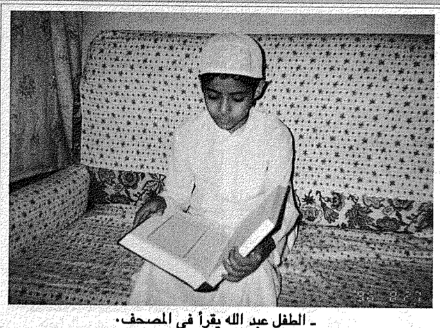
هل القاعدة أن الأطفال يولدون وليس لديهم القدرة على استيعاب مثل هذا الكمّ من العلوم والمعلومات .. وأن الطفل «عبد الله» نبا عن هذه القاعدة - بمنة اختصه الله - سبحانه وتعالى - بها وهيأ لها الأسباب ليظهر للعيان ما قدَّره تقديرا؟

فإذا كان بعضنا يرى الحقيقة في الشق الأول «القائل بأن للطفل قدرات كامنة نقصر نحن في توجيهها» .. فربما كان هذا البعض على حق ويؤيد رؤيته قول الشاعر:

وتحسب أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي
بأحرفه يظهر المضمر

وتمشـيـا مع فكر هذا البـعض دعونا نتذكر:

أننا ـ أحـيـانا ـ نفـاجـأ من أطفالنا بتصرفات وأقوال نراها كبيرة جدا ـ قياسا على حجم تفكيـرهم ـ الذى نفـتـرضـه نحن فـيـهم ـ وقـد يكون القـيـاس على تصرفات أطفال جيراننا أو بعض أقـربـائنا ـ وعلى هذا القـيـاس نسـتـنتج ـ أو يخـيل الينا ـ أن أطفالنا أفضل من الآخـرين .. وقـد لا نكون ـ والحـالة هكذا ـ مخطئين «فـالمفـاضلة لا تكون إلا بين قـرين وقـرين .. أمـا بين الرجل والعـصـا . فـلا» هكذا قـال العقاد.



ـ الطفل عبد الله يقرأ في المصحف.

والقياس على مجموعة الأطفال الذين من حولنا فـقط يشـوبه بعض العـوار فلمـاذا يكون الأطفـال الذين من حولنا فقط هم النموذج الذى نقارن بينه وبين أطفـالنا؟ لماذا لا يكون نموذج المقـارنة هـم الأطفـال النابـهين حتى ندرك الفرق ونسـتـدرك مـا فات ونستعد لما هو آت.

لماذا لا نجـرب ـ من الآن ـ إبعـاد أطفـالنا عن الغث؟ لماذا لا نبدأ مـعهم بتـعويدهـم على التـعرف على المفـيـد مما ينفـعـهم في دينهم ودنيـاهـم .. لنجرب .. فإننا إذا لم نستطع تجفيف نبع الفساد ـ فـاننا نسـتطيع إبعاد أطفـالنا عنه.. أو ابعـاده عنهم.. وهذا جزء أساسي من رسالتنا نحوهم.

وإذا كان البعض الآخر يرى الحقيقة في الشق الثاني ـ أن قـدرات الأطفـال مـحـدودة، وأن الطفل عـبـد الله ـ اسـتـثناء من قـاعـدة ـ فلعل الله ـ جلت قـدرته ـ أوجد هذا الطفل، وقيّض له الأسـباب التي أوصلته إلى هـذه المكانة ـ ليكون أسـوة يتـأسى بهـا أطفـالنا، وليكون الأسلوب الذي اتبـعـه والداه فى تربيته وتوجيهه نبراسا لنا نحن الأسر المسلمة ـ لنحـاول أن يكون بين أطفالنا عبد الله أو عـشـرات من عـبـد الله ـ فلنبدأ ونحـاول .. والحكمـة تقـول «صـوّب إلى النجم لعلك تصـيب المئـذنة» فـاذا لم تصب مـحاولتنا كل أهدافـها بالوصول بكل أطفالنا ليكونوا عبـد الله جمـيعـا فلعلنا نحصل من بينهم على عـبـد الله {وقل اعـملوا فـسـيرى الله عـملكم ورسوله والمؤمنون}.

وقد يسـأل سـائل «أنّى لطفلنا تلك الظروف التى تهـيـأت للطفل عبـد الله من إحاطة هذا العـدد من المشـايخ والعلماء ورعـايتهم له؟ فإن الرد على هذا التسـاؤل بسـيط.. فان هذا الطفل لو لم يكن أهلا لرعـاية هؤلاء العلمـاء والمشـايخ لما أحـاطوه بهـا.. وتأهُّل هـذا الطفل لرعـاية العلمـاء والمشـايخ كـان نتيجة حتمـية لما أحيط بـه ـ أصـلا ـ من رعاية فى أسـرتـه ـ حـيث سـاهـم كل من الأب والأم بـالجـزء الأكبر من هذه الرعاية.

وقد ذكر لنا والده كيفية رعايته لطفله ـ تفصيلا ـ على النحـــو الذى أوردناه ـ فى صـــدر هـذا الاسـتطلاع ـ أمـا دور والدته فـقـد طلبنا من الأب توصيل أسئلة ـ المنهل ـ إليها ـ وجاءنا رد الأم فى

رسالة موجهة إلى كل أم مسلمة - رسالة تحمل المفهوم الصحيح الذى يجب على كل أم مسلمة أن تتبعه والذى اتبعته هي نفسها مع ابنها عبد الله والذى أتى ثماره الطيبة - ولله الحمد والمنه - ونص رسالتها:

{بسم الله الرحمن الرحيم}.

والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

وبعد.

أختي المسلمة/ أيتها الأم الفاضلة المسئولة أمام الله عز وجل عن رعيتك التي حباك الله إياها استعيني بالله العلي القدير واسأليه التوفيق والهداية واسأليه أن يرزقك وإيانا بالذرية الصالحة واسأليه العون على تربيتهم تربية ترضيه جل وعلا واسأليه الأجر من لدنه فهو سبحانه الرحمن الرحيم مالك الملك ذو الجلال والإكرام له الأسماء الحسنى وهو القائل في كتابه العزيز {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها} ..

وبعد هذه المقدمة:

أبدأ حديثي إليك والله المستعان.. اعلمي يا أختى أن ولدك يراقبك من حيث لا تشعرين ويقلدك في كل شيء تقريبا فأنت مرآته وأنت النافذة الأولى بالنسبة له على الحياة فمن خلالك يعيش مرحلته الأولى فاستعين بالله واصطبري على تربيته وتلبية رغباته التى لا تنتهى بحيث توجهينها الوجهة الصحيحة وأجيبي عن أسئلته بطريقة مناسبة لعمره وحذار ثم حذار أن تستهيني بعقله أو أن تخجلى من جهلك فى بعض الأشياء أمامه فقولك له - لا أعرف - وأنت صادقة خير ألف مرة بل خير على الإطلاق من أن تقولى له أشياء خاطئة وإجابات خاوية وخالية من الحقيقة فإنه سرعان أن يكبر ويكتشف أنك لم تقولي له الحقيقة فما يكون موقفك حينذاك بل ماذا تكون النتيجة بالنسبة له وما تأثير ذلك عليه. احرصي أيتها الأخت المسلمة على الصدق وعلى الوفاء بالوعد معه وحاولي مراقبته بذكاء وحرص مهما بلغ من العمر واسألي عنه فى مدرسته وعن أصدقائه وشجعيه بالجوائز إذا أصاب وعاقبيه عند الخطأ إذا استحق العقاب وأشعريه بأنه إذا فعل كذا سيكون هناك جزاء حسنا وإن لم يفعله وتهاون فيه فسوف يحاسب ويعاقب واعلمى أن الخوف من العقاب أكثر تأثيراً من توقيع العقاب فقد تهددينه وحينما يرى العقاب خفيفا وهينا بالنسبة لما كان يتوقعه فإنه لن يهتم بعد ذلك بالطاعة فلابد أن يكون الجزاء من جنس العمل وعلى قدر أهمية هذا العمل .. والله ولي التوفيق.

## الخوف من العقاب أكثر تأثيرا من توقيع العقاب

وبفضول الصحفي الذي يريد أن يعرف كل الأخبار دفعة واحدة - قرأت رسالة الأم بسرعة - ثم أعدت قراءتها بتأن - فرأيت فيها ما لم أره فى المرة الأولى - ففي المرة الأولى كنت أبحث عن الجديد، وعن الخبر - أما فى المرة الثانية كنت ابحث عن الدور الذى قامت به الأم، ومدى امكانية إفادة قراء وقارئات المنهل من هذا الدور.

وفي الحقيقة وجدتني أعيد قراءة بعض فقرات الرسالة أكثر من مرة - وقمت بوضع خطين تحت كل فقرة - أو قل كل نصيحة - رأيت أن الأمهات المسلمات يستفدن منها - بإذن الله تعالى وأنقل هذه النصائح نصا من الرسالة - للتركيز على فحواها.

* إن ولدك يراقبك من حيث لا تشعرين، ويقلدك في كل شيء تقريبا.

* وأنت النافذة الأولى بالنسبة له على الحياة.

* أجيبى عن أسئلته بطريقة مناسبة لعمره.

* وحذار ثم حذار أن تستهينى بعقله أو أن تخجلى من جهلك فى بعض الأشياء أمامه.. فقولك «لا أعرف» وأنت صادقة خير ألف مرة - بل خير على الاطلاق - من أن تقولي له أشياء خاطئة وإجابات خاوية وخالية من الحقيقة.

* إحرصي - أيتها الأخت المسلمة - على الصدق، وعلى الوفاء بالوعد معه.

* حاولى مراقبته بذكاء وحرص مهما بلغ من العمر.

* شجعيه بالجوائز إذا أصاب وعاقبيه عند الخطأ.

* واعلمى أن الخوف من العقاب اكثر تأثيرا من توقيع العقاب ذاته.

قد يكون بين الأمهات من تعرف بعض هذه النصائح. وقد يكون بينهن من تعرفها جميعا، وربما تكون بينهن من لا تعرف حتى إحداها - وهذا ليس عيبا - فالتجربة بالتجربة تمنح الخبرة .. ولو طلبنا منهن جميعا - التى تعرف، والتى لم تكن تعرف أن يعملن بهذه النصائح، فإننا لا نطلب ذلك من فراغ، فنحن أمام تجربة واقعة ونتيجتها ملموسة وتعيش بين ظهرانينا .. وحتى إذا كانت هذه الواقعة - استثناء - فإن الاستثناء يؤكد القاعدة - كما يقال.

وختاما:

فالمنهل - مساهمة منها فى التضافر من أجل رعاية نبتة في بستان ديننا الحنيف، ولَبِنَة في بناء الدعوة الاسلامية - تسجل وتثمن وتقدر - باستطلاعها هذا:

* دور الأبوين والأسرة.

* دور الكُتّاب الذى ساهم فى تحفيظ هذا الطفل وغيره آيات القرآن الكريم.

* دور العلماء والمشايخ الذين وجهوه وعلموه.

* دور شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - الذى استثناه من شرط السن لالحاقه بالأزهر.

* دور الشيخ عبد الرحمن فقيه الذى دعاه - مشجعا ومحفزا - لأداء العمرة والالتقاء بعلماء ومشايخ المملكة العربية السعودية.

* دور نادي مكة الأدبي والثقافي بمكة المكرمة ممثلا في رئيسه الدكتور راشد الراجح.

* دور الدكتور احمد المورعي الذى أدار الندوة بكل اقتدار وموضوعية.

* دور من ساهم بالحضور من علماء ومشايخ المملكة العربية السعودية والذين كان لهم الفضل في انجاح الندوة.

وأنوه: بأن ترتيب الأدوار - خاضع بالكلية - للتتابع التأريخي .. والله من وراء القصد.

**يعقوب السيد حسنين - جده -**



**الطفل الموهوب عبدالله محمد جبر برفقة الدكتور راشد الراجح**

# د. نصر أبو زيد وتاريخية م

*الفكر المنحرف عن الجادة، القائم على المغالطات وهوى النفس وقلب الحقائق، لابد من الرد عليه وإيقافه عند حده، حتى لا يستشري إفساده بين الناس.. في حلقات سابقة تناول الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة بالدراسة والبحث مجموعة من مغالطات المستشار/ محمد سعيد عشماوي ورد عليه أباطيله ومفترياته في الدين.*

*وفي هذه الدراسة الدقيقة يعرض لبعض مفتريات الدكتور/ نصر أبي زيد، وقد تجنى الدكتور/ ابو زيد كثيراً على الاسلام والمسلمين.*

**المنهل**

## أفكار مثيرة للجدل (٣-٨)



بقلم المفكر الاسلامي:
**أ.د. محمد عمارة**

يؤمن المسلمون، انطلاقا من القرآن الكريم، بأن هذا القرآن: محكم ومتشابه، وأن متشابهه يفهم ويفسر بإرجاعه إلى محكمه، وأنه يفسر بعضه بعضا، وأن «أسباب النزول» تضع القارىء والمفسر في إطار الملابسات والدلالات الأصلية، فتعين على الفهم في ضوء واقع عصر التنزيل، وأن فهم دلالات القرآن الكريم لابد وأن يكون بدلالات ألفاظه في عصر الوحي، وليس بالدلالات التى طرأت على الألفاظ بعد عصر التنزيل.

وهم يؤمنون بأن هذا المنهاج، الذى يستحضر فى فهم القرآن وتفسيره الدلالات الأصلية والسياق الأول، إنما يقتضيه إيمانهم بأن **هذا القرآن هو الوحى الخاتم للشريعة الخاتمة، فلا «مرحلية» ولا «تاريخية» فى فهمه وتفسيره، لأن المرحلية والتاريخية تتنافى مع خلود القرآن لخلود الشريعة التى جاء بها.**

وعن هذا المنهاج فى فهم القرآن وتفسيره ـ وهو الذى لم يخالف فيه سوى

# ـعانى واحكام القرآن الكريم

غلاة الباطنية ـ يقول الإمام محمد عبده: «**فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعانى التى كانت مستعملة فى عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر فى مواضع منه وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة ـ كلفظ «الهداية» وغيره ـ ويحقق كيف يتفق معناه مع معنى الآية، فيعرف المعنى المطلوب بين معانيه ٠٠ إن القرآن يفسر بعضه ببعض، وإن أفضل قرينة على معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذى جاء له الكتاب بجملته**[١] ٠٠ فداوم قراءة القرآن، وتفهم أوامره ونواهيه، ومواعظه وعبره، كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي»[٢]٠

وهذا المنهج «اللاتاريخي» ـ أى الرافض لربط المعانى بتاريخ بعينه تطوي صفحتها بمرور هذا التاريخ ـ كما قدمنا ـ هو عند المسلمين «دين» وليس خيارا إنسانيا لمنهج من المناهج فى التعامل مع النصوص، لارتباطه بختم القرآن للوحي الإلهي وختام الإسلام لشرائع السماء إلى الإنسان، وبمعنى الحفظ الإلهي لهذا القرآن٠٠ **فالقرآن ألفاظ ونظم ودلالات، ولن تكون هناك قيمة فكرية إذا وقف الحفظ عند حدود الألفاظ، مع إهدار المعاني وتجاوزها٠** فعندما يقول الله سبحانه وتعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}[٣] فإنه يشرع لخلود القرآن ـ ألفاظا ونظما ودلالات ـ لتظل ثوابت العقيدة والشريعة خالدة، ولتستمر الصبغة الاسلامية لحضارة الاسلام، عبر الزمان والمكان٠

هذا هو الاعتقاد الاسلامى فى خلود القرآن ٠٠ و«لا تاريخية» معانيه وأحكامه٠

لكن الدكتور نصر أبو زيد، يلجأ هنا ـ وبإزاء هذه القضية أيضا ـ إلى المنهاج «الوضعي ـ المادي»، الذي يقول بتاريخية النصوص الدينية، فينفى عن معانيها ودلالاتها الأصلية أيّ ثبات أو استمرارية أو خلود، ويصدر حكمه ـ في جرأة غير مسبوقة ـ بطي صفحة معاني القرآن التي نزلت بها ألفاظه، قائلا: «**إن القرآن خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا ثابتا**[٤]٠٠ **وليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة فى النصوص، بل لكل قراءة بالمعنى التاريخي الاجتماعي ـ جوهرها الذي تكشفه فى النص**»[٥]٠

وإذا انتفى أي ثبات عن أية معان أو مفاهيم أو أحكام للقرآن الكريم، وجعلنا لكل قراءة ـ أى لكل قارىء ـ الجوهر والمفهوم الذى تكشفه فى النص القرآني ـ وعلمنا، أيضا، أن الدكتور نصر يقول: «إنه لابد من التسليم ـ مع «لوى آلتوسير» ـ بأنه «لا توجد ثمة قراءة بريئة»[٦]٠٠ فأية «غاية» من العبث والعبثية تفضى إليها هذه الدعوة، التى تجعل كل قراءة غير بريئة، ولكل قراءة غير بريئة جوهرها الذى تكشف عنه في النص القرآني؟!٠٠ وهل يبقى مع ذلك وبعد ذلك شيء من الذكر الذي تعهد الله بحفظه، اللهم إلا إذا كان هذا الحفظ حفظا متحفيا لصور الألفاظ التي فقدت

معانيها ودلالاتها بانتهاء عصر النبوة، وتغير جوهر القرآن الذى نزل به الروح الأمين على قلب محمد {صلى الله عليه وسلم} ، وذلك بتعدد القراءات ـ مع تعدد القراء ـ لهذا القرآن؟!٠

إنه تحويل لألفاظ القرآن ـ بعد تفريغها من المعاني التى أنزلها الله فيها ـ إلى مجرد أوعية فارغة، يصب فيها كل قارىء ـ لقراءة غير بريئة ـ المفاهيم ـ غير البريئة ـ التى يراها؟!٠

تلك هي تاريخية النصوص، التى ذهبت إليها الوضعية الغربية ـ عندما رأى فلاسفة التنوير الغربي في النصوص الدينية طور طفولة العقل البشرى، التى تجاوزتها الميتافيزيقا، والتى طوت الوضعية صفحتهما معا، فأقامت هذه الوضعية، وهذا التنوير الوضعى، «قطيعة معرفية» مع معانى تلك النصوص التاريخية، التى تجاوزها وطوى صفحة معانيها ودلالاتها الأصلية التطور والتاريخ.

**ولقد جاءت المادية الجدلية ـ التى يسترشد بها الدكتور نصر ـ فكرست هذه التاريخية، عندما رأت ان هذه النصوص الدينية هى جزء من «البناء الفوقى»، الذى شكلته وأفرزته البنى الاقتصادية والإجتماعية «للقاعدة الأساسية للبناء التحتى» ـ وهى النظرية التى استلهمها الدكتور نصر فى نظرته للقرآن الكريم** ـ فقالت المادية الجدلية بتاريخية هذه النصوص وتجاوز التطور لمعانيها ودلالاتها، تبعا لتطور وتغير «البناء التحتى» الذى شكلها وشكل معانيها!٠٠ فلا ثبات لشىء من معانى هذه النصوص الدينية، وإنما هى «تاريخية» دائما وأبدا!٠٠

والدكتور نصر أبو زيد، لا يدع قارئه «يستنتج» ـ مجرد «استنتاج» أن ملهمه فى الحكم بتاريخية معانى ودلالات وأحكام القرآن، هى المادية الجدلية٠٠ وإنما يريح قارئه من عناء «الاستنتاج» عندما يصرح بذلك دونما لف أو دوران!٠

فهو يتحدث عن «تاريخية المعنى Meaningå واستمرارية «المغزى Significanceå فى النصوص ٠٠ أى أننا نطوى صفحة المعاني التى كانت لهذه النصوص فى عصر تشكلها، بينما نصعد، متطورين دائما وأبدا، مع «المغزى» المتطور دائما وأبدا، لتلك المعاني التى طوت التاريخية صفحتها ٠٠ ويقول لنا إن هذا هو مذهب الناقد الأمريكي «هيرش» ، الذى طبقه فى «النصوص الأدبية» حتى جاءت «الهرمنيوطيقا الجدلية، بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي» ـ بواسطة «جادامر» ـ فامتدت «بالتاريخية» ـ تاريخية المعاني ـ من «النصوص الأدبية» إلى «النصوص الدينية»٠٠ وجاء الدكتور نصر ليطبقها على القرآن الكريم!٠٠

يتحدث الدكتور عن «مصادره» و«منطلقاته» المادية الجدلية التي جعلته يقول: «إن القرآن خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا ثابتا»٠٠ فيقول: **«إن «هيرش» يقيم تفرقة بين المعنى Meaning والمغزى Significance ويرى أن مغزى النص الأدبى قد يختلف، لكن معناه ثابت، ويرى أن هناك غايتين منفصلتين تتصلان بمجالين مختلفين، مجال النقد الأدبى، وغايته الوصول الى مغزى النص الأدبى** بالنسبة لعصر من العصور، أما نظرية التفسير فهدفها الوصول إلى معنى النص الأدبى، إن الثابت هو المعنى الذى يمكن الوصول اليه من خلال تحليل النص، أما المتغير فهو المغزى. إن المغزى يقوم على أنواع من العلاقة بين النص والقارىء، أما المعنى فهو

قائم فى العمل نفسه».

ثم يضيف الدكتور نصر، متحدثا عن «النقلة النوعية» التى أحدثتها فى هذه النظرية - نظرية ثبات المعنى وتحرك المغزى - المادية الجدلية، فيقول: **«وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند (جادامر) ، بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي، نقطة بدء أصيلة للنظر إلى علاقة المفسر بالنص، لا فى النصوص الأدبية، ونظرية الأدب فحسب، بل فى إعادة النظر فى تراثنا الدينى حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن»[٧]**.. فـ «جادامر» عدل الهرمنيوطيقا الجدلية فجعل جدلها ماديا.. والدكتور نصر طبق هذه الجدلية المادية على تفسير القرآن!.

فمن المادية الجدلية، التى أمتدت بنظرية «ثبات المعنى القائم فى ذات النص.. وتغير المغزى، القائم على علاقة القارىء بالنص» من نطاق «النصوص الأدبية» إلى «النصوص الدينية» أيضا .. من هذا المنطلق، انطلق الدكتور نصر «ليعيد النظر فى تراثنا الدينى حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن».. وليصل إلى أن «القرآن خطاب تاريخى، لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا ثابتا.. فليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة فى النصوص الدينية (القرآن والحديث) - بل لكل قراءة - بالمعنى التاريخي الاجتماعي - جوهرها الذي تكشفه فى النص»!.

وإذا كان الدكتور نصر، قد قال - عقب صدور الحكم بردته - إن معنى تاريخية النصوص عنده لا يعنى **«أن النصوص الدينية - [القرآن والسنة] - لم تعد صالحة لزماننا»[٨]** وهو قول نتمنى أن يعبر عن موقفه الحقيقي - فإننا نسوق إليه نصوصه الى لا تدع مجالا للشك فى قوله بالتاريخية التى تهدد «المعاني والأحكام» التى جاءت بها هذه النصوص.. نسوقها إليه، لا بهدف «السجال.. والمجادلة»، وإنما طلبا للمراجعة التى تحقق الاتساق بين ما كتب وبين هذا الذى قال..

فمن نماذج كتاباته التى تلح على تاريخية المعانى والأحكام التى جاءت فى القرآن الكريم: **«إننا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية.. وإذا كانت النصوص الدينية نصوص بشرية بحكم انتمائها للغة والثقافة فى فترة تاريخية محددة، هي فترة تشكلها وانتاجها، فهي بالضرورة نصوص تاريخية.. وليس معنى القول بتاريخية الدلالة تثبيت المعنى الدينى عند مرحلة تشكل النصوص، ذلك أن اللغة ليست ساكنة ثابتة، بل تتحرك وتتطور.. وتطور اللغة يعود ليحرك دلالة النصوص وينقلها فى الغالب من الحقيقة الى المجاز»[٩]**.

فمعانى القرآن الكريم ودلالات ألفاظه، التى كانت «حقيقة» فى عصر الوحى والتنزيل، قد أصبحت - بتاريخية النصوص - «مجازا»، عند الدكتور نصر أبو زيد .. أى أن التاريخ قد طوى وتجاوز «حقائق» القرآن الكريم!..

وتتوالى نصوص الدكتور نصر، التى تلح على تاريخية معانى ودلالات وأحكام القرآن، فتقول: «إن الخطاب الإلهي - [القرآن] - خطاب تاريخي .. لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا ثابتا له إطلاقية المطلق وقداسة الإله[١٠]..

إن القرآن نص ديني ثابت من حيث «منطوقه»، لكنه من حيث ما يتعرض له العقل الإنساني ويصبح «مفهوما» يفقد صفة الثبات.. ومن الضروري هنا أن نؤكد أن حالة النص الخام المقدس حالة ميتافيزيقية لا ندرى عنها شيئا.. والنص منذ لحظة نزوله الأولى تحول من كونه (نصا إلهيا) وصار فهما (نصا إنسانيا)، لأنه

تحول من التنزيل إلى التأويل. إن فهم النبي [صلى الله عليه وسلم] للنص يمثل أولى مراحل حركة النص في تفاعله بالعقل البشرى، ولا التفات لمزاعم الخطاب الديني بمطابقة فهم الرسول [صلى الله عليه وسلم] للدلالة الذاتية للنص، على فرض وجود مثل هذه الدلالة الذاتية»[١١].

فالقرآن، الذي بين أيدينا، هو نص بشرى، وليس نصا إلهيا، إنه ليس «التنزيل» الذى تعهد الله بحفظه، لأنه نص لغوى، فهو، لذلك، بشرى، تحول عن كونه (نصا إلهيا) إلى أن أصبح منذ أول تلاوة نبوية له إلى (نص إنسانى)، فهو ليس كتاب الله وإنما هو كتاب البشر - البشرى - والحديث عن منطوقه الثابت والمقدس هو حديث عن «حالة ميتافيزيقية» لا ندرى عنها شيئا، وحتى ما ذكره القرآن عن هذه الحالة الميتافيزيقية فإننا نفهمه فهما إنسانيا نسبيا متغيرا لا ثبات فيه ولا قدسية له.. وعلى فرض - [وهو مجرد فرض] - أن القرآن كانت له دلالات ذاتية، فإن هذه الدلالات لم يفهمها حتى الرسول نفسه، فالرسول - لبشريته - عاجز عن فهم حقيقة الرسالة وكنه البلاغ القرآني وجوهر الدلالات الإلهية للنص القرآني؟!.

ويمضي الدكتور نصر، ليباهي بتجاوزه بهذه النظرية كل علوم الأقدمين - علوم القران - فيقول عن مقاصده هو من «البعد التاريخي للنصوص الدينية - [القرآن والحديث] - »: «.. **وليس المقصود بالبعد التاريخي هنا علم أسباب النزول - ارتباط النصوص بالواقع، والحاجات المثارة فى المجتمع والواقع - أو علم الناسخ والمنسوخ - تغيير الأحكام لتغير الظروف والملابسات - أو غيرها من علوم القرآن - فإن البعد التاريخي الذي نتعرض له هنا يتعلق بتاريخية المفاهيم التى تطرحها النصوص من خلال منطوقها.. فليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص، بل لكل قراءة - بالمعنى التاريخي الاجتماعي جوهرها الذي تكشفه في النص.. ينطبق هذا على النصوص التشريعية وعلى نصوص العقائد والقصص.. إن النصوص الدينية قد «تأنسنت» منذ تجسدت في التاريخ واللغة.. وهي محكومة بجدلية الثبات والتغير، فالنصوص ثابتة في «المنطوق» متحركة متغيرة فى «المفهوم»[١٢].**

ولست أدري - ولعل الدكتور نصر وحده دون الناس جميعا هو الذي يدري - لماذا يصبح القرآن منذ لحظة تفاعله مع العقل البشرى وظهور معانيه متلبسة فى الألفاظ العربية، (نصا إنسانيا) (لا إلهيا)؟!.. وهل - قياسا على هذا «المنطق» الذى اخترعه الدكتور نصر لا تصبح قصيدة الشعر، عند إنشادنا لها، وبعد نظمها فى لغتنا العربية، منسوبة للشاعر الذى نظمها؟!.. وهل انقطعت نسبة كتب الدكتور نصر إليه، بعد صياغتها العربية وقراءتنا لها وتفاعل عقلنا معها؟!.. أم أن انفصال «النص» عن قائله، منذ لحظة بروزه في اللغة والقراءة له أمر خاص بقول الله، سبحانه وتعالى، فى القرآن الكريم؟!.

إنه المنهج المادي.. فلا الخلق خلق الله.. ولا القرآن كلام الله.. وإنما هي الطبيعة تخلقت ذاتيا، والقرآن (نص بشري.. إنسانى) لا ندرى شيئا عن مرحلة إلهيته - فهى ميتافيزيقا - ولا علم لنا بدلالاته فى مرحلة قدسيته وإطلاقه - على فرض أنه كان كذلك؟!.

ويؤكد الدكتور نصر على أن «تاريخية المعنى»، التى تتجاوزه وتطوى صفحته، لتُحلّ محل المعاني الثابتة «المغزى» المتغير بتغير

القراءة، والمتعدد بتعدد القراء، هو أمر مختلف عن «القياس»، ففي القياس امتداد الحكم المنصوص عليه إلى حالة غير منصوص عليها، مع الاحتفاظ بالحكم وعدم تجاوز المقيس عليه.. ففيه مرونة، لكنها لا تطوى صفحة النصوص والمعاني والأحكام والأصول.

يؤكد الدكتور نصر أن تاريخية النصوص عنده ليست هي مرونة القياس.. بل إنها البديل الذى يلغي المعنى ويتجاوز الحكم ويطوي صفحة الأصل، فلا يصبح هناك مجال للقياس أصلا .. «فبدلا من الاعتماد على آلية القياس لنقل الحكم من أصل إلى فرع لاتفاقهما فى العلة - التى هى مسألة اجتهادية أيضا - فإننا نعتمد هنا على التفرقة بين «المعنى» و«المغزى» .. فالمعنى يمثل الدلالة التاريخية للنصوص فى سياق تكوّنها وتشكلها.. أما المغزى فذو طابع معاصر، بمعنى أنه محصلة لقراءة عصر غير عصر النص.. والذي ندعو إليه هو عدم الوقوف عند المعنى .. وضرورة اكتشاف «المغزى» الذى يمكن لنا أن نؤسس عليه الوعي العلمي التاريخي»[١٣].

ولا ينسى الدكتور نصر أن يضرب لنا أمثلة - هى بمثابة «وسائل إيضاح» لتطبيقات هذا المنهج، الذى يدعو إلى تجاوز المعنى الذى دل عليه اللفظ القرآنى فى عصر النزول، والبحث عن المغزى من وراء الأحكام والعقائد والقصص - والذى يتجدد ويتعدد بتجدد القراءات وتعدد القراء.

فإذا كان «المعنى» القرآنى قد أعطى للأنثى نصيبا محددا فى الميراث - بعد أن لم تكن ترث أصلا - فيجب أن لا نقف عند هذا المعنى - النصيب الذى تحدد لها فى القرآن - وإنما يجب تجاوز هذا «المعنى» إلى «المغزى» - الإنصاف بعد الظلم - لنسير على درب الإنصاف إلى مالا نهاية.. **«فالمعانى الواردة فى النصوص عن المرأة - بما فى ذلك توريثها نصف نصيب الذكر - ذات مغزى يتحدد بقياس طبيعة الحركة التى أحدثها النص .. وهى حركة تتجاوز الوضع المتردى للمرأة وتسير فى اتجاه المساواة المضمرة والمدلول عليها فى نفس الوقت[١٤]»** وليس من المقبول أن يقف الاجتهاد عند حدود المدى الذى وقف عنده الوحي وإلا انهارت دعوى الصلاحية لكل زمان ومكان من أساسها»[١٥].

ولست أدري كيف إذا لم نقف عند المدى الذى وقف عنده الوحي، وتحللنا من معناه ومنطوقه ودلالته، يكون - مع ذلك - صالحا لكل زمان ومكان؟!.. بينما يكون فى بقاء معانيه والتزام أحكامه انهيار صلاحيته لكل زمان ومكان من الأساس؟!.. وأليس فى تجاوز المعاني والدلالات والأحكام القطع بأن صلاحيتها إنما هي خاصة فقط بزمان النزول دون الأزمنة الأخرى؟!.

وإذا كانت «حالة» ميراث الأنثى هي مجرد مثال ضربه الدكتور نصر «للمغزي» - المضمر والمسكوت عنه - الذي نتجاوز به المعنى «فلا يقف اجتهادنا عند حدود المدى الذى وقف عنده الوحي».. فلقد أفصحت نصوصه عن أن مقصده هو تجاوز كثير من أحكام التشريع الاسلامي، وإسقاطها، فقال: **«وإذا قرأنا نصوص الأحكام من خلال التحليل العميق لبنية النصوص - البنية التى تتضمن المسكوت عنه - وفي السياق الاجتماعى المنتج للأحكام والقوانين - فربما قادتنا القراءة الى إسقاط كثير من تلك الأحكام، بوصفها أحكاما تاريخية، كانت تصف واقعا أكثر مما تصنع**

تشريعا»[١٦]٠٠ فالنص شكّله الواقع٠٠ والأحكام والقوانين انتجها السياق الاجتماعي٠٠ ولا شيء من عند الله!٠٠

وإذا كان الدكتور نصر قد دعا إلى عدم قصر «التاريخية» على «النصوص التشريعية، دون نصوص العقائد والقصص»[١٧]٠٠ فلقد وجدناه ـ بسبب هذا التعميم ـ يعيب على الدكتور طه حسين [١٣٠٦ ـ ١٣٩٣هـ/ ١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م] تراجعه عن التشكيك ـ الذي ذكره في كتاب (فى الشعر الجاهلي) ـ في القصص القرآنى عن إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، والرحلة الحجازية لإبراهيم، ورفعهما القواعد من البيت الحرام٠٠ فتراجع طه حسين عن هذا التشكيك في القصص القرآني، هو ـ بنظر الدكتور نصر ـ «تردد» يعكس «التلفيق» النابع من «نقص وعي الطبقة ـ [التي ينتسب إليها طه حسين] ـ الناتج من طبيعة تكوينها الهش والجنيني»[١٨]٠٠ وهو «التردد» الذي جعل طه حسين لا يصر على تعميم «التاريخية» في القصص القرآني ٠٠ التاريخية التي قال الدكتور نصر «إنها تحرك دلالة النصوص وتنقلها فى الغالب من الحقيقة إلى المجاز»[١٩]٠٠ فيصبح القصص القرآني «مجازا فنيا» لا علاقة له بصدق الحقيقة ولا بواقع التاريخ!٠٠

وغير تطبيق هذه «التاريخية» التى تتجاوز «المعنى» إلى «المغزى» المضمر والمسكوت عنه والتى تنتقل بالنصوص «من الحقيقة الى المجاز» غير تطبيقها على النصوص التشريعية والقصص القرآني، يدعو الدكتور نصر إلى تطبيقها كذلك على عقائد الاسلام٠

ولست أدري ٠٠ ماذا ستكون عليه تصوراتنا للعقائد الاسلامية إذا نحن لم نقف عند حدود المعاني التي حددها الوحي الإلهي، وذهبنا متجاوزين «المعنى» إلى البحث عن «المغزى» ومتجاوزين «الحقيقة» إلى «المجاز»٠٠ إن عالم الغيب، والجنة والنار، والحساب والجزاء، والثواب والعقاب، بل والألوهية، والتوحيد، والخلق، والملائكة٠٠ الخ ٠٠ الخ٠٠ ستتحول جميعا إلى «مجازات» وتصورات متحررة تماما من المعاني التي حددتها لها آيات القرآن٠

والدكتور نصر، وإن لم يضرب لنا «الأمثلة التوضيحية» للصور المجازية التي ستكون لهذه العقائد في «المغزى» المتجاوز «للمعنى» ٠٠ إلا أنه قد حدثنا عن «أن العقائد هي تصورات مرتهنة بمستوى الوعي وبتطور مستوى المعرفة فى كل عصر٠٠ وأن النصوص الدينية قد اعتمدت في صياغة عقائدها على كثير من التصورات الاسطورية فى وعي الجماعة التى توجهت إليها النصوص الدينية بالخطاب»[٢٠]٠

**وهكذا تحول «التاريخية» عند الدكتور نصر الحقيقة إلى مجاز٠٠ وتتجاوز المعنى إلى المغزى ٠٠ وتطوي صفحة الدلالات الواضحة لتستبدل بها «المضمر والمسكوت عنه» الذى تكتشفه «القراءة غير البريئة»!٠٠ فتسقط أكثر الأحكام التشريعية٠٠ ويصبح القصص القرآنى «فنا» لا علاقة له بالحقيقة٠٠ وتصبح العقائد الاسلامية صياغة متطورة للتصورات الأسطورية فى وعي الجماهير!٠٠**

وإذا كانت هذه التاريخية، التى تسير مع «المغزى» دون الوقوف عند «المنطوق» و«المعنى»، قد تجاوزت ـ فى نصوص الدكتور نصر ـ تمييز الأنثى عن الذكر فى الميراث إلى مساواتها به٠٠ أفلا يسوغ لنا ـ والمنطوق القرآني قد

وحّد المعبود - بعد أن كان متعددا - أن نتجاوز - مع «المغزى» - هذه الوحدانية، إلى حيث نقول بأنه «لا إله والحياة مادة. وإن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر»!!.. فنواصل السير على طريق «المغزى» دون وقوف عند معاني القرآن الكريم؟!.

إنه نفس «منطق» المادية الجدلية، الذى استلهمه الدكتور نصر أبو زيد فى تطبيقه لتاريخية النصوص على القرآن.

وإذا كان القول «بتاريخية النصوص الدينية - (القرآن .. والحديث) - قد جعل الدكتور نصر يقول:

*** إننا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية.. ونقل دلالاتها من الحقيقة إلى المجاز.. فالقرآن خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا ثابتا له إطلاقية المطلق.. وليس ثمة عناصر ثابتة فى النصوص الدينية، بل لكل قراءة - بالمعنى التاريخى الاجتماعي - جوهرها الذى تكشفه فى النص».**

*** وإذا كان قد طبق هذه «التاريخية» على نصوص «العقائد» و«القصص القرآني»، وليس، فقط، على النصوص التشريعية.. لأن العقائد قد تأسست على التصورات الأسطورية فى وعي الجماعة».**

فألغى الثوابت.. وقطع صلات الدين بمصدره الإلهي - عندما «أنْسَنَ» الوحى والنبوة والعقيدة والشريعة.

إذا كان قد صنع هذا الذى سقنا فيه نصوصه العديدة.. فيبدوا أن «جعبة» التاريخية عنده لا يزال فيها المزيد!.

ففي كتاب الدكتور نصر (نقد الخطاب الديني) نشر دراسة ضافية فى نقد المشروع الفكرى للدكتور حسن حنفي - مشروع اليسار الاسلامي - والذى قام فيه الدكتور حسن - تحت شعار «التجديد» - هو الآخر - بأنسنة الدين، وتفريغ الإسلام من محتواه الديني .. فحوّل «الإله» إلى «الكفاح المسلح» أو «الإصلاح الزراعي» وما وراء الطبيعة إلى طبيعة - الميتافيزيقي إلى فيزيقي - والوحي إلى علم إنساني .. الخ... الخ.

لكن الدكتور نصر لم يقنع بمستوى «الكارثة» التى صاغها الدكتور حسن حنفى «مشروعا فكريا» لأن هذا المشروع لم يلغ «القديم»، وإنما أدى تجديده «إلى تجاور بين القديم والجديد، ووقع فى التلوين بقدر ما تباعد عن التأويل»!

غير أن «الموضوعية» دعت الدكتور نصر إلى الحديث عن «إنجازات» حسن حنفي، بعد حديثه عن «الإخفاقات» التى وقع فيها، فكانت الصفحات التى كشفت فى «تاريخية النصوص» - عند الدكتور نصر - عن أبعد وأغرب مما أشرنا إليه فيما تقدم من صفحات!.

فهو لا يكتفي بتحويل حسن حنفي الألوهية إلى اختراع من اختراعات الإنسان المحبط، أضفى عليها صفات الكمال التى لم يستطع تحقيقها فى واقعه، ونفى عنها صفات السلب والنقص التى ملأت عليه حياته.

ولا يكتفى بتحويل حسن حنفى الوحي إلى فكر إنساني، وخبرة بشرية، مقطوع الصلة بالألوهية.. وتحويل الحقائق الدينية إلى مجازات.. لا يكتفى بذلك، ويراه مجرد «اقتراب» من الهدف.. لأن الهدف - عند الدكتور نصر - هو «إلغاء الوحي، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء»، فلا

داعي لاستمرار هذه العقائد حتى ولو كانت فى صورة «فكر إنسانى وخبرة بشرية»!.

**فحسن حنفى - بنظر الدكتور نصر - «متردد»، و«فائدة مشروعه تتمثل فى خلخلة بنية الفكر الدينى»** لكنه لم يحظ «بشرف» إلغاء الصورة الإنسانية والمجازية لعقائد التوحيد والبعث والجزاء؟!. وحتى لا يرتاب القارىء فى دقة هذا الذى نقول، فإننا نقدم نصوص الدكتور نصر، التى تحدث فيها عن «إخفاقات وإنجازات» مشروع الدكتور حسن حنفى، والتى يقول فيها: في هذا المشروع - لليسار الاسلامي - تحول هدف «إعادة البناء» - [للعلوم الاسلامية] - إلى «إعادة طلاء»، وتحول التجديد إلى تجاور القديم والجديد، ووقع المشروع كله فى التلوين بقدر ما تباعد عن التأويل، لكن هذا الإخفاق الواضح على جميع المستويات لا يمثل الحقيقة كلها، فقد حقق المشروع إنجازات لا سبيل إلى تجاهلها.

فهناك جهد واضح لمحاولة تأويل العقائد، وعقيدة الألوهية خاصة، على أساس أنها محاولات من الإنسان لتجاوز اغترابه عن العالم، فيخلق فى الشعور كائنا من ذاته - على غرارها - بعد أن يضفى عليه كل صفات الكمال والقوة فى صورتها المثالية، وبعد ان ينفى عنه كذلك كل صفات الضعف التى يأنف منها.. إنها محاولة مشروعة لتحويل الألوهية إلى أنثروبولوجيا، والإلهيات إلى إنسانيات..

وهناك الإصرار على تاريخية واقعة «الوحي».. أى تحويل الوحى الى خبرة بشرية.. وتحويل العلم الإلهي الى علم إنساني.

وهكذا يقارب «اليسار الإسلامي» تخوم حل ثنائية النقل - العقل حلا جدليا.. وهكذا يكاد الخطاب اليساري أن يحول الوحي الى الطبيعة ويرد الميتافيزيقي إلى الفيزيقي، ويبلور فهما تنويريا للعقيدة والوحي.. فالوحي اسم يطلق على النشاط الذهني للإنسان فى كل زمان ومكان. ثم يمضى الدكتور نصر، معبرا عن عدم رضائه عن هذه «الإنجازات» فهى «قاربت» مقاصد الدكتور نصر، ولم تبلغها، و«كادت» تحل المشكلة لكنها لم تحلها.. فيقول: «لقد احترزنا بالقول إن اليسار الاسلامي قارب تخوم حل ثنائية النقل - العقل حلا جدليا، دون أن نقرر أنه حلها فعلا.. فثمة سؤال جوهرى يطرح نفسه: ألا تتعارض مسألة استمرارية الوحي - ولو بالمعنى المجازي - مع تاريخيته المطروحة قبل ذلك؟ وبعبارة أخرى: ما الهدف والغاية من استمرار الوحي، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء؟. إن الإصرار على استمرارية الوحي - بالمعنى المجازي - الوحي الطبيعي - إصرار يكشف عن الطابع المتردد الذى يحاول أن يلوذ بالتأويل عن طريق التحويل الدلالي، فيقع فى التلوين.. وفى هذا التلوين يفقد مفهوم الوحي بُعده التاريخي، ويتحول إلى مبادىء ونظريات عامة ذات طابع يقينى مطلق خارج الزمان والمكان، أى خارج التاريخ. لكن هذا التردد.. على ما يؤدى إليه من نتائج ضارة على المستوى المعرفي الخاص، لا يخلو من فائدة تتمثل فيما يحدثه من خلخلة فى بنية الفكر الديني المسيطر والمستقر»[٢١]؟!.

**تلك هى مقاصد الدكتور نصر أبو زيد.. التاريخية، التى تلغى الوحي، حتى ولو كان بالمعنى المجازي والطبيعي، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء!..**

فهل تتسق أفكار الدكتور نصر، فى هذه

القضايا التى عرضنا لها، مع إعلانه فى بيانه إلى الناس: «أنا مسلم، وفخور بأننى مسلم، أومن بالله، وبالرسول، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره»؟.. **إن المؤمنين بالإسلام، لا يختلفون على:**

**- ألوهية القرآن الكريم وقدسيته، لأنه كلام الله القدوس.**

**- ومفارقة ظاهرتي النبوة والوحي للواقع والطبيعة وقوانينهما.**

**- والوضع الإلهي للعقيدة والشريعة - لأنهما جماع الدين - والوحي بهما إلى من اصطفاه الله نبيا ورسولا.**

**- وخلود المبادىء والقواعد والمقاصد والأحكام التي جاء بها النص القرآني - بحكم كونه الوحي الخاتم للشريعة الخاتمة - فلا وحي بعد القرآن، ولا نبوة بعد محمد {صلى الله عليه وسلم} ولا شريعة بعد شريعة الإسلام.. الأمر الذى يجعل تاريخية أحكام النص القرآنى هي وختم النبوة والرسالة وخلود الدين على طرفي نقيض - ناهيك عن كارثة القول بتاريخية العقيدة - عقيدة الألوهية - أيضا؟!..**

وإذا كان الإسلام قد نزع من مطلق البشر سلطان الحكم على ما في الضمائر والقلوب .. فإننا - مع الدكتور نصر أبو زيد - بإزاء كتابات - أوردنا نصوصها الكاملة - والحد الأدنى لما يجب قوله إزاءها، هو أن المطلوب مراجعة هذه الكتابات لتتسق مع العقائد المعلومة بالضرورة من دين الاسلام، والتى لم يختلف فيها ولا عليها أحد من خاصة وعامة المؤمنين بهذا الدين.

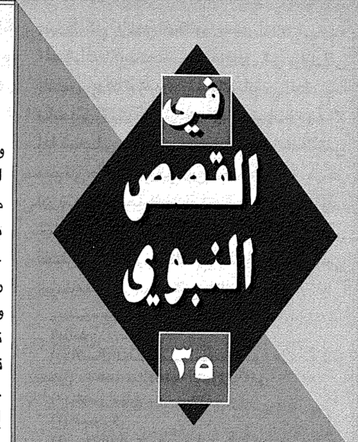
وعسى أن يكون هذا الذى قدمناه - حول القرآن . والنبوة .. والوحي .. والعقيدة.. والشريعة.. وتاريخية النصوص الدينية - مبررا كى يراجع الدكتور نصر آراءه فى هذه المعتقدات الاسلامية.. فلقد قال - فى بيانه إلى الناس: «وأنا فخور باجتهاداتي العلمية وأبحاثى، ولن أتنازل عن أى اجتهاد فيها إلا إذا ثبت لى بالبرهان والحجة أننى مخطىء»[٢٢]. وهى روح علمية طيبة، نرجو أن تثمر ثمارها الطيبة إن شاء الله .. تثمر ثمارها فى حل هذا التناقض الصارخ والبادى للعيان بين أفكار وكتابات الدكتور نصر - التى أوردناها - وبين بيانه إلى الناس!.

---

الهوامش:

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٤ ص١١، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة ١٩٩٢م.
(٢) المصدر السابق جـ١ ص٦٧٠.
(٣) الحجر/ ٩.
(٤) مجلة (القاهرة) مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق - أكتوبر ١٩٩٢م.
(٥) نقد الخطاب الدينى ، ص ٨٣، طبعة القاهرة ١٩٩٢م.
(٦) إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص ٢٢٨، طبعة بيروت سنة ١٩٩٢م.
(٧) المرجع السابق ص ٤٨.
(٨) مجلة (المصور) عدد ١٩٩٥/٦/٢٣م.
(٩) نقد الخطاب الدينى، ص ١٩٧؛ ١٢٨.
(١٠) مجلة (القاهرة) مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق - اكتوبر سنة ١٩٩٢م.
(١١) نقد الخطاب الديني ص ٩٣، ٩٤.
(١٢) المرجع السابق ص ٨٢ - ٨٤.
(١٣) المرجع السابق، ص ٢١٧، ٢١٨، ١٩٣.
(١٤) المرجع السابق ص ٢٢٢.
(١٥) المرجع السابق ص ١٠٦.
(١٦) مجلة (القاهرة) إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الديني - يناير ١٩٩٣م.
(١٧) نقد الخطاب الدينى ص ٨٣.
(١٨) مجلة (القاهرة) مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق - أكتوبر ١٩٩٢م.
(١٩) نقد الخطاب الدينى ص ١٩٨.
(٢٠) مجلة (القاهرة) - إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى - يناير ١٩٩٣م.
(٢١) نقد الفكر الديني ص ١٧٢، ١٧٤ - ١٧٩.
(٢٢) الأهرام فى ١٩٩٥/٦/١٩م.

# نار جهـ




### جهنم موجودة الآن:

من أركان الإيمان التسليم بأن لله دارين الجنة والنار بعد هذه الحياة الدنيا يقول ابن قيم الجوزية[١] «فاقتضت حكمته - سبحانه - أن خلق دارا لطالبي رضاه، العاملين بطاعته، المؤثرين لأمره، القائمين بمحابه وهى الجنة.. وخلق دارا أخرى لطالبي أسباب غضبه وسخطه، المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مرضاته، القائمين بما يكره من الأعمال والأقوال، الواصفين له بمالا يليق به، الجاحدين لما أخبرت به رسله من صفات كماله ونعوت جلاله، وهى جهنم .. وخلق دارا ثالثة، هى كالميناء لهاتين الدارين، ومنها يتزود المسافرون إليهما وهي دار الدنيا».

وعقيدة أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن، وقد جاءت النصوص بذلك مثل قوله تعالى: {ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى}.

وقد جاء فى القصص النبوي العديد من النصوص في حقيقة جهنم ووجودها في الدنيا مما سبق ذلك فى هذا البحث. ونذكر - هنا - ببعضها. من ذلك ما جاء فى صحيح مسلم[٢] عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذ سمع وجبة[٣] فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} تدرون ما هذا، قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا، فهو يهوي فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها). ومن القصص أيضا ما جاء عن عبد الله بن عمر[٤] - رضى الله عنهما - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «إن أحدكم إذا مات، عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله - تعالى - يوم القيامة». ومن القصص الطوال التى عرضناها في غير هذا المكان، قصة عن البراء بن عازب[٥]، قال «خرجنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى جنازة، فجلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على القبر وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير».. وجاء فى القصة (قال: وإن العبد الكافر، إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه.. ويأتيه ملكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدرى، فينادى مناد من السماء: أن كذب عبدي، فافرشوه من النار،

## ...نم وأهوالها (الحلقة الأخيرة)

وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه حرها وسمومها)٠ ومما يدل على وجود النار والجنة الآن ما جاء فى القصة التى رواها عبد الله بن عباس[٦] - رضى الله عنهما - قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وفيها يقول: (فقال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، فقالوا: يارسول الله، رأيناك تناولت شيئا فى مقامك، ثم رأيناك تَكَعْكَعْتَ[٧]، فقال: إنى رأيت الجنة وتناولت عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يارسول الله؟ قال: بكفرهن٠ قيل أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط)٠ وفى قصة عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: (ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتي هذه، لقد جيء بالنار، وذلك حين رأيتمونى تأخرت مخافة أن يصيبنى من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحْجن[٨] يجر قصبه فى النار، وكان يسرق الحاج بمحجنه، فإذا فطن له قال: إنما تعلق بمحجنى، وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت صاحبة الهرة، التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا، ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت حين قمت فى مقامي، ولقد مددت يدى وأنا أريد أن أتناول من ثمرها، لتنظروا إليه، ثم بدا لى أن لا أفعل، فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتي هذه) وقد تقدمت فى صدر هذا الباب قصة نقلناها عن القرطبي، ونذكر بها هنا أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال:[٩] (لما خلق الله - تعالى - الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة٠٠٠ قال ثم أرسله إلى النار٠٠) وقصة (اختصمت الجنة والنار ٠٠) وقصة (بينما أنا أسير فى الجنة وإذا انبهر فى الجنة٠٠) وقصة تقول (دخلت الجنة٠٠٠) وغير ذلك مما تقدم (اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين٠٠) فهي تتنفس فى الشتاء والصيف فهي موجودة٠

بقلم:
أ٠د: عبد الباسط احمد على حمودة
- مصر -

مثل هذه النصوص وغيرها تقطع بوجود جهنم فى الحياة الدنيا٠

### مكان جهنم من الكون:

يفهم من أقوال المفسرين فى قول الله تعالى: [فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدَّت للكافرين] أن الإعداد دليل الخلق والإيجاد، وأنها أرصدت وهيئت٠

أما عن مكان جهنم فإنه جاء فى رواية عن عبد الله بن سلام أن رسول [صلى الله عليه وسلم] قال:[١٠] «الجنة فى السماء، والنار فى الأرض» وفي تحديد أدق جاء فى رواية عن أبى أسامة قال: رأيت عبادة بن الصامت على سور بيت المقدس وهو يبكى، فقلت ما يبكيك؟ قال

ههنا أخبرنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه رأى مالكا يقلب الجمر كالقطف.

وجاء في أخرى عن عبادة بن الصامت - أيضا - أنه قام على سور بيت المقدس الشرقي فبكى، فقيل ما يبكيك؟ قال: من ههنا أخبر النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه رأى جهنم.

وذكر القرطبي[١١] قصة عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (لا يركب البحر إلا رجل غاز أو حاج أو معتمر؛ فإن تحت البحر نارا) وقال عبد الله بن عمر - رضى الله عنه - (ولا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم) ولكن في الروايتين ضعف. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قول الله - تعالى: {وإذا البحار سُجِّرت} قال: أوقدت فصارت نارا.

وخرج أبو داود عن أنس يرفعه إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} (إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار) وروى عن كعب الأحبار أنه قال: (يجاء بالشمس والقمر كأنهما ثوران عقيران، فيقذفان في النار).

وذكر ابن كثير في تفسيره قول الله تعالى[١٢]: {وإن جهنم لمحيطة بالكافرين} قال شعبة عن سماك عن عكرمة قال: البحر، وعن الشعبي أنه سمع ابن عباس يقول: (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) وجهنم هو هذا البحر الأخضر، تنتثر الكواكب فيه، وتكور فيه الشمس والقمر، ثم يوقد فيكون هو جهنم.

وروى الإمام أحمد عن صفوان بن يعلى عن أبيه أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (البحر هو جهنم) قالوا ليعلى فقال: ألا ترون أن الله - تعالى - يقول: (نارا أحاط بهم سرادقها) قال: لا والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبدا حتى أعرض على الله، ولا يصيبني منها قطرة حتى أعرض على الله - تعالى -

ويذكر ابن كثير قصة عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء، والحوت على صخرة، والصخرة بيد الملك، والثانية سجن الريح، والثالثة فيها حجارة جهنم، والرابعة فيها كبريت جهنم، والخامسة فيها حيات جهنم، والسادسة فيها عقارب جهنم، والسابعة فيها سقر، وفيها إبليس مصفد بالحديد - يد أمامه ويد خلفه - فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه). وذكر ابن كثير أثرا - قال عنه إنه غريب - قال ابن عباس: خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها، ثم خلق من وراء البحر جبلا يقال له قاف، سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله - تعالى - من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطا بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه، حتى عدَّ سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سماوات، قال: وذلك قوله تعالى: {والبحر يمده من بعده سبعة أبحر}. وذكر ابن كثير في تفسير قول الله - تعالى - (وإذا البحار سُجِرت)[١٣] قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال: قال علي - رضي الله عنه - لرجل من اليهود أين جهنم؟ قال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقا (والبحر المسجور - وإذا البحار سجرت). وقال ابن عباس وغير واحد: يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير نارا تتأجج.. وعن معاوية بن سعيد قال: إن هذا البحر بركة - يعني بحر الروم - وسط الأرض، والأنهار كلها تصب فيه، والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس، فإذا كان يوم القيامة أسجر.. وقد تقدم حديث رواه هنا في سنن

أبى داود: (لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فإن تحت البحر نار أو تحت النار بحرا)٠

وروى الإمام أحمد فى مسنده[١٤] عن عمر بن الخطاب عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات، يستأذن الله - تعالى - أن ينفضخ عليهم، فيكفه الله - عز وجل)٠

والجنة والنار من الغيبيات التى يجب الإيمان بها والتسليم بما جاء عنها فى الكتاب والسنة، لأن مدارك البشر محدودة فى الأمور الظاهرة فكيف بها فى الأمور الباطنة وأمور الآخرة٠ ونسوق هنا بعض ما جاء فى القصص النبوي مما يوضح قدرة الله، وسعة ملكوته٠ جاء فى مسند الإمام أحمد[١٥] أن هرقل كتب إلى النبي {صلى الله عليه وسلم}: إنك دعوتنى إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} (سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟) وهذا جواب مسكت ومعجز٠

وعن طارق بن شهاب: أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال لهم عمر: أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار؟ فقالوا: لقد نزعت مثلها من التوراة٠ وفى منتخب كنز العمال[١٦] عن طارق أيضا قال: جاء يهودى إلى عمر بن الخطاب، فقال: أرأيت قوله - تعالى: {وجنة عرضها السموات والأرض} فأين النار؟ فقال عمر لأصحاب محمد {صلى الله عليه وسلم} أجيبوا، فلم يكن عندهم فيها شيء، فقال عمر: أرأيت النهار إذا جاء الليل يملأ الأرض، فأين الآخر؟ قال: حيث شاء الله، فقال عمر: والنار حيث شاء الله، فقال اليهودى: والذى نفسي بيده - يا أمير المؤمنين - إنها لفي كتاب الله المنزل كما قلت٠

وعن أبي هريرة قال[١٧]: جاء رجل إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: أرأيت قوله تعالى: {جنة عرضها السموات والأرض} فأين النار؟ قال: (أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء، فأين النهار؟) قال: حيث شاء الله، قال: (وكذلك النار تكون حيث شاء الله - عز وجل)٠

قال ابن كثير: وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى فى ذلك، أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل، إذا جاء النهار، أن لا يكون فى مكان، وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث شاء الله - عز وجل - وهذا أظهر، كما تقدم فى حديث أبى هريرة عن البزار٠

الثانى: أن يكون المعنى أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب، فإن الليل يكون من الجانب الآخر، فكذلك الجنة فى أعلى عليين، فوق السموات تحت العرش وعرضها كما قال: (عرضها السموات والأرض) والنار فى أسفل سافلين، فلا تنافى بين كونها كعرض السموات والأرض، وبين وجود النار٠ والله أعلم٠

---

الهوامش:

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص١٥٨٠
(٢) جـ٧ ص٢١٦٠
(٣) وجب الشيء سقط أى سمع سقطة٠
(٤) صحيح حادى الأرواح ص٣٨٠
(٥) صحيح حادى الأرواح لابن قيم الجوزية٠
(٦) المرجع السابق ص٤٠٠
(٧) تراجعت٠
(٨) العصا معوجة الطرف٠
(٩) المرجع السابق ص٤١٠
(١٠) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص٩٥٠
(١١) التذكرة ص٤٥٦٠
(١٢) جـ٣ ص٤١٩ وص١٤٢ وجـ٤ ص٢٢١، ص٤٧٦٠
(١٣) سورة التكوير آية ٦٠
(١٤) ابن كثير جـ٤ ص٢٤٠٠
(١٥) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٠٤٠
(١٦) جـ ٦ ص٩٩٠
(١٧) ابن كثير جـ١ ص٤٠٤٠

## تربية:

# سنن الفطرة وآثارها التربوية

الإسلام دين الفطرة التي قال فيها الحق سبحانه: {فطرة الله التي فطر الناس عليها} (الروم/٣٠). وتتمثل هذه الفطرة في طهارة المسلم الظاهرية والباطنة. فأما طهارة الباطن فهي متعلقة بالقلب، وتعني تطهير النفس الإنسانية من الشرك بالله، وتتطلب اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وأداء الأعمال الصالحة والأفعال الخيِّرة.

وأما طهارة الظاهر فهي الفطرة العملية المشتملة على كل ما له علاقة بجمال المنظر عند الإنسان المسلم وحسن سمته. لما في ذلك من ملاءمة للفطرة السوية التي خلق الله الإنسان عليها، والتزام بهدي النبوة المباركة. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» رواه أبو داود. ولأن الاسلام هو دين الفطرة الذي عرف أسرارها، وكشف خباياها، وسبر أغوارها، فقد قدم لها ما يصلحها وما يصلح لها من تعاليم وسنن وتوجيهات جاءت كالثوب المناسب لمختلف الأعضاء، والملائم لشتى الأبعاد. لذلك كله جاءت سنن الفطرة لتشكل رافداً من روافد التربية الجمالية في حياة المسلم، ولتعرض نموذجاً مثالياً لحياة المصطفى {صلى الله عليه وسلم}، كما أنها تحقق معنى التوازن الذي تفتقده جميع الفلسفات البشرية التي عرفها الانسان قديماً وحاضراً، حيث إنها تركز مرة على الجانب الجسدي، وتارة على الجانب العقلي، واخرى على الجانب النفسي، وهكذا. كل هذا يعني أن سنن الفطرة تضع الشخصية المسلمة في وضع متوازن عادل يمثل الوسطية المطلوبة، فلا افراط ولا تفريط. وليس هذا فحسب بل إن هذه السنن في مجموعها تمنح الإنسان تكريماً إلاهياً يأتي كأبدع ما يكون التكريم.

### ما هي الفطرة ؟!

قال الامام النووي - رحمه الله [١] - «وأما الفطرة فبكسر الفاء، وأصلها الخلقة أو الجبلة، قال تعالى: {فطرت الله التي فطر الناس عليها} (الروم/٣٠).



بقلم: صالح أبو عرّاد الشهري
كلية التربية/ جامعة أم القرى - مكة المكرمة

وفسرها بعض العلماء كالخطابي وغيره بالسُّنة. قالوا: والمعنى أنها من سنن الأنبياء. أما معناها في اللغة فقد جاء في معجم مقاييس اللغة[٢] أن معنى الفطرة: الخلْقه. وقال ابن منظور في

لسان العرب[٣]: «والفطرة: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به، وقد فطره يفطره (بالضم) فطراً أي خلقه» وجاء في دليل الفالحين[٤]: «خصال الفطرة - بكسر الفاء - لأنها مصدر لبيان الهيئة».

وقال الحافظ بن حجر في فتح الباري[٥]: «وقد رد القاضي البيضاوي الفطرة الى مجموع ما ورد في معناها، فقال: هي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء، واتفقت عليها الشرائع القديمة، وكأنها أمر جبلي فطروا عليها». وجاء في تعريف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي[٦]: «الفطرة هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها». كما جاء قوله - رحمه الله - «إن الفطرة شاملة لجميع الشريعة، باطنها وظاهرها، لأنها تنقي الباطن من الأخلاق الرذيلة، وتحليه بالأخلاق الجميلة، التي ترجع الى عقائد الإيمان والتوحيد، والاخلاص لله، والإنابة اليه، وتنقي الظاهر من الأنجاس والأوساخ وأسبابها. وتطهره الطهارة الحسية والطهارة المعنوية. ولهذا قال {صلى الله عليه وسلم}: (الطهور شطر الإيمان).

وقيل[٧] إن هذه السنة هي الأمور التي اختبر الله سبحانه بها خليله ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى: {وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمهن} (البقرة/ ١٢٤). فكان أول من أُمر بها من الأنبياء كما أورد ذلك الخطابي. قال ابن عباس[٨] رضي الله عنهما: «أمره جل وعلا بخمس خصال - ثم عددهن - فلما فعلهن قال: «إني جاعلك للناس إماماً» أي ليقتدى بك ويستن بسنتك. ويقال: إنها كانت عليه فرضاً وهن لنا سنة.

وذكر صاحب فتح الباري[٩] أنه جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: «وإذ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات فأتمهن» قال: ابتلاه الله بالطهارة، خمس فى الرأس، وخمس في الجسد.

### أنواع الفطرة:

قسم الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه «بهجة قلوب الابرار»[١٠] الفطرة الى نوعين:

أحدهما: يطهر القلب والروح، وهو الإيمان بالله وتوابعه من خوفه ورجائه، ومحبته والانابة إليه. قال تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون. منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين} (الروم/ ٣٠ - ٣١). فهذه تزكي النفس وتطهر القلب وتنميه، وتذهب عنه الآفات الرذيلة، وتحليه بالأخلاق الجميلة. وهي كلها ترجع إلى أصول الإيمان وأعمال القلوب.

الثاني: ما يعود الى تطهير الظاهر ونظافته، ودفع الأوساخ والأقذار عنه.

وهي هذه العشرة (الواردة في حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -) وهي من محاسن الدين الاسلامي، إذ هي كلها تنظيف للأعضاء، وتكميل لها، لتتم صحتها، وتكون مستعدة لكل ما يراد منها.

بعض الأحاديث التي بينت سنن الفطرة:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «عشر من الفطرة: قص الشارب، واعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة،

وانتقاص الماء». (رواه مسلم واحمد والنسائي والترمذي).

قال الراوي: «ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة».

قال وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} «الفطرة خمس - أو خمس من الفطرة - : الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب» متفق عليه.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الآباط» متفق عليه.

ومن مجموع هذه الأحاديث وغيرها يتبين أن خصال الفطرة التي وردت عن النبي {صلى الله عليه وسلم} وحثت عليها الشريعة الاسلامية كثيرة، وأنها ليست قاصرة على عدد معين.

قال الامام النووي[١١] - رحمه الله -: «وأما قوله {صلى الله عليه وسلم}: الفطرة عشرة» فمعناها معظمها عشرة، كالحج عرفة. فانها غير منحصرة في العشرة، ويدل عليه رواية مسلم: «عشر من الفطرة». وإنما أريد بالحصر المبالغة لتأكيد أمر الخمس المذكورة في الحديث، كما حمل عليه قوله {صلى الله عليه وسلم} «الدين النصيحة» و«الحج عرفة» ونحو ذلك.

ومن هنا نرى أن خصال الفطرة غير منحصرة في العشر أو الخمس، وانما هي أكثر من ذلك. فهناك من عدها اثنتي عشرة. وجاء في فتح الباري[١٢] أن ابن العربي ذكر «أن خصال الفطرة تبلغ ثلاثين خصلة، فإذا أراد خصوص ما ورد بلفظ الفطرة فليس كذلك، وإن أراد أعم من ذلك فلا تنحصر في الثلاثين بل تزيد كثيراً».

### أهمية سنن الفطرة:

لسنن الفطرة دور بارز في تشكيل معالم شخصية الإنسان المسلم حتى تظهر بصورة مناسبة تميزه عن غيره من المخلوقات التي تشترك معه في بعض هذه الصفات، فيكون بمحافظته عليها صحيح الجسم، سليم التفكير، قوي الهمة، عظيم النشاط.

والعجيب كما ذكر ذلك الدكتور/ أحمد الشرباصي في كتابه «توجيه الرسول للحياة والأحيا»[١٣]: «إن هذه السنن تمتد مواطنها من أعلى هامة الانسان إلى قدميه. ففي أعلى الرأس تكون سنة ترجيل الشعر وتنظيفه وتطييبه، وفي الأنف تكون سنة الاستنشاق، وفي الفم تكون سنة السواك وسنة المضمضة، وفي الابطين تكون سنة نتف الشعر، وفي وسط الانسان تكون سنة حلق العانة، وسنة الختان، وسنة الاستنجاء، وفي الكفين تكون سنة غسل البراجم، وسنة قص الأظافر، وفي القدمين تكون سنة قص الأظافر منها أيضاً» ويضاف الى ذلك: وفي الوجه تكون سنة قص الشارب وسنة اعفاء اللحية.

وذكر ابن حجر[١٤] في فتح الباري موضحاً أهمية هذه السنن: «انه يتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع، منها تحسين الهيئة، وتنظيف البدن جملة وتفصيلا، والاحتياط للطهارتين، والاحسان الى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة

كريهة، ومخالفة شعار الكفار والمجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان، وامتثال أمر الشارع، والمحافظة على ما أشار اليه قوله تعالى: {وَصَوَّركم فأحسن صُوركم} لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة لذلك. وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة، وعلى التآلف المطلوب».

من هنا نرى أن على المسلم أن يحافظ على سنن الفطرة كاملة وأن يفعلها كلها بنية الاقتداء بالرسول {صلى الله عليه وسلم} في كل شأنه، وأن يحرص على متابعة هديه المبارك، والتربي بتربيته النبوية المباركة ليحصل له بذلك الأجر والثواب وليتحقق تمسكه بالسنة النبوية فالأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى.

## سنن الفطرة نموذج تربوي نبوي:

تحتاج كل تربية إلى نموذج واضح يجسد معالم هذه التربية ويوضح تعاليمها بصورة واقعية تنقل المجرد الى محسوس، والقول الى عمل، والنظرية الى تطبيق. وفي ذلك يقول سعيد حوى في كتابه: «الرسول {صلى الله عليه وسلم}»[١٥].

فالأمة بلا علم يوضح لها جوانب سلوكها، وبلا تربية يعرف بها كل فرد من أفرادها واجبه. تصبح أمة فوضوية، تصرفاتها غير متوقعة وغير منضبطة. ولكل فرد من أفرادها سلوك يخالف سلوك الآخر وعادات وتصورات تختلف. فلا تكاد أمة تفلح بهذا ولا فرد».

وفي التربية الاسلامية لا يوجد أعظم ولا أكمل ولا أفضل من شخصية سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} لتكون نموذجاً حياً، وقدوة حسنة للإنسان المسلم في كل زمان ومكان. ولا ريب فهو من اصطفاه ربه جل وعلا وقال فيه: {لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة} (الاحزاب/٢١). وهو الذي بعثه الله لامته معلماً ومزكياً ومربياً. قال تعالى: {لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة} (آل عمران/ ١٦٤). وهو الذي مدحه ربه سبحانه بما منحه فقال له سبحانه في كلمات موجزات: {وإنك لعلى خلق عظيم} (القلم/٤). فكان كل خلق فاضل وسلوك سليم متمثل في حياة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وشخصيته المتكاملة التي استوعبت كل جوانب الحياة.

وبذلك جسَّد الرسول {صلى الله عليه وسلم} منهج التربية الاسلامية السامية في الواقع العملي لحياته متمثلا في سنن الفطرة. من هنا كان للمحافظة على هذه السنن أثر تربوي عظيم يتمثل في أن التزام المسلم بها وتطبيقه لها في واقع حياته يدل على أمرين هما:

* التصديق بما ورد في سيرة الرسول {صلى الله عليه وسلم} والتقليد والاتباع لهدي التربية النبوية في كافة الأعمال وجميع التصرفات وهذا بدوره كفيل بتعود المجتمع المسلم بمن فيه من أفراد على السمع والطاعة والامتثال لأوامر الله والرسول {صلى الله عليه وسلم}، لا سيما وأن في الناس نزعة فطرية لتقليد ومحاكاة من يحبون، وليس هناك أحب عند المسلم من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

* اتخاذ القدوة الحسنة من المعلم الاول والمربي الأعظم {صلى الله عليه وسلم} كشخصية فذة متكاملة متوازنة. وتتضح هذه القدوة في اهتمامه بالجوانب المتعلقة بالجانب

الجسمي والنظافة العامة حينما يتفقد المسلم أظافره فيقصها، وفمه فينظفه، وأسنانه فيسوكها، وشاربه فيقصه، وإبطيه فينتفهما...إلخ.

وهذا بدوره ينفي الزعم الباطل القائل بأن الاسلام لا يهتم بالناحية الجسمية بل ويؤكد قضية التوازن في اهتمام التربية الاسلامية ورعايتها لمختلف الجوانب الجسمية والروحية والعقلية، فلا يستغرب بعد ذلك أن يُعرف المسلم لأول وهلة حين يُرى سَمْته ووقاره، وهيئته الخارجية وشكله العام الذي يميزه عن غيره من الناس. لأن هذه السنن في مجموعها جعلت له شخصية مميزة ومظهراً خاصاً ونموذجاً فريداً يقتدي فيه بإمام الطاهرين وقدوة الناس أجمعين {صلى الله عليه وسلم}.

**سنن الفطرة والتربية الجمالية:**

تدعو التربية الاسلامية دائماً، وتحث على الاهتمام بالمظهر الشخصي والناحية الجمالية، ليكون المسلم جميلا في مظهره، متناسقاً في هندامه، بعيداً عن الدروشة والقذارة والاهمال. قال تعالى: {يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد} (الاعراف/٣١).

فالله سبحانه كما جاء في الحديث: «جميل يحب الجمال». وليس هذا فحسب بل ان في ذلك اشباع لحاسة الجمال في نفس المسلم، فيتولد في اعماقه إيمان شديد بعظمة الخالق سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه، والذي صورنا فأحسن صورنا، وخلقنا في أحسن تقويم.

ومن عناية الاسلام بالمظهر الحسن والهيئة الجميلة أمره للمسلم وحثه إياه للالتزام بسنن الفطرة التي تربي المسلم تربية جمالية تتمثل في:

* الطهارة الحسية الجسدية، وهي مما يحبه الله سبحانه. قال تعالى: {والله يحب المطهرين} (التوبة/١٠٨). ولما روي عن الرسول {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «تنظفوا فإن الإسلام نظيف» رواه ابن حبان. ويتمثل ذلك في تطهير البدن بالوضوء والغسل فينعكس ذلك بدوره على المظهر الخارجي.

* الطهارة المعنوية التي تغرس في النفوس تطهير الضمير كعبادة وطاعة وامتثال لأوامر الله سبحانه ورسوله {صلى الله عليه وسلم}.

وهذه التربية الجمالية تؤدي بدورها الى تطهير النية والعمل والسلوك، فنظافة المظهر مدعاة لنظافة الجوهر، ونظافة الشكل مدعاة لنظافة الضمير، ونظافة الفرد مدعاة لنظافة المجتمع. وبذلك يتحقق بُعدُ تربوي اسلامي عظيم متمثل في طهارة المجتمع المسلم طهارة معنوية من الفواحش والمعاصي والذنوب والآثام، فترتفع النفس المسلمة من رجس الفوضى وأوحال الوحشية إلى نظافة الأخلاق وتهذيب السلوك. ومن ثم يتم تطهير الحياة الاجتماعية عامة حتى تصبح التربية شاملة للنفس والعقل والجسم.

وليس هذا فحسب بل إن في هذه السنن مدعاة لتأليف القلوب ومد جسور المحبة والمودة، وتوطيد الصلة بين الإنسان المسلم وزوجه، فتكون حياتهما مبنية على الرحمة والمودة، وقائمة على السكن والراحة والقبول، وليس أجمل من أن يكون كلا الزوجين مناسباً للآخر، وملائماً له، مقبولا عنده في شكله وهيئته لأن ذلك مدعاة للائتلاف والرضى، وسبب مباشر لقناعة كل منهما بالآخر. وهذا بدوره سيؤدي

الى استمرارية سعادتهما الزوجية بإذن الله.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قدوة تحتذى في هذا الشأن. يقول ابن الجوزي: «كان النبي {صلى الله عليه وسلم} أنظف الناس وأطيب الناس». وقد قالت الحكماء: من نظف ثوبه قلّ همه، ومن طاب ريحه زاد عقله، ومن طال ظفره قصرت يده». ثم ان المسلم بالتزام سنن الفطرة يقرب من قلوب الخلق، وتحبه النفوس لنظافته وطيبه. كما أن سنن الفطرة تنمي لدى الإنسان الاحساس بالجمال، وتنمي طاقاته وملكاته المستشعرة لمعنى الجمال في خلق الله سبحانه.

وأحسب أن قول النبي {صلى الله عليه وسلم}: «إن الله جميل يحب الجمال» إنما هو دعوة الى التخلق والتحلي بالجمال الذي هو البهاء والحسن وجمال الصورة وجمال المعنى على حد سواء.

**سنن الفطرة والتوازن في شخصية المسلم:**

مما لا شك فيه أن الكيان البشري يشتمل على عدة وحدات هي: الجسم والعقل والروح. ولذلك فإن التربية الاسلامية حرصت على الربط بين هذه الوحدات لتجعل منها كياناً واحداً مترابطاً، واختطت لذلك منهجاً مزيداً في احاطته بجميع الجوانب الانسانية، فجاء هذا المنهج متوازناً مهتماً بالذات الإنسانية في كل حالاتها. ولا ريب فهي تربية للإنسان كله جسمه وعقله، روحه ووجدانه، خلقه وسلوكه، سرائه وضرائه، شدته ورخائه، أي أنها تشمل كل الجوانب الشخصية دون قهر أو كبت أو فوضى أو تسيب أو افراط أو تفريط.

ولذلك جاءت شخصية الانسان المسلم متوازنة سوية متكاملة، لا يطغى فيها جانب أو يهمل على حساب الجانب الآخر. وهذا هو ما نلمسه في هذه السنن التي إلى جانب كونها من المظاهر الدنيوية فهي عبادة يثاب عليها المرء، وتكسبه الأجر والثواب متى ما قصد بها وجه الله سبحانه والاقتداء بهدي النبوة. وهذا بدوره يربط بين الهدفين الديني والدنيوي للتربية الاسلامية. وبذلك يتحقق التوازن في شخصية الإنسان المسلم حينما نرى أن التزامه بهذه السنن يجعل الجسم يحظى بحقه من العناية والرعاية والاهتمام فيما يخص المظهر الخارجي والشكل العام اللائق المقبول. فيدل ذلك على أن الانسان ينعم بعقل راجح وتفكير سديد، ومدارك واسعة وفهم عميق لحقائق الأشياء وجوهرها. الأمر الذي يدفعه من ثم الى السمو الروحي والرفعة الإنسانية والتعالي عن سفاسف الأمور وصغائرها وحطامها المادي الحقير. كما أن في اتباع المسلم لما يسمى بسنن الفطرة يؤدي بطبيعة الحال الى ما يسمى بالقبول الاجتماعي للفرد. حيث يقترب منه الناس ويطمئنون اليه ويعاملونه بكل حب وتقدير واحترام لأنه يفرض ذلك عليهم بحسن مظهره وحسن تدبيره.

لذلك كله نقول ونؤكد أن دين الاسلام هو الدين الوحيد القادر على ربط الإنسان بخالقه واصلاح حاله في كل زمان ومكان حينما يمشي على الارض بجسمه، ويتوجه بروحه الى السماء ليستمد منها أنوار الهداية والمعرفة فيحكم عقله فيها ويختار منها ما يناسب حاله، ويوافق قدراته، ويلبي حاجاته، فتسير حياته وفق منهج مستقيم وهدي قويم.

**سنن الفطرة دليل تكريم الله للإنسان المسلم:**

لما كان الدين الاسلامي هو المنهج الرباني

المتكامل والمناسب تماماً للفطرة الانسانية، لأنه جاء من عند الخالق عز وجل لصياغة شخصية الانسان صياغة متوازنة متكاملة، لا ترفعه الى مقام الالوهية، ولا تهبط به الى درك الحيوانية أو البهيمية، وإنما لتجعل منه خير نموذج على الارض. فقد خصه جل وعلا بتكريم يليق به لكونه جُعل في الارض خليفة ليعمرها وينشر منهج الله بين ربوعها ويقيم شريعته فيها. ثم لأنه - جل وعلا - خلقه في أحسن تقويم فكرمه بالصورة الحسنة والمظهر الجميل، فكانت سنن الفطرة عاملا مهماً في ابراز هذا الجمال والمحافظة عليه، وليس هذا فحسب بل ان الله كرم الإنسان بأن نفخ فيه من روحه، قال تعالى: {إذ قال ربّك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سَوَّيْتُهُ ونفختُ فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين} (سورة ص/ الآية٧١ و ٧٢) فكان ذلك تكريماً للكائن البشري وتمييزاً له عن سائر المخلوقات، إضافة إلى ما خصه الله به من نعمة العقل. فكان للجانب العقلي انعكاس على سلوكه وتصرفاته تجعله يحكم ذلك العقل كثيراً، لا سيما وأن ذلك العقل يعد مناط التكريم الالهي للإنسان.

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا أن في هذه الخصال والسنن النبوية نمط تربوي اسلامي يتناسب تماماً مع مسئوليات هذه الخلافة ووظائف تعمير الكون، الى جانب كونها تحقق مبدأ التكريم الالهي للإنسان في هذه الحياة الدنيا. وهو أمر يتميز به الإنسان عن غيره من الكائنات الحية الاخرى لقوله تعالى: {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا} (الاسراء/ ٧٠). ففي قص الاظافر مثلا تمييز للإنسان المسلم عن غيره من الكائنات ذات المخالب من كواسر وقوارض ونحوها. وفي حلق الشعر وقصه ونتفه تمييز للانسان المسلم عن غيره من المخلوقات ذات الشعور المرسلة والمسدلة على أجسادها بلا ترتيب ولا انتظام. وفي السواك والمضمضة تمييز للإنسان المسلم عن غيره من الكائنات التي لا تنظف أفواهها ولا تعتني بنظافة اسنانها. وهكذا.

وهذا فيه رفع لمستوى الإنسان المسلم وتكريم له على غيره من الكائنات والمخلوقات الاخرى لذا كان على الانسان المسلم أن يحترم هذه المكانة التي أنزله الله اياها، والا يهبط بها عن مستواها الانساني الرفيع الذي خصه الله به عمن سواه. ومن هنا نرى أن سنن الفطرة دليل على تكريم الخالق سبحانه للانسان المسلم لأمرين هما:

* أن تكريم الله سبحانه للانسان نابع في الأصل من كون هذا الانسان يحمل منهج الله في الارض، وأن هذا المنهج يعتمد على مصدرين رئيسيين أحدهما متمثل في اتباع الهدي النبوي والسنة المطهرة.

* أن من السنة الاقتداء بالرسول {صلى الله عليه وسلم}، وهذا يحصل للمسلم عن طريق محافظته على سنن الفطرة - إن شاء الله.

### سنن الفطرة والاستقامة الإيمانية:

من المسلمات أن التربية الاسلامية تسعى الى تحقيق غاية عظمى، وهدف أسمى يتمثل في استقامة النفس البشرية على نهج الإيمان الواضح الصحيح الذي لا تشوبه شائبة. وذلك أمر لا يمكن تحقيقه الا بممارسة شرائع الاسلام واتباع تعاليمه، والانقياد لأوامره

والابتعاد عن نواهيه. فالاستقامة إذاً مرحلة ثانية تأتي بعد الإيمان لأنها أثر من آثاره ونتيجة من نتائجه. قال تعالى:

«ومن أحسنُ ديناً ممَّن أسلَمَ وجهَهُ للَّه وهُو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً} (النساء ١٢٥). وقال صلى الله عليه وسلم: «قل آمنت بالله، ثم استقم» رواه مسلم. فهذه الاستقامة الإيمانية لا تتحقق إلا بالفقه الشرعي ومعرفة امور الدين، والاحاطة بتعاليمه، ورعاية الأخلاق وتطبيقها في واقع الحياة ليصبح الإنسان المسلم بذلك كله قدوة صالحة وأسوة حسنة. ثم لأنه متى استقام قلب المسلم على معرفة الله سبحانه وعلى خشيته وتقواه في كل لحظة وفي كل صغيرة وكبيرة؛ استقامت جوارحه كلها على الطاعة والامتثال. وهذا يؤهل من قام به والتزمه ليكون من حملة الرسالة الخالدة الذين قال الله سبحانه فيهم: {إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون} (فصلت/٣٠).

ومن هنا يمكن القول بأن من ثمرات التزام المسلم بسنن الفطرة ما تحققه من ملامح الاستقامة الإيمانية عنده حينما يطبقها بشكل مناسب ومقبول يعتمد في المقام الأول على الاعتدال والاتزان والاتباع لهدي النبي {صلى الله عليه وسلم} دونما إفراط أو تفريط. اضافة الى تربية المسلم على الاستمرارية والمواصلة والمحافظة على هذه السنن المباركة والخصال الحميدة لما فيها من خير للفرد وصلاح للمجتمع.

وقبل هذا أو ذاك فهي سنن جاء بها المربي العظيم {صلى الله عليه وسلم} الذي هو بحق وصدق المثل الأعلى والصورة الحية للاستقامة الإيمانية قولا وعملا.

---

**الهوامش :**

(١) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطرة، ط١، مكتبة دار المطبوعات الحديثة بجده، ١٤١٠هـ ـ ص١١ نقلا عن المجموع شرح المهذب للنووي.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م، جـ٤ ص ٥١٠.

(٣) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطره، ط١، مكتبة دار المطبوعات الحديثة بجدة، ١٤١٠هـ ص ٩ نقلا عن لسان العرب لابن منظور.

(٤) محمد بن علان الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، الطبعة الأخيرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، جـ٣ ص٦٧٧.

(٥) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببيروت، ج١٠ ص٣٣٩.

(٦) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، ١٤٠٥هـ، ص٤٧.

(٧) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطرة، ط١، مكتبة دار المطبوعات الحديثة بجدة، ١٤١٠هـ ص٦ نقلا عن معالم السنن للخطابي.

(٨) المصدر السابق، ص٦.

(٩) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببيروت، ج١٠ ص٣٣٧.

(١٠) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (مرجع سابق)، ص٤٧.

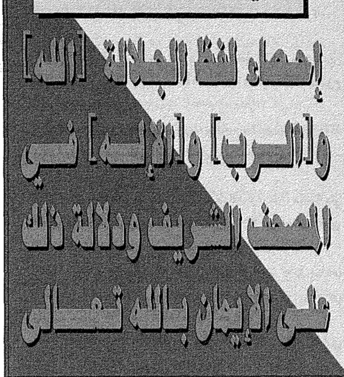
(١١) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطرة، ط١، مكتبة دار المطبوعات الحديثة بجده، ١٤١٠هـ ـ ص١٣ نقلا عن المجموع للنووي.

(١٢) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببيروت، ج١٠ ص٣٣٧.

(١٣) أحمد الشرباصي، توجيه الرسول للحياة والأحياء، دار الجيل ببيروت، ص١٣٠.

(١٤) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ببيروت، ج١٠ ص٣٣٩.

(١٥) سعيد حوى، الرسول {صلى الله عليه وسلم}، ط٣، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، ص١٨٠.



## في ظلال القرآن:

# إحصاء لفظ الجلالة [الله] و[الرب] و[الإله] في المصحف الشريف ودلالة ذلك على الإيمان بالله تعالى

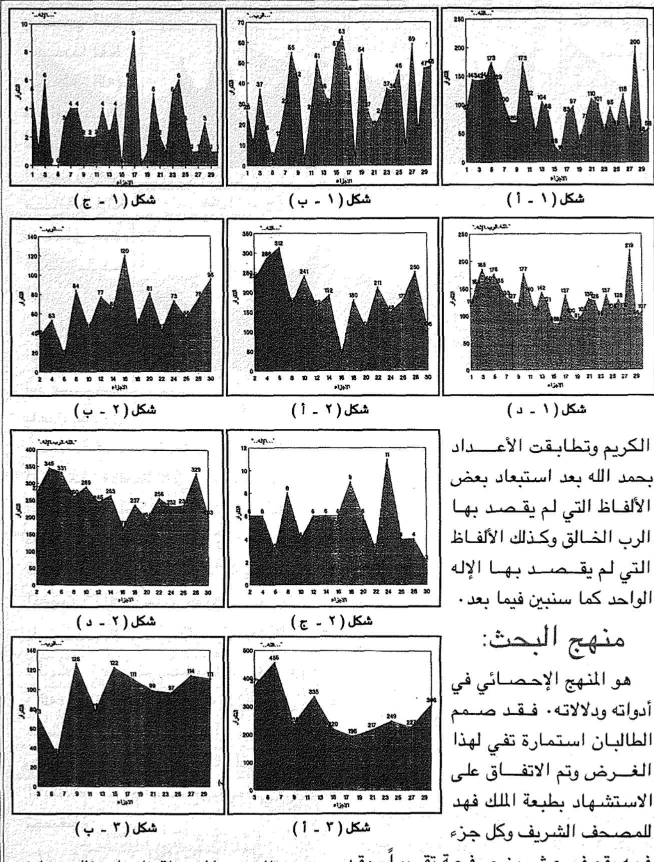
بقلم: د. مجدي الطويل كلية المعلمين ـ مكة المكرمة

حدثنا الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد أستاذ التفسير في جامعتي الأزهر الشريف وأم القرى بمعنى عظيم شغلني التفكير فيه فترة من الزمن. قال الشيخ: «إن المصحف الشريف يكاد يكون كتابا يتحدث فيه الله عن نفسه الشريفة فيعرّف نفسه لعباده حتى يوفّوه حق قدره العظيم وينشغلوا بعبادته وحده لا شريك له بعد أن أقام عليهم الحجّة وأطنب في تعريف نفسه لعباده بطرق مختلفة، فتارة يذكر اسمه لفظ الجلالة [**الله**] والذي ليس له سميّ في القديم أو الحديث.

وتارة يذكر لفظاً يدل على ذاته الكريمة وهو لفظ [**رب**] وأحياناً يذكر لفظ [**إله**] وتارة يشير الى نفسه بالضمير وتارة بالأسماء الحسنى وتارة يذكر صفات أخرى».

واسترسل فقال: «إنه تبيان لذلك لا تكاد صفحة من المصحف الشريف تخلو من لفظ الجلالة [**الله**] أو إشارة الى ذاته الكريمة بلفظ [**رب**] أو اسمائه وصفاته سبحانه وتعالى وهى تكاد تكون موزعة توزيعاً منتظماً على المصحف الشريف» ثم حاول بطريقة مبسطة إحصاء هذا العدد للفظ الجلالة [**الله**] وانتهى إلى (أنه قد تكرر حوالي ثلاث آلاف مرة) شغلني هذا المعنى وقررت إجراء هذه الدراسة وعهدت بإحصاء لفظ الجلالة في جميع أوضاعه مثل «لله ، بالله ، تالله ، فوالله، والله ... الخ» إلى طالبين نجيبين من الكلية في الفصل الدراسي الأول لعام ١٤١٥هـ وقد أنجزا هذه المهمة باقتدار فجزاهما الله خيراً والطالبان هما: عمر علي باسيف وبندر محمد صالح الحسني. وقد تم مقابلة إحصائهما بالحاسب على ما هو موجود في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.

قمت بعد ذلك بإحصاء اللفظين الكريمين (**رب**) و(**إله**) في جميع أوضاعهما على أجزاء المصحف الشريف باستخدام البرنامج «قرآن، Quranâ» على حاسب متوافق مع I.B.M وهذا البرنامج يتيح البحث بطريقة قواعد البيانات على مستوى الحرف وعلى مستوى الكلمة وخلافه وتم مقارنة الأعداد الناتجة من الإحصاء مع مثيلتها في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن



شكل (١ - أ) شكل (١ - ب) شكل (١ - ج)

شكل (١ - د) شكل (٢ - أ) شكل (٢ - ب)

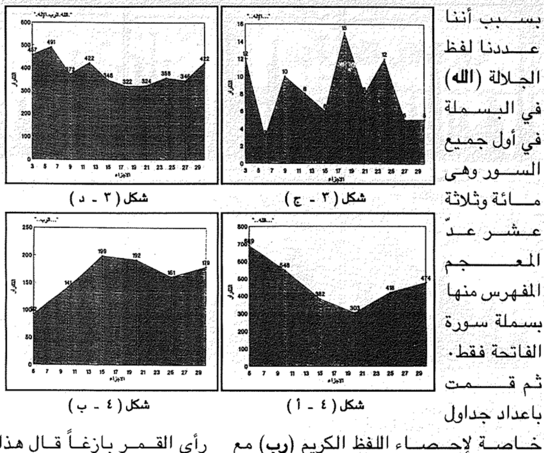
شكل (٢ - ج) شكل (٢ - د)

شكل (٣ - أ) شكل (٣ - ب)

الكريم وتطابقت الأعداد بحمد الله بعد استبعاد بعض الألفاظ التي لم يقصد بها الرب الخالق وكذلك الألفاظ التي لم يقصد بها الإله الواحد كما سنبين فيما بعد.

## منهج البحث:

هو المنهج الإحصائي في أدواته ودلالاته. فقد صمم الطالبان استمارة تفي لهذا الغرض وتم الاتفاق على الاستشهاد بطبعة الملك فهد للمصحف الشريف وكل جزء فيه يقع في عشرين صفحة تقريباً. وقد اعتبرت الفاتحة من الجزء الأول وتم أخذ فاتحة السور «بسم الله الرحمن الرحيم» من ضمن السورة المشتملة عليها وبذلك زدنا في إحصائنا على الحاسب عدد مائة واثنى عشر لفظاً عمّا هو موجود في المعجم المفهرس



شكل (٣ - ج) شكل (٣ - د)

شكل (٤ - أ) شكل (٤ - ب)

بسبب أننا عددنا لفظ الجلالة (**الله**) في البسملة في أول جميع السور وهى مائة وثلاثة عشر عدّ المعجم المفهرس منها بسملة سورة الفاتحة فقط. ثم قمت باعداد جداول خاصة لإحصاء اللفظ الكريم (**رب**) مع استبعاد الألفاظ التي لم يقصد بها الرب الخالق العظيم كما سنبين بعد قليل كذلك تمت دراسة اللفظ الجليل (**إله**) بشكل مماثل كما سبق مع استبعاد ما لا يدل على الإله المعبود. وبعد إعداد البيانات تمّ رسمها باستعمال راسم هارفرد Harvard (2.3) . وقد تم رسم بيانات لفظ الجلالة (**الله**) ثم لفظي (**رب**) و (**إله**) وذلك على عدة مستويات من تجميع الأجزاء؛ جزء ثم جزآن وهكذا حتى ستة أجزاء. وذلك لدراسة ظاهرة الانتظام. ثم تمّ الجمع بينهم في دراسة تجميعية.

## المستبعد من الألفاظ في الإحصاء:

استبعدت الألفاظ التي لم يقصد بها الرب الخالق العظيم سبحانه وتعالى وهي سبعة ألفاظ جاءت في سورتي يوسف والأنعام كالآتي:

١ - الأنعام (٧٦): {فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربّي فلمّا أفل...}

٢ - الأنعام (٧٧): {فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربّي فلمّا أفل ...}

٣ - الأنعام (٧٨): {فلمّا رأى الشمس بازغة قال هذا ربّي ...}

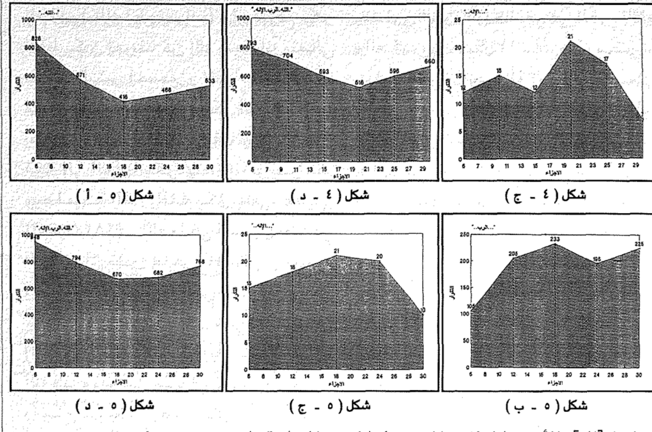
٤ - يوسف (٤١): {يا صاحبي السجن أمّا أحدكما فيسقي ربّه خمراً وأمّا الآخر ...}

٥ - يوسف (٤٢): {وقال للذي ظنّ أنّه ناج منهما اذكرني عند ربّك فأنساه الشيطان ذكر ربّه فلبث في السجن بضع سنين}.

٦ - يوسف (٥٠): {وقال الملك ائتوني به فلمّا جاءه الرسول قال ارجع إلي ربّك فاسأله ما بال النسوة...}

ولقد تمّ استبعاد ألفاظ جمع رب مثل: أرباب ، ربانيون ... الخ، لأنها لا تدل على المعنى المقصود.

كذلك تمّ استبعاد الألفاظ التي لا تدل على الإله المعبود الواحد الأحد وهي كالآتي:




شكل (٤ - ج) شكل (٤ - د) شكل (٥ - أ)

شكل (٥ - ب) شكل (٥ - ج) شكل (٥ - د)

لفظ [إله]: الأنبياء/٢٩ ، المؤمنون/٩١ ، القصص/٣٨ ، (اللفظ الأول فقط)، طه/٨٨.

لفظ [إلهاً]: الأعراف/١٣٨ ، الحجر/٩٦ ، الإسراء/٢٢ ، الإسراء/٣٥ ، الكهف/١٤ ، المؤمنون/١١٧ ، الفرقان/٦٨ ، الشعراء/٢٩ ، الشعراء/٢١٣ ، القصص/٨٨ ، ق/٢٦ ، الذاريات/٥١.

لفظ [إلهك] : طه/٩٧.

لفظ [إلهكم] : طه/٨٨.

لفظ [إلهه] : الفرقان/٤٣ ، الجاثية/٢٣.

لفظ [ءإله] : النمل (من ٦٠ إلى ٦٤).

كذلك تمّ استبعاد الألفاظ التي تدل على مثنى أو جمع «إله» مثل إلهين وآلهة.

**الأشكال**:

شكل (١): التوزيع التكراري معد بطريقة المساحة على مستوى جزء واحد.

شكل (٢): التوزيع التكراري معد بطريقة المساحة على مستوى جزئين.

شكل (٣): التوزيع التكراري معد بطريقة المساحة على مستوى ثلاثة أجزاء.

شكل (٤): التوزيع التكراري معد بطريقة المساحة على مستوى خمسة أجزاء.

شكل (٥): التوزيع التكراري معد بطريقة المساحة على مستوى ستة أجزاء.

وفي هذه الأشكال يمثل «أ» التوزيع التكراري للفظ الجلالة «**الله**» ويمثل «ب» التوزيع التكراري للفظ الكريم «**رب**» ويمثل «ج» التوزيع التكراري للفظ الجليل «**إله**» بينما يمثل «د» التوزيع التكراري لمجموع هذه الألفاظ.

## المناقشة والنتائج:

إن دلالة ذكر لفظ الجلالة (**الله**) أو (**رب**) أو (**إله**) في القرآن الكريم دلالة عظيمة. وفي

الغالب (والله أعلم بمراده) فإن موقع ذكر اللفظ يكون تعريفاً من الله سبحانه وتعالى بنفسه للبشر أجمعين. انظر سورة البقرة مثلا: {ليس عليك هُداهم ولكنّ الله يهدي من يشاء} (البقرة/٢٧٢) ، {واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله} (البقرة/٢٨١) ، {واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم} (البقرة/٢٨٢) ، {لله ما في السموات وما في الأرض وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير} (البقرة/٢٨٤). وهذا التعريف بالله يعلمنا به الله قدره ويلزمنا الحجة بالعبودية له وحده واتباع شريعته وحده ولذلك نجد الأجزاء عامرة بذكر لفظ الجلالة (**الله**) أو ذكر اللفظ الكريم (**رب**) أو اللفظ الجليل (**إله**) ولقد تكرر لفظ الجلالة (**الله**) في جميع أوضاعه (٢٨١٤) مرّة موزعة على الأجزاء كما هو مبين في شكل (١ ـ أ). أما اللفظ الكريم (رب) في جميع أوضاعه فقد تكرر (٩٦٤) مرّة كما يبين شكل (١ ـ ب). ويبين شكل (١ ـ ج) تكرار اللفظ الجليل [**إله**] في جميع أوضاعه وهو (٨٤) مرّة. وبدراسة الأشكال يمكن أن نخلص إلى **النتائج التالية**:

**أولا**:

حوالي ثلث تكرار لفظ الجلالة [**الله**] في جميع أوضاعه يقع في الأجزاء الست الأولى كما هو موضح بالشكل (٥ ـ أ) على سبيل المثال. وهذه الأجزاء تحتوي على السور المدنية الطويلة: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة.. ونلاحظ أيضاً أن أكبر تكرار على مستوى الجزء الواحد يقع في الجزء الثامن والعشرين ، شكل (١ ـ أ)، وكله مدني من بداية سورة المجادلة إلى نهاية سورة التحريم. ومن المعلوم أنّ المعاملات والجهاد والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غالبة في ذكر الآيات المدنية وهذا يدل على أصالة التصاق هذه المعاملات بمعرفة الله سبحانه وتعالى وتقديره وتعظيمه حق شأنه حتى لا تكون هذه الأعمال هباء منثوراً.

وفي الجانب المقابل نجد أن الأجزاء الست الأولى تحتوي على نسبة ١٠٪ تقريباً من تكرار لفظ [**رب**] ونجد أن الجزء الثامن والعشرين يحتوي على ١٦ تكراراً فقط من مجموع ٩٦٤ تكراراً للفظ الكريم [**رب**] وملحقاته. أمّا بالنسبة للفظ الجليل [إله] فإن سدس التكرار تقريباً يقع في الأجزاء الست الأولى مع ملاحظة أنّ أعداد لفظ [**إله**] تأتي في كل جزء بالآحاد، بينما أعداد لفظ [**رب**] بالعشرات. أمّا لفظ الجلالة فهو بالمئات غالباً.

**ثانيا**:

أقل تكرار للفظ الجلالة [**الله**] يقع في الجزء السادس عشر وهو ١٦ مرّة، انظر شكل (١ ـ أ). وهو جزء يحتوي على نهايات سورة الكهف وسورة مريم وسورة طه وفيها استغراق في ذكر قصص الأنبياء والصالحين بشكل مفصل. وعلى سبيل التعويض نجد أن هذا الجزء يحتوي على أكبر تكرار للفظ الكريم [**رب**] على مستوى الجزء الواحد وهو ٦٣ مرة، انظر شكل (١ ـ ب).

الأجزاء الست الأخيرة تحتوي على ٢٥٪

تقريباً من تكرار اللفظ الكريم [**رب**] بينما تحتوي على ١٨٪ تقريباً من تكرار لفظ الجلالة [**الله**] و١٢٪ من تكرار اللفظ الجليل [**إله**].

**ثالثا**:

الأجزاء الخمسة عشر الأولى يتكرر لفظ الجلالة [**الله**] ١٦١٩ مرة بينما يتكرر في الأجزاء من السادس عشر إلى الثلاثين ١١٩٥ مرة. أما بالنسبة للفظ الكريم [**رب**] لنفس الأجزاء على الترتيب السابق فهي: ٤٣٢ و ٥٣٢ . وهي ٣٩ و ٤٥ بالنسبة للفظ الجليل [**إله**] وعند إضافة أعداد الألفاظ الثلاثة إلى بعضها تكون كالآتي: ٢٠٩٠ و ١٧٨٢ . وهما بذلك أقرب للانتظام بين شطري المصحف الشريف فالنسبة تتحسن من ١,٣٥ (قسمة ١٦١٩ على ١١٩٥) إلى ١,١٨ (قسمة ١٦١٩ + ٤٣٢ على ١١٩٥ + ٥٣٢) إلى ١,١٧ (قسمة ٦١٩ ١ + ٤٣٢ + ٣٩ على ١١٩٥ + ٥٣٢ + ٤٥) على الترتيب. وهذا يدل على أن الألفاظ المذكورة تدور في القرآن الكريم على نظام بالغ الدقة والإعجاز.

**رابعا**:

كما هو موضح بالأشكال (١، ٢، ٣، ٤، ٥ - د) على مستوى الأجزاء المختلفة ، نجد أن إضافة لفظي [**الرب**] و[**الإله**] إلى لفظ الجلالة [**الله**] أدّى إلى تقارب التوزيع وانتظامه في الأجزاء المختلفة. فإذا كان معدّل السطور في الصفحة الواحدة في القرآن الكريم، طبعة الملك فهد، هو ١٥ سطراً ومجموع الألفاظ الثلاثة في المصحف الشريف هو ٣٨٧٢ لفظاً فإنّ معدل ذكر هذه الألفاظ يكون لفظاً واحداً لكل سطرين أو تقريباً ٧ ألفاظ لكل صفحة. وهذا يعطي دلالة على أن الله سبحانه وتعالى أراد أنّ يذكر عباده بذاته وصفاته حين يقرءون القرآن من خلال كل صفحة من صفحات المصحف الشريف أو من خلال كل سطرين تقريباً سواء كان قارءاً من حفظه أو تالياً في المصحف.

## النتيجة العامة:

اجتماع الألفاظ الكريمة [**الله**] و[**الرب**] و[**الإله**] في جميع أوضاعها يؤيد ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور عبد الستار إلى أنّ الله سبحانه وتعالى قد وزّع ذكر اسمه وصفاته على صفحات المصحف الشريف توزيعاً منتظماً شاملا وهذا يبرهن على الإعجاز القرآني وأنه كتاب منزّل من لدنه سبحانه وتعالى ولا يستطيع أن يؤلفه بشر ما. والبرهان الكامل لهذه الحقيقة القرآنية يتطلب إحصاء الآتي:

أ - لفظ الجلالة [**الله**].

ب - اللفظ الكريم [**رب**].

ج - اللفظ الجليل [**إله**].

د - أسماء الله الحسنى.

هـ - الضمائر العائدة إلى الله تعالى.

نرجو من الله أن يمكننا من الخطوتين «د» و«هـ» ليتم هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة. وجزى الله شيخنا الكبير الأستاذ الدكتور عبد الستار خيراً عن علمه وتواضعه لإعطائي وقتاً ثميناً من وقته المحدود في مناقشة وتنقيح هذا البحث ونتائجه.

# رمضان في الإسلام

رمضان شهر الصوم. . والصوم في الأديان قديم:

قال الله تعالى: {كُتبَ عليكم الصيامُ كما كُتبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة/١٨٣)، ولا شك في أن الأديان أصلها واحد من عند الله، وجاء الدين صالحا حكيما مفيدا، ذلك الدين الأول الذي أوحاه الله تعالى إلى أنبيائه ورسله مرة بعد مرة.

ومن الإسلام هذا الصوم الذي ينعم به المسلمون في كل عام شهراً كاملا. ويبدو لي أنّ الذين قالوا في الصوم قد قالوا كثيرا في وجوهه البينية والصحية والروحية والنفسية. وأحسب أنهم لم يكثروا القول بعد في الجانب الاجتماعي. فأحب أنا أن أتناول هذا الوجه الإجتماعي بشيء من التفصيل، وبالإضافة إلى أن الصوم في الإسلام عبادة مفروضة وطاعة لله تعالى: {كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم}، فإن للصوم في الإسلام مظهرين اجتماعيين بارزين لا يزالان إلى اليوم واضحين في جميع البلاد الإسلامية وفي جميع البيئات.

ما إن يطل رمضان على المسلمين، وقبل أن يُطل أيضا، تتبدل حياة المسلمين صغارا وكباراً، وفقراء وأغنياء، ومتساهلين ومتشددين، ثم يبدو الشهر وكأنه من أوله إلى آخره عيد يعمّ المسلمين كلهم بالسرور. فهذا أول مظهر اجتماعي لشهر رمضان: شهر يضع المسلمين كلهم في حياة واحدة فيشعر كل فرد فيها أنه جزء ملازم من هذا الجسم الكبير في العالم كله.

في غير رمضان تحاول الحياة القاسية أن تقطع الناس طبقات كثيرة تنصرف كل طبقة منها إلى العمل الذي تقوم به في سبيل معاشها، وقلما يشعر بعض الناس في أثناء ذلك أنه مرتبط بسائر الناس الذين يعيشون معه في بلد واحد أو مكان واحد أو حيّ واحد. أما في رمضان فإنّ هذه الألفة تعود إلى طبيعتها في المجتمع الكبير الذي يضمهم. وأعظم من تلك الألفة العامة بين عامة المسلمين في رمضان تلك الألفة الخاصة في كل أسرة مسلمة.

إن الحياة الاقتصادية القاسية - وفي أيامنا هذه خاصة - قد فرقت أفراد كل أسرة بحسب الأعمال المختلفة التي يقوم بها أعضاء كل أسرة. إنّ أعضاء الأسرة الواحدة لا يعملون في العادة عملا واحدا ولا يعملون في مكان واحد. من أجل ذلك يقل وجود أعضاء الأسرة الواحدة في بيت الأسرة في وقت واحد. وفي العالم أسر قلما يجتمع أفرادها في كل يوم أو في كل اسبوع. أما في رمضان فإن مناهج العمل تتبدل وأنماط الحياة تتغير، والوقت الواحد للسحور والوقت الواحد للإفطار يجمعان أهل البيت الواحد في وقت واحد على طعام واحد. إن هذا الكسب الاجتماعي في الأسرة قلما يستطيع الإنسان أن يقدره قدره. ولا ريب في أن هذه الصلة الوثيقة في الأسرة في العالم الإسلامي - وهي صلة قد فقدت فقداً تاماً في العالم الأوروبي والأمريكي - راجعة إلى العنصر الإجتماعي البارز في شهر رمضان.

ومن بركة شهر رمضان في الجانب الإجتماعي من الحياة وجه يدعو الإنسان المفكر إلى كثير من العجب والدهشة ثم يكشف عن قيمة اجتماعية لا يكاد المرء يتخيل مثلها - فضلا عن أن يرى مثيلا لها - في وجه اجتماعي آخر!!.

في كل شعب قوم متدينون وقوم مهملون وقوم عاصون. كذلك كان البشر من قبل بعثة الأنبياء، وكذلك هم إلى اليوم. ولعلهم سيبقون على ذلك إلى ما شاء الله.

أما في الإسلام فإذا جاء رمضان فإن هذه الصورة تتبدل تبدلا كبيرا، فإن نفرا من المهملين الغافلين ومن العصاة المجاهرين يرجعون إلى الله مولاهم فيقيمون الصلاة ويعملون الصالحات ويهجرون الخمر والفسق ويتبدلون بعادتهم الأولى من الاستهتار والانحراف سمتاً معتدلا من التقوى والخشوع. ومع أنّ جانبا من هؤلاء

فيصل صالح أسعد - جده -

يعود بعد رمضان سيرته الأولى فى الحياة، فإن جانبا آخر منهم تثبت قدماه على الصراط المستقيم. إن هذه القيمة الإجمتاعية تأتى فى الواقع من أن الإنسان الفرد قد تأثر بالخير تأثراً شخصياً فطبع ذلك فى نفسه من الأثر مالا تستطيع طبعهُ النصائح المختلفة ووسائل الإقناع من صناعة المنطق!!

ونعود إلى الأسرة مرة جديدة:

إن رب الأسرة يشعر فى رمضان شعوراً جديدا، سواء أكان أفراد أسرته صغارا فى السن أو كانوا كباراً، ترى البخيل فى رمضان قد أصبح على جانب من الكرم، ثم ترى الكريم قد ازداد كرماً وأنا لا أقصد هنا الكرم المادي وحده، ولكنى اقصدُ الكرم المعنوى، فإنّ الإنسان يصبح بالصوم فى رمضان أكرم خلقا فى نفسه وأحسن سلوكا فى الناس وأنبل عملا فى المجموع. وفى صوم رمضان حقيقة قلما وفّاها المتكلمون فى رمضان حقها من الإشارة. إن رمضان يقطع الإنسان عن نفسه الداخلية ثم يبرزه لعالمه الخارجي، ذلك لأن حاجات الجسم التى ضعفت نزعاتها بالصوم تريد أن تعبّر عن توقها إلى العمل العام الصالح. إنّ الإنسان فى العادة يقضي وقتا طويلا من يومه فى طعامه وشرابه ولهوه بالمباحات. فإذا حلّ رمضان واستغنى الجسم عن هذه كلها أصبح محتاجا إلى أن يملأ ما فرغ من وقته بأعمال جديدة. من أجل ذلك نجد أن الصائم الحقّ أحسن فى رمضان أعمالا منه فى كثير من سائر أشهر السنة.

أما أسمى صور هذا التحول النبيل من حياة الصائم الداخلية إلى حياته الخارجية فتتبدى فى المعارك التى خاضها المسلمون فى شهر رمضان المبارك. وأشير هنا إلى ثلاث معارك، واحدة من تاريخ الإسلام الأول هي معركة بدر الكبرى التى أرست قواعد الدولة الإسلامية ودلّت على أن المسلمين قد أصبحوا قوة عسكرية مرهوبة الجانب، ثم معركة عين جالوت التى ردّ فيها المسلمون عن بلاد الإسلام وعن الإسلام جحافل التتار ثم معركة وادى لكّه ، وهى التى فتحت بلاد الأندلس للفتح الإسلامى وللإسلام زمانا طويلا وللحضارة الإسلامية إلى اليوم. ذلك كان المظهر الإجتماعى الأول، المظهر الإجتماعى الخالص، المظهر الذى يربط بعض الناس ببعض، سواء أكانوا أقارب أو غير أقارب ما داموا على مستوى واحد فى السلم الإجتماعى أو على درجات متقاربة من ذلك السلّم. أما المظهر الإجتماعي الثانى من صيام رمضان فى الإسلام فهو مظهر النفع الإجتماعى بين أغنياء المسلمين وغير الأغنياء من المسلمين.

من أعظم فضائل رمضان أنّ الإسلام ربط الصيام فيه بصدقات من التطوع ثم بصدقة مفروضة هى صدقة الفطر أو زكاة الفطر. ولقد جعل الإسلام لهذه الصدقة خاصة وجهاً اجتماعيا براقا. إن قيمة زكاة الفطر عن أهل بيت واحد هى مقدار ما ينفقه أهل ذلك البيت على طعامهم وشرابهم فى يوم واحد بحسب درجتهم من الثروة، قلّ ذلك أو كثر. ومن أراد أن يزيد فيها فهو خير له. ثم إنّ أئمة المسلمين استحسنوا فى إخراج هذه الزكاة طريقة نافعة. لقد أحبوا ألا تجزأ هذه الزكاة بين الأفراد كما يجوز فى صدقات التطوع، بل آثروا أن تبقى زكاة الفطر عن أسرة واحدة مبلغا واحداً مجموعا وأن يعطى هذا المبلغ الواحد إلى أسرة واحدة حتى تستطيع هذه الأسرة بهذا المبلغ كله أن تشارك المسلمين كلهم فى يوم عيد الفطر فى سعادتهم وأفراحهم.

هذان الوجهان الاجتماعيان من شهر رمضان: - الوجه الإجتماعى المعنوى والوجه الإجتماعى المادى - هما مظهران بارزان فى الإسلام يشدان كل مسلم إلى كل مسلم آخر برباط من الأخوة الصحيحة ومن العطف المفيد النافع. والذى يعجبُ منه العاقل أن العالم يسعى إلى أشياء من الإصلاح الإجتماعى في ميادين الحياة المختلفة ثم لا نراه يحقق نفعا صغيرا فى جانب من الناس إلا بعد أن يُحدث أثرا سيئا فى جانب آخر. ولو أنّ هؤلاء المريدين للإصلاح التفتوا إلى الاسلام التفاتا عاقلا لوجدوا فيه العلاج الصالح للأدواء التى يشكو منها أقوامهم. ولعلهم فاعلون!!

وأخيرا . . .

نبتهل الى الله أن يجمعنا على الحق وينصرنا بالارادة القوية. . وأن يعيد هذا الشهر الكريم على القبلة الأولى وقد تحرر مسجدنا الأقصى وتحررت كل بلاد المسلمين مما تعانيه، وتطهرت قلوبنا ونفوسنا بالإسلام ومجد الإسلام وعزة الإسلام.

## وما النصر إلا من عند الله:

برغم أن موقعة بدر لم تستمر لأكثر من نهار واحد، وأن الأعداد التي شهدتها لم تكن بالكثرة التي شهدت باقي معارك المسلمين، فإنها كانت بحق من أهم المعارك الإسلامية دوياً عن الرسالة، كما إن تحقيق الانتصار فيها كان بداية لانتصارات دكت حصون الكفر والضلالة، وقادت البشرية إلى نور الحق والهداية.

فقد غرست هذه الموقعة في الأرض شجرة الحرية حيث أرست الدعائم الأولى لحرية العقيدة والرأي والتفكير، فما شهر المسلمون فيها سيفاً ضد عابد قانت، لكنهم أرادوا أن يمارسوا حقهم الكامل في حرية العبادة والعقيدة، فاعترضتهم قريش تريدهم أن يظلوا على دين الآباء والأجداد.. وهو اغتيال ومصادرة لحريتهم.. فمن يلومهم؟!!

# مع بدر يوم التقى الجمعان

بقلم: د. ناول عبد الهادي ـ المغرب

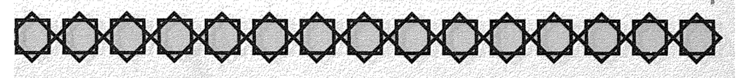
وكما أرسى الإسلام في بدر مبدأ الحرية، فقد أرسى مبدأ آخر لا يقل أهمية عنه. إنه نظام الشورى، فهذا نبي يَعْلم ويسمع ، بل يقدم نفسه مرة باعتباره رسولا نبيًا وأخرى باعتباره بشراً عاديًا.. وهكذا.. حتى استأنسوا منه هذه الصفة بالممارسة وعرفوا جيداً كيف يفرقون بين كلام الله وقالة الناس، وبين ما تطاله أيديهم وما لا ينبغي لهم النظر فيه كما تعلم المسلمون من هذه الموقعة أن القوة لا تُغني من الحق شيئاً، وأن المؤمن مطالب - وهو في ذروة النصر - أن يميز ما بين الاستعداد والمدد وأن يأخذ بالأسباب التي توصله لتحقيق كل منهما.

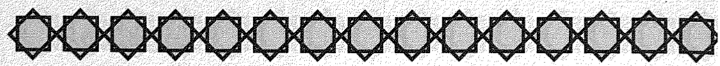
وفوق ذلك كله فقد وقع هذا الحدث العظيم في تاريخ المسلمين في رمضان، وفيه من الدلالة ما يكفي لو قدره الناس حق قدره..

فتعلموا منه الصبر بكل أوجهه.. جوعاً وعطشاً وجهاداً لإعلاء كلمة الحق.

وبهذا استحقت بدر أن تكون أعظم الغزوات بسبب ما صادفها ولاحقها من دروس وعبر، فكانت مثلا ومرجعاً وتاريخاً أسفرت عن نتائج سياسية واجتماعية دوت في الأرض دويا كبيراً لأنها نصر الله، كما دوت في السماء دويا عظيماً لأنها إرادة السماء، وكانت فتحاً ونصراً فصل بين عهدي الذلة والعزة والضعف والقوة.

لذلك لا عجب أن نرى هذه الموقعة تحظى باهتمام الكثير من المؤرخين والكتاب خاصة وأن كلّ ما تلاها من فتوح وما تحقق من انتصارات إنما هو مدين للفتح المبين في ميدان بدر يوم الفرقان كما أسماه رب العزة في محكم كتابه حين يقول: {وما أنزلنا على عبدنا يوم الفُرْقان يوم





التقى الجمعان} (الأنفال/٤١) ليؤكد من خلال هذه التسمية أنها فرقت بين الحق المستضعف والباطل المتغطرس. وأنه سبحانه أعز بها الحق وأذل الباطل.

ومن المفيد أن نذكر لمحة تاريخية خاطفة عن هذا اليوم نستخلص من أحداثه العبر والدروس .. فما أشبه الليلة بالبارحة! وما أشبه اليوم الحاضر بالأمس الدابر، أو ربما يعيد التاريخ نفسه كما يقولون.

وكان من خبر هذه الواقعة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سمع بمقدم أبي سفيان من الشام في عير عظيمة لقريش فيها أموالهم وتجارتهم، وكانت الأخيرة ممعنة في تصديها للدين الجديد صدًا عن سبيله، وإقامة للعثرات في وجه أتباعه، فما ان سمع الرسول بأمر أبي سفيان، وكان من أشد الناس عداوة للإسلام، حتى ندب الناس للخروج إليه تعويضاً لهم عما خلفوه وراءهم بمكة من أموال، وما إن علم أبو سفيان بخروج المسلمين لملاقاة قافلته حتى غَيَّر طريقه وأرسل يستصرخ قريشاً كي تمنعه وقافلته، ونهض أهل مكة مسرعين فحشدوا من حولهم مَنْ قبائل العرب، وبرغم إفلات أبي سفيان بعيره فإن زعماءهم أصروا على المداهمة والنزال.

ذهب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى بدر ليدرك العير فلم يدركها، وأدركه النفير فلم يكن من القتال بُدٌ، وقد أقبلت قريش بخيلها وخيلائها، وتعرَّف النبي القائد إلى العدو فقدّره ما بين التسعمئة والألف وذلك من خلال ما كانوا يعقرون من إبل فقد قيل له - وقد سأل عن عددهم - إنهم كثير لا يحصى عددهم، فاستفسر عما ينحرون من إبل؟ فأجيب بأنهم ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشراً فقال: هم بين تسعمئة وألف، فكانوا خمسين وتسعمئة ، وسأل عن رجالاتهم، فعرف منهم عتبة بن ربيعة وأخاه شيبة وغيرهما.

## تجاوب الأنصار:

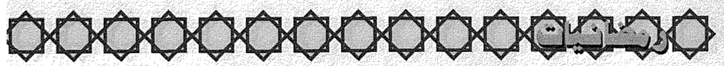
لقد جرى العمل في السرايا التي كان يقوم بها المسلمون مع بداية قيام دولة الإسلام بالمدينة أن يُعهد بها إلى المهاجرين دون الأنصار فلم يندب النبي {صلى الله عليه وسلم} لمثلها أحداً منهم ولم يحدث ذلك إلا في بدر، وذلك على اعتبار:

١ - أن المهاجرين هم الذين أوذوا في أبدانهم وجرحوا في مشاعرهم وكرامتهم، وبالتالي فهم أشد الناس رغبة في القصاص ممن آذوهم ومن ثم فهم أولى بلقاء قريش من غيرهم.

٢ - كما أنهم هم الذين استضعفوا وأراد أهل الشرك إذلالهم فكان لقاؤهم بهم وفرار الأخيرين منهم أكثر تعبيراً عن أن الحق قد علا وأن الله قد مكّن لهم في الأرض.

٣ - ثم إنهم هم الذين أخرجوا من ديارهم وخلفوا وراءهم أموالهم فكانوا أحق القوم مطالبة بحقهم المغتصب وديارهم المسلوبة ومنعاً لأهلهم وذويهم الذين لم يهاجروا وكفايتهم شرور هؤلاء الجبابرة.

٤ - على أن أهم الأسباب وأقواها في ذلك هو أن عهد النبي {صلى الله عليه وسلم} مع الأنصار إنما كان على الإيواء والنصرة، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم



وذرياتهم، ولم يكن في ذلك حض على الخروج معه في حرب، وإن كان يفهم منه ضمناً أنهم معه في الحرب والسلم، غير أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يرد أن يخرجهم معه فيما لم يتقرر صراحة بنص البيعة ولذلك لم يدعهم للمشاركة في هذه السرايا التي سبقت بدراً.

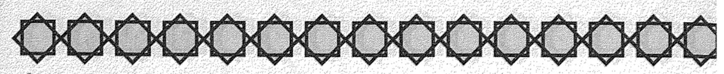
وما إن جد الجد وخرجت قريش لمواجهة نور التوحيد بجيش كثيف من أهل الشرك قوامه قرابة الألف حتى بدا له أن يشاورهم ويناقشهم في الأمر حتى يستيقن ويعلم ما عندهم فقال: أشيروا عليَّ أيها الناس (يريد الأنصار).. وتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم تكلموا فأحسنوا.. وحين أعادها فهم الأنصار أنه يقصدهم فبادر سعد بن معاذ قائلا: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقا عليها ألا تنصرك إلا في ديارهم؟ إني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا ممَّا تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك.. فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غداً، إنَّا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تَقَرُّ به عينُك، فَسِر بنا على بركة الله، فسُرَّ رسول الله {صلى الله عيه وسلم} بقولة سعد وقال: سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم. فكان هذا أول أمر قيادة بالتحرك للقتال من وادي ذفران، وتقدمت القوة بين ثنايا الوديان تجنباً لظهورها ووقاية من عيون العدو.

### التحرك بتشكيل القتال:

كان ذلك يوم الإثنين لثماني ليال خلون من شهر رمضان في العام الثاني للقرار بالمدينة، حيث خرج رسول الله في ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلا لم يكن معهم إلا فرسان وسبعون بعيراً يعقب الإثنان والثلاثة منهم على البعير الواحد يستوي في ذلك الجندي والقائد والتابع والمتبوع، فكان منهم رسول الله وأبو بكر وعمر وكبار الصحابة، ودُفع باللواء إلى مصعب بن عمير وراية المهاجرين إلى علي بن أبي طالب، وراية الأنصار الى سعد بن معاذ، وكان التحرك منظماً بتشكيل القتال لأول مرة في تاريخ العرب، حيث قسمت القوة إلى مقدمة وكتائب أساسية ومؤخرة، فالمقدمة كان مهمتها تأمين القوة الأساسية من المفاجآت، وقد انطلقت منها طليعة أمامية للاستكشاف والحصول على معلومات تفيد المسلمين، وتألفت القوة الرئيسية من كتيبة المهاجرين تتبعها كتيبة الأنصار ولكل منهما رايتها السوداء، وتقدمتهما جماعة القيادة برايتها البيضاء التي حملها مصعب. في حين أسند أمر حراسة الجوانب لكل من الزبير بن العوام على الميمنة والمقداد الكندي على الميسرة، أما حراسة المؤخرة فقد عُهِدَ بها إلى قيس بن أبي صعصعة وجماعته.

### الرسول ينزل على رأي الحباب:

حقق الرسول القائد بهذا التشكيل النظامي



مبدأ الوقاية فكانت أول مرة في تاريخ الإسلام والعرب يطبق فيها مثل هذا الأمر، ونزلت القوة بأرض بدر، وقام الرسول بنفسه يتبعه أحد أصحابه يستكشف المنطقة فعرف أن قريشاً على مقربة منه، وعاد ليرسل بدورية أكبر للاستكشاف الموسع ضمت علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وبعض الرجال فعادوا بغلامين من سقاة قريش أمكن للرسول أن يتعرف منهما إلى حجم القوة المعادية، وكانت دورية أخرى قد انطلقت إلى ماء بدر لمعرفة موعد وصول تلك القوة الى بدر، وبعد أن توافرت المعلومات ووضحت الصورة كاملة صدر الأمر بالتحرك لتكون الوثبة التالية إلى مياه بدر، واستقر جيش التوحيد بأدنى مصادر المياه غير أن الحباب بن المنذر أشار بالتقدم لأقرب موارد المياه لجيش العدو، وطمس باقي الآبار حتى لا يظل على الساحة سوى مورد واحد بأيدي المسلمين يبنون عليه حوضاً يملؤونه فيشربون منه ويمنعونه عن عدوهم، وهو ما حدا بالرسول وهو القائد أن ينزل على رأي الحباب لما رأى فيه من تحقيق لمصلحة جيش المسلمين.. حيث نهض ومن معه من الناس حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه وأمر بالآبار فأفسدت وبنى حوضاً على البئر الذي نزل عليه فملىء بالماء.

## عبقرية قيادية:

اقترح سعد بن معاذ أن يبني المسلمون مقرا للقيادة العامة استعداداً للطوارىء بحيث يكون مقرا ثابتاً يستطيع النبي القائد منه

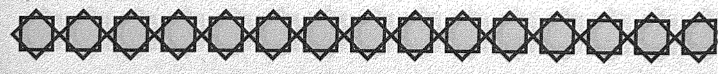
جدول رقمي إحصائي عن غزوة بدر:

| الموضوع: مقارنة رقمية | (المسلمون- | المشركون) |
|---|---|---|
| عدد المقاتلين في معركة بدر | ٣١٤ | ـ نحو ٩٥٠ |
| عدد الفرسان والخيول | ٢ | ـ ٢٠٠ |
| عدد الإبل | نحو ٧٠ | نحو ٣٥٠ |
| عدد القتلى | ١٤ شهيداً | ٧٠ قتيلا |
| عدد الأسرى | ــــــ | ٧٠ أسيراً |

ملاحظة : كانت كتيبة المهاجرين مؤلفة من ٨٣ وكتيبة الانصار مؤلفة من ٦١ من الأوس ـ ١٧٠ من الخزرج

مباشرة إدارة المعركة والتخطيط للعمليات، حتى لو اضطر المسلمون للتراجع أمام ضغط القوى المعادية يستطيع الرسول من مقر القيادة تنظيم خطة الانسحاب إلى المدينة دفاعاً عنها، وبُني المقر (عريش) على تل يطل على ساحة المعركة. وعقيب تمامه خرج صلوات الله وسلامه عليه يخاطب جنده ليرفع من معنوياتهم ويحفزهم على الثبات بقوله: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة».

وبعد تمام الشحن المعنوي على هذا النحو عاد إلى مقر قيادته ليصدر التعليمات إلى جنده، وباشر تسوية الصفوف وأمرهم ألا يبدؤوا القتال حتى يتلقوا أوامره، كما رسم طريق التعاون بين حملة السيوف وحملة السهام فقال: «إذا اكتنفكم العدو (أحاط بكم)



فانضحوه بالنبل».

وهكذا تجلت عبقريته القيادية ـ بجوار رسالته العظمى التي هي الأساس ومصدر الإلهام والهداية ـ في قيادته لجنده، وتعبئته الحكيمة. وسدِّه لمنافذ الخطر والهجوم، وتقديره الصحيح لقوة العدو وعدده ومواضع نزوله.. على النحو الذي فصلته وفاضت به كتب السِّيَر والمغازي.

## والتقى الجمعان:

نزلت قريش بالجانب الغربي بالعدوة القصوى، وهي كثيب من الرمل مرتفع بعيد عن بدر، ونزل جند المسلمين بالعدوة الدنيا منها، ولما تراءى الجمعان إذا برسول الله يتوجه إلى الله طالباً النصر الذي وعده فيقول: «اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها تحادُّك وتكذِّب رسولك».

وكانت ليلة الجمعة السابعة عشرة من رمضان، فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها التي يبلغ قوامها تسعمئة وخمسين رجلا معهم سبعون فرساً والكثير مما يركبونه ويذبحونه لمأكلهم.. غير أنهم مع كثرة عددهم وعدتهم كانت تنقصهم العزيمة والإيمان بل والرغبة القاطعة في القتال، وما إن رأى المشركون المؤمنين بعين المتحسس منهم هالهم حالهم فاسترهبوهم على قلتهم.

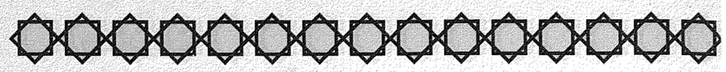
وبذلك فقد أرى الله المؤمنين المشركين قلة يستهان بها ولا يهولهم حالها، ولقد رأى الرسول ذلك في رؤياه الصادقة، ورأوهم كذلك رأي العين وهو قوله تعالى: {إذ يُريكَهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلَّم إنه عليم بذات الصدور * وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله تُرْجَعُ الأمور} (الأنفال/ ٤٣ ـ ٤٤).

## دعاء وتضرع:

رُوي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: لما كان يوم بدر نزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه «ثلاثمئة وتسعة عشر رجلا» فاستقبل النبي القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجزني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض».

فقد علم الرسول أنه لو وكل المسلمون لأنفسهم وقوتهم فالنتيجة معلومة واضحة، ولما رأى الكفتين غير متكافئتين كان لا مفر له من الاستغاثة بالله الذي لا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه كي يرجح كفة القلة المؤمنة فأخذ يبتهل إلى الله بهذا الدعاء الذي تجلت فيه الثقة والسكينة والافتقار لنصر الله سبحانه. وما ذاك إلا ليعلم جند الحق دوما أن يدينوا بأن القوة والحماسة وعُدد الحرب كلَّها وخططها جميعها مغلولة القوى، مسلوبة القدرة، طائشة المرمى ما لم تكن مؤيدة بنصر الله وتوفيقه.

وبهذه العقيدة يقدمون على عدوهم مزودين بقوى كثيرة، فالسلاح ـ وإن قل ـ بأيديهم، والحماسة تملأ نفوسهم، والتدبير المحكم متوفر



في قيادتهم، وفوق هذا وذاك فإن قلوبهم متيقنة أنهم إذا ما حققوا النصر فإنما هو ثمرة نصر الله وتأييده علاوة على ذلك.

**السماء تستجيب للدعاء:**

وظل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يبتهل إلى الله ويتضرع إليه أن ينجز ما وعد، ومازال يستغيث حتى استجاب الله سبحانه لتضرع عباده الصالحين فأنزلت السماء عليهم مطرا شديدا شرب منه المسلمون وتطهروا، وذهبت عنهم وساوس الشيطان أن أعداءهم قد يهزمونهم، وثبتت الرمال تحت أقدامهم فسهل عليهم السير إليهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أمدهم الله بجند من ملائكته آزروا دعاة الحق، وبثوا الرعب في قلوب أهل الباطل، فهزموهم بإذن الله وهم الأقل عدداً والأضعف عُدَّة، وهو قوله تعالى:

{إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنِّي ممدُّكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم * إذ يُغَشِّيكم النُّعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويُثَبِّت به الأقدام * إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان} (الأنفال/ ٩ : ١٢).

وقوله تعالى: {.. وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليُبْلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم * ذلكم وأن الله مُوهن كيد الكفرين} (الأنفال/ ١٧، ١٨).

وكانت البداية بالمبارزة التمهيدية حيث أمر الرسول ثلاثة من ذوي قرباه بالخروج للنزال فصرعوا مبارزيهم، وبدأ هجوم قريش حيث ثبت المسلمون التزاماً بتعاليم الرسول وانضباطاً في السلوك وبالسيطرة على النفس والسلاح، وأخذ النبي يقاتل معهم ويشد من عزيمتهم وذلك في صفوف متراصة فاجؤوا بها عدوَّهم بأسلوب وتنظيم لم يألفه المشركون ولا باقي العرب من قبل، بما اعتادوه في الحرب من كر وفر وهو ما زادهم إرهاقاً وتدهوراً وعجَّل بهزيمتهم وفرار من بقي منهم أمام جيش التوحيد الذي ظل ببدر ثلاثة أيام بعد المعركة أمام احتمال عودة الفلول الهاربة لهجوم مضاد.

وهكذا كانت الحال يوم بدر، عدد وعدة وكفة راجحة لمصلحة معسكر الشرك، وكذا كانت الحال دائماً في معارك الإسلام الأولى، وكان للمسلمين الغلبة والنصر بتأييد من الله سبحانه..

أما المواقع التي هُزِمَ فيها المسلمون فكان القصد منها تأديب الغرور، واستخلاص العبرة، وتعليم المقاتل ألا يزهو بنصره ويتعالى بقوته، وينظر بمرآة الغرور بنشوة وخيلاء.

فما أحرانا اليوم أن نستفيد من بدر ودروسها في كيفية إدارة صراعنا مع أعدائنا، خاصة ونحن نواجه من التحديات أكثر وأخطر مما يمكن لأمة أن تقوى على مواجهتها والتغلب عليها.

# رمضان في الأدب السعودى المعاصر

محمد مرسى محمد - مصر -

لشهر رمضان المبارك مركزه العظيم بين المواسم الاسلامية التي يتجلى الله عز وجل فيها على عباده بالرحمة والمغفرة والرضوان، ما أقبلوا عليه ولانوا به وأنابو اليه.

ولقد تميز شهر رمضان من بين سائر شهور العام بأنه شهر الفضائل التى يسبغها الله تعالى على خلقه، ويغمر بها عباده، وأنه شهر الآلاء الكبرى والأيادى البيضاء التى حبا الله بها البشر، وأنعم بها عليهم.

ولو لم يكن من فضائل شهر رمضان سوى أنه كان ظرفا لنزول القرآن العظيم الذى شرف الله به الخلق من حيث غدا أعظم منهج خاتم عرفته الدنيا لكفى..

القرآن الكريم الذى هو أقوم طريق علوي جمع الله فيه أطراف الخير وجوهر الحق، وخلاصة ما يتطلع اليه البشر فى مجالات العقيدة والشريعة، والخلق، والسلوك، والمبادىء والمثل.

ونجد الشعراء السعوديين يتناولون الصيام وشهر رمضان ما بين ترحيب بمقدمه وتوديع له مع استقبال للعيد، هذا فضلا عن تناولهم لأخلاقيات المسلم فى هذا الشهر المبارك وسلوكياته التى يجب ان يلتزم بها.

ففي قصيدة «رمضان» للشاعر الكبير محمد حسن فقى يقول:

رمضان .. ما أدرى ونورك غامر
قلبى فصبحي مشرق ومسائى
أأنال بعد مثالبي ومساوئى
بك منهما، بعد القنوط شفائى
ويأتنى سأنال منك حمايتى
ووقايتى من معضل الأرزاء
ما أنت إلا رحمة ومحبة
للناس من ظلم قسا .. وعداء

** ثم نجد الشاعر الكبير ينادى رمضان باسم البائسين على أن لهم أملا كبيراً فيه، حيث البؤساء ينتظرون الخير فى هذا الشهر المبارك فيقول:

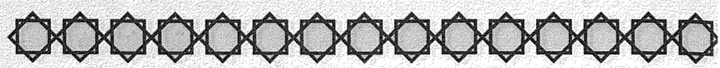
رمضان إن البائسين تطلعوا
أملا اليك .. فجد على البؤساء
بالخير تشملهم به وببسمة
يشتاقها العانون للتأساء
من ذا أحق بذاك منك وأنت في
عالى الذرى متريع ببهاء
الله من مُكّنتَ من آلائه
فاشكره - بالنعمى - على الآلاء
فإذا نظرت من المشارف للورى
فرأيت ثَمَّ اللهو فى الأبهاء

** وللشاعر المبدع حسين عرب حضور دائم لأى مناسبة دينية أو وطنية، ولشهر الصيام عند حسين عرب انطباع خاص ومبدع فى شعره، فنجده ينادى شهر رمضان بقوله:

الشرق يرقب فى ملالك طالعاً
يعنو لديه ، الكفر والطغيان
وبك استهام فؤاد كل موحد
يسمو به الإخلاص والإيمان

** ثم يواصل شاعرنا الكبير فى ابداعاته الشعرية حيث ربط المناسبة الدينية وهي شهر الصيام بمناسبة وطنية وهى القضية الفلسطينية فيقول:

أشرق بنورك فى الربوع، وكن لها
أملا، يزول بلمحه العدوان
واذكر «فلسطين» الذبيحة، أرضها
مجلى الردى وسماؤها نيران



فجر اليهود بها، وزاد فجورهم
مستعمر، بعهوده خوان
دارت عليها الدائرات فأصبحت
ينساب فيها، البؤس والأحزان
شيخ تخضب بالدماء، ومصلح
يُنفى، وحام للنمار يهان
وفتي يعذب فى السجون، وغادة
تُسْبَى، وطفل دمعه هتان

** أما الشاعر محمد بن على السنوسى «رحمه الله» فقد تناول شهر رمضان فى شعره بإبداع حيث تناوله بأنه أمل النفوس الظامئة الى السلام وانه نور من الفرقان آياته تشفى السقام.. يقول:

رمضان يا أمل النفوس
الظامئات إلى السلام
يا شهر بل يا نهر ينهل
من عنويته الأنام
طافت بك الأرواح سابحة
كأسراب الحمام

* ومنها:

سور من الفرقان يرفعها
إلى أسمى مقام
آياته تشفى السقام
ولفظه يطفى الأوام
رمضان معذرة فإنا
لا وراء ولا أمام

* ثم نجد الشاعر محمد على السنوسى يتناول حديث رسول الله [صلى الله عليه وسلم] القائل.. ليس الصيام عن الطعام والشراب، وإنما الصيام عن اللغو والرفث .. الحديث .. يتناول هذا ا لحديث الشريف فى أبياته فيقول:

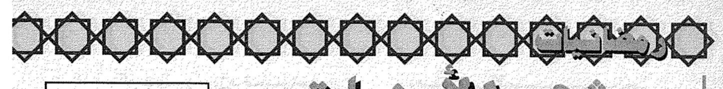
رمضان رب فم تمنع
عن شراب أو طعام
ظن الصيام عن الغذاء
هو الحقيقة في الصيام
وهوى فى الأعراض
ينهشها ويقطع كالحمام
يا ليته إذ صام صام
عن النمائم والحرام
واستاك إذ يستاك عن
كذب وزور والحرام

* ثم يختم الشاعر السنوسى أبياته هذه بأن شهر رمضان نجوى مخلصة للمسلمين وفرصة لبث روح السلام بينهم فيقول:

رمضان نجوى مخلص
للمسلمين وللسلام
تسمو بها الصلوات
والدعوات تضطرم اضطرام
لله جل جلاله
ذي البر والمن الجسام
أن يلهم الله الهداة
الرشد فى كل اعتزام

ورمضان بالنسبة للغزاوى فترة روحية يتصل فيها العبد بربه ويتخلص من عبودية المادة.

ليت هذا العام كله شهر صوم
وخشوع وخشية واقتراب
تتسامى الأرواح فيه انطلاقا
فى رضاء المهيمن التواب
انما الصوم جنة وهو درء
من سقام وعصمة من عذاب
ينضح الخير ما أطل علينا
ويعيد الرشاد للألباب
أصبح الناس صائمين وكل
قانت خاشع تقي منيب
ذاكر شاكر سميع مطيع
وبه خشية وفيه وجيب




# شهر الأمنيات

محمد درويش ـ الاردن ـ

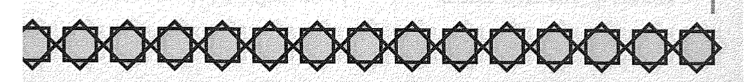
أشـرق النور هلالا من حنايا الداجيـات
يحمل البشـرى رجاء للنفوس القـانطات
فـينيـر الروح صـفـواً كـالدراري الزاهرات
يتـجلـّي الحق فـيــه للقلوب الطاهرات
والمعـاني فـيه تسمـو عن وضيع الرَّغبات
والأمـانـي في شـذاها كـالزهور اليـانعـات
رمـضــان شـهـر طُهْر وشـعـار الطيبـات

* * *

أنت يا شـوق الأمـاني للرياض الخـالدات
أنت لـي انسـام عطر كـالورود النـاضـرات
أنت لـي نور يقـيـني من صنوف الموبقـات
أنت لي مـصبـاح فكر يرتقي للسـابحـات
يهتـدي فيك انطلاقي للأمـور المعجـزات

* * *

فـيك يحلو ذكـر آي وابتـهـال في الصـلاة
والتـسـابيح اشـتـيـاق وعناق الصـالحـات
في ثنايا العشـر يخـفى كنز كل الأمنيات
ليلة القـــدر تجلى للقلوب الزاكــيــات
تنزل الأمـــلاك والروح بانوار الهـبــات
من لدن رب كـــريم خـــالق للكائنات



# أهلا رمضان

محمد رائف المصري
- مصر -

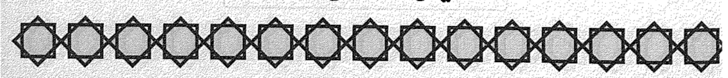
رمضان شهرك بالأفضال متصل
فيك الثواب ، وعنك الشر مرتحل
من صامه بتقى ، جاء الخير ينهمل
إنْ في لياليك للديان يبتهل

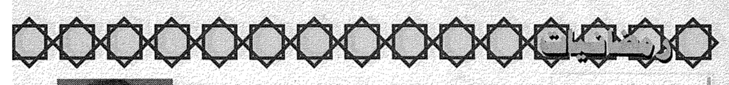
* * *

فيك الملائك بالقرآن قد نزلوا
آياتُه لجميع الخلق تشتمل
بشرى لمن صامه ، بشرى لمن بذلوا
بشرى لمنْ منْ عطاء الله قد نهلوا

* * *

في ليلة القدر يأتي الخير والامل
وكأنها ألف شهر كلها عمل
فيها السلام وفيها الامن لا الوجل
فالخير منطلق ، والشر معتقل



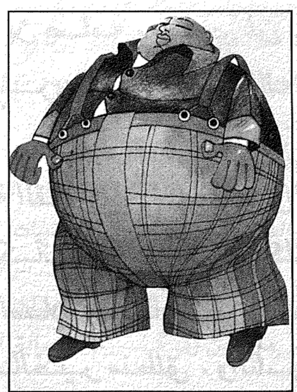



# صوموا تصحوا: الصوم .. والصحة



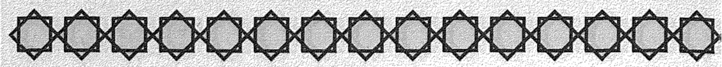
بقلم:
**د. محي الدين لبنية**
المدينة المنورة

*اهتمت الديانات السماوية بشؤون حياة الانسان واختص الإسلام بالشمول فطلب ما يستحق أن يطلب لما فيه الفائدة وأباح ما فيه عوناً له على فعل ما فُرض عليه من واجبات وليس في الدين الإسلامي ما يمكن القول ليت أنه لم يطلب هذا أو لم ينه عن هذا أو لم يحل هذا، وفرض صوم شهر رمضان كأحد الأركان الخمسة للإسلام، والصيام نظام حياتي يمارسه المسلم في رمضان يجب التزامه بآدابه لتحقيق المنفعة المرجوة منه روحياً ونفسياً وصحياً وتقليد سلوك المسلمين الأوائل في هذا الشهر الفضيل بما فيه عدم الأسراف فى تناول الطعام والشراب والاقلال من وجود أطباق الأغذية الغنية بالسكريات والدهون على مائدة الطعام والتعجيل بالفطر وتأخير السحور.*



### في حالة عدم تحمل سكر الجلوكوز:

اصطلح الأطباء تسمية ارتفاع مستوى السكر في الدم بين ٦ر٧ و١٠ ميلي جزين/ليتر أو بين (١٢١ و ١٨٠ ملجم/ ١٠٠ ملليتر) بعد امتناع عن الطعام خلال الليل، وبين ٨ر٧ و ١١ ميلى جزين/ ليتر أو بين (١٤٠ و١٩٨ ملجم/ ١٠٠ ملليتر)



بعد ساعتين من تناول الطعام بحالة عدم تحمل سكر الجلوكوز وينتشر حدوثها بين الأشخاص زائدي الوزن وتتحسن هذه الحالة باتباع حمية غذائية قليلة السعرات الحرارية وخلال ساعات الصوم وقد يختفى عندما يتخلص المريض من وزنه الزائد، لكنها تسوء فى رمضان عند اسراف المريض في تناول أصناف الطعام وألوانه بين الافطار والسحور.

عبادة الله وتقواه
كسر الشهوتين
معالجة النفس
الصيام
الراحة النفسية
*تنشيط المحور الهرموني الدماغي
**إفراز المراسيل العصبية
إزالة الفضلات والتقليل من الضغط على نشاط الأنسجة
تقوية المناعة الجسمية
الصحة الجسمية

**ميكانيكية تقوية الصيام للجهاز المناعي في الجسم**

*Hypothalamic - pituitary - adrenal (HPA) axis
**Serotonin, Norepinephrine, Acetylcholine, Dopamine etc.

## تأثيراته على الصفحات الدموية:

يعاني بعض مرضى القلب زيادة في قابلية الصفحات الدموية لديهم على التجمع والالتصاق ببعضها وتكوين الخثرات الدموية التي قد تسبب حدوث انسداد في أحد الشرايين الدموية الكبيرة في الجسم وظهور أعراض صحية خطيرة؛ ولقد أجرى فريق من الأطباء مؤلف من الدكتور محمود كردي وزملائه بقسم علم الوظائف Physiol-ogy بكلية الطب جامعة الملك/ سعود دراسة حول تأثيرات صوم رمضان على سلوك الصفحات الدموية في ٣٣ متطوعاً صحيح الجسم، ويؤثر الاجهاد الذي يتعرض له جسم الانسان على وظيفة الصفحات الدموية في التجمع وانحلال الليفين ويسبب الصوم في الطقس الحار مع العمل الشاق خلاله حدوث حالة الاجهاد في

الجسم، واكتشف أولئك الباحثون انخفاضاً في استجابة المركب ثاني فوسفات الأدينوزين A D P بمقدار ٢ ميكرويفر/ليتر وهرمون الادرينالين ومركب الكولاجين وحمض أراشيدونيله للتجمع اثناء شهر الصوم بالمقارنة مع الشهور الأخرى من السنة، وهذا يعني أن الاجهاد الذي يتعرض له الصائم في رمضان كما يظهره تجمع الصفحات الدموية يقل معدله عن ما عليه أثناء أيام الفطر وهذا يعني قلة فرص تكوين الخثرات الدموية في مرضى القلب الصائمين خلال شهر رمضان.

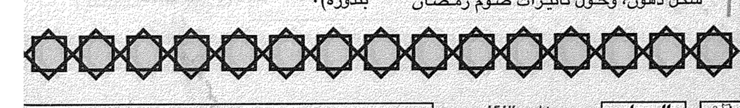
### في علاج البدانة:

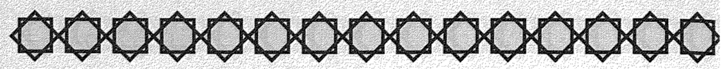
هناك اعتقاد شائع بين عامة الناس أن صوم شهر رمضان يفيد في انقاص وزن الجسم ويتحقق ذلك عند اتباع الصائم التعاليم الاسلامية في الصوم بما فيها الاعتدال في تناول الطعام والشراب والاكتفاء بوجبتين خفيفتين من الطعام عند الافطار والسحور والابتعاد عن تناول أطباق الحلويات والأغذية الأخرى التي توفر سعرات حرارية كثيرة وممارسة نشاط عضلي بشكل كاف لصرف جزء من الطاقة عوضاً عن تخزينها في أنسجة الجسم على شكل دهون، وحول تأثيرات صوم رمضان على وزن جسم الانسان أجرى الدكتور حامد تكروري بقسم التغذية وعلوم الأغذية بكلية الزراعة في الجامعة الأردنية في عمان دراسته على ١٣٧ شخصاً بالغاً (٩١ ذكراً و٤٦ أنثى) تراوحت أعمارهم بين ١٩ و٥٩ سنة، نشرتها المجلة الطبية السعودية في ١٩٨٩م اكتشف فيها حدوث نقص في أوزانهم في نهاية شهر رمضان، ولاحظ أن هذا النقص بين زائدي الوزن كان اكبر في النصف الأول من شهر رمضان عنه في النصف الثاني منه، وبلا شك فان هذه النتائج خاصة بأشخاص لهم عاداتهم الغذائية الخاصة في شهر الصوم، ويختلف ذلك عما يحدث لآخرين في بلد إسلامي آخر يحولون معظم نهارهم في رمضان إلى نوم وكسل ويسهرون خلال لياليه وتكون موائد طعامهم عامرة بما لذ وطاب ومفتوحة بين غروب الشمس والسحور.

### حمية غذائية قليلة السعرات (مقترحة):

* وجبة افطار رمضان:

- ٥ حبات من البلح أو التمر
- ربع دجاجة أو ١٥٠ جم من اللحم بدون عظم أو سمك.
- صحن خضروات سلطة (خيار - خس - بندوره).





ـ نصف رغيف خبز صغير أو ١٠ ملاعق طعام من الأرز المطبوخ أو البرغل أو المكرونه أو حبة بطاطس كبيرة.

ـ ١٠ ملاعق طعام خضروات مطبوخة.

* وجبة السحور:

ـ كأس لبن زبادي أو حليب أو لبن رايب (ربع لتر) فاكهة واحدة برتقاله أو تفاحة أو كمثرى أو موزه.

على الصائم المصاب بالسكري أن يراجع طبيبه لإجراء المزيد من الفحوصات المخبرية والسريرية بشكل دوري.

## أمراض الجهاز الهضمي:

يكون الجهاز الهضمي من أكثر أجزاء جسم الانسان تأثراً في شهر الصوم فخلاله يرتاح الفم والمعدة والامعاء من العمل أثناء ساعات الصوم، واكتشف الأطباء فائدة الصيام في تخفيف حدة بعض أمراض الجهاز الهضمي كالتهابات المعدة وعسر الهضم وغيرهما، لكن لابد من التأكيد على أهمية عدم الاسراف في تناول الطعام والشراب بأنواعها بين الافطار والسحور لتحقيق الفوائد الصحية المرجوه من الصوم.

### التهاب المفاصل الروماتيزمي:

أجرى فريق من الأطباء النرويجيين تجاربهم العلمية حول فوائد الصوم في علاج مرضى التهاب المفاصل الروماتيزمي ودرسوا تأثيرات امتناعهم عن الطعام بين ٧ و ١٠ أيام وتناولهم بعد ذلك أغذية نباتية فترة سنة، فلاحظوا حدوث تحسن ملحوظ في الحالات المرضية التالية ضعف المفاصل ، وانتفاخ المفاصل ، والشكوى من الألم ، والشعور بخشونة فى المفاصل صباحاً وضعف قوة المسك باليدين ومعدل الترسيب في الدم وعدد كريات الدم البيضاء للمرضى وتفيد هذه الدراسة في فتح المجال أمام علماء المسلمين لدراسة تأثيرات صوم رمضان على مرضى التهاب المفاصل الروماتيزمي.

### تخفيف الرغبة الجنسية:

يفيد الصوم في تقوية ارادة المسلم على مجاهدة نفسه والابتعاد عن اتيان المعاصي والتفكير بها، ويساهم شعور الصائم بالوهن والضعف في جسمه أثناء ساعات النهار في تخفيف حدة رغبته الجنسية وينصرف جُلّ همه إلى اشباع غريزتي الجوع والعطش لديه، وجاء في صحيح البخاري قول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجَاء» - أي وقاية من المعاصي.

وهناك حاجة لاجراء دراسات علمية حول تأثيرات الصوم على مستويات الهرمونات في الجسم لاكتشاف دورها في سلوك المسلم خلال شهر رمضان.

### فوائده النفسية:

لقد فرض الله تعالى الصوم وفيه يمسك المسلم عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس طاعة وامتثالا لأمره وطمعاً في نيل الأجر والثواب في دار الآخرة، وفي ذلك اطمئنان للقلوب وراحتها لوعد الله عز وجل، وهناك أحاديث عديدة تذكر فضل الصيام، فروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: قال الله عز وجل {كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة}، وقال أبو عبيد: انما خص الله تبارك وتعالى الصوم بأنه له وهو يجزي به وإن كانت أعمال البر كلها له وهو يجزي بها لأن الصوم ليس يظهر من ابن آدم بلسان ولا بفعل فتكتبه الحفظة إنما هو نية في القلب وامساك عن حركة المطعم، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «لا يصوم عبد يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفاً» رواه الجماعة إلا أبو داود.

## أمراض تضاد الصيام:

اكتشف الأطباء وجود حالات مرضية تضاد الصيام أهمها:

* عند دخول المريض المستشفى لعلاج الحالات الحادة لعلل صحية ألمت به، مثل القرحة المعدية والمغص الكلوي أو المعوي وداء النقرس والذبحة الصدرية واحتشاء العضلة القلبية.

* في المراحل المتقدمة لمرض الكبد مثل التليف الكبدي المصحوب بالحبن ASCITES

* مرضى السكر عند عدم نجاحهم في ضبط مستوى سكر الدم قريباً من حدوده الطبيعية.

* عند اجراء عملية جراحية للمريض.

* عند تعاطي المريض أدوية بشكل منتظم وعدم توفر ما يؤخذ منها عن طريق الحقن بالعضل أو تحت الجلد مثل مضادات تخثر الدم وموسعات الأوعية الدموية.

* عند الاصابة بالسرطان.

* فى المرضى الذين يعانون من حالات فرط افراز هرمون الأنسولين ونتيجة أورام في البنكرياس أو تناول أدوية معينة.

* في حالات انخفاض سكر الدم التفاعلي.

* عند الاصابة بأمراض مثل البرداء (الملاريا) والكوليرا والدوسنتاريا.

* عند حدوث أمراض تزداد شدتها نتيجة الصوم مثل حالات فقر الدم الشديد وسوء التغذية.

## نصائح:

***يمكن تحقيق الفائدة المرجوة من الصوم عند الالتزام بآدابه التى تشمل ما ذكره بعض السلف مثل:***

***- التعجيل بالافطار عند غروب الشمس.***

***- أن يوفر طعام الإفطار احتياجات الجسم من العناصر الغذائية الضرورية بعد ساعات الصوم.***

***- تأخير السحور وتناول طعام فيه يوفر طاقة كافية لخلايا الجسم والكبد لاستخدامها خلال ساعات النهار.***

***- الاقلال من تناول الحلويات والأغنية الدسمة لما توفره من سعرات حرارية كثيرة قد تسبب له التخمة وعسر الهضم.***

***- الابتعاد عن تناول الأغذية المملحة كالمخللات اثناء وجبة السحور خاصة لأنها تزيد الشعور بالعطش خلال ساعات الصوم.***

# بشرى للصائمين

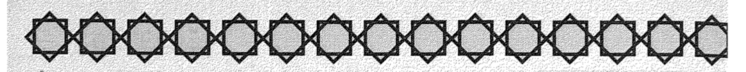
***** رُوى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: [الأعمال عند الله عز وجل سبع: عملان موجبان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر أمثاله، وعمل بسبعمائة، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل ، فأما الموجبان: فمن لقي الله يعبده مخلصا لا يشرك به شيئا وجبت له الجنة، ومن لقى الله قد أشرك به وجبت له النار، ومن عمل سيئة جُزي بها، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جُزي مثلها، ومن عمل حسنة جزى عشرا ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت له نفقته: الدرهم بسبعمائة، والدينار بسبعمائة، والصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل] (رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي).**

* وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: [إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد] (رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي).

* وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: [ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا] (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: [من قام ليلة القدر إيماناً واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه] (رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي، وإبن ماجه مختصرا.

* وعن سلمان رضي الله عنه قال: [خطبنا رسول الله [صلي الله عليه وسلم] في آخر يوم من شعبان قال: يا أيّها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، من



تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدّى فريضة فيه كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يُزاد في رزق المؤمن فيه، من فَطَّر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن يَنقص من أجره شيء. قالوا يارسول الله: ليس كُلّنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله {صلي الله عليه وسلم}: يُعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة، أو على شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوّله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما. فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة} (رواه ابن خزيمة في صحيحه، ثم قال صح الخبر، ورواه من طريق البيهقي، ورواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب باختصار عنهما).

* وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله {صلي الله عليه وسلم} قال: {إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين} (رواه البخاري ومسلم).

* وعن أبي هريرة رضى الله عنه أيضا أن النبى {صلى الله عليه وسلم} كان يصوم الإثنين والخميس، فقيل: يارسول الله إنك تصوم الإثنين والخميس، فقال إن يوم الإثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا مُهْتَجِرَيْن يقول: دعهما حتى يصطلحا} (رواه ابن ماجه، ورواته ثقات).

* عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} {عن صوم يوم عرفة قال: يُكفِّرُ السَّنة الماضية والباقية} (رواه مسلم).

* عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: {يكفرُ السَّنة الماضية) (رواه مسلم).

{ربَّنا ءاتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار} (سورة البقرة/ ٢٠١).

{ربَّنا ءامنَّا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خيرُ الرَّاحمين} (سورة المؤمنون/ ١٠٩)

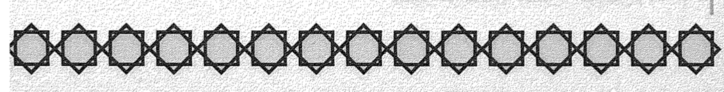
# رمضان .. بالحب تأتي

للشاعر:
**يس قطب الفيل**
- مصر -

بالحب تأتي، وبالإيمان تأتلق
وبالهداية فوق الأرض تنطلق
تأتي .. فتوقظ من ضلت مشاعرهم
ومن تردوا، وفي آثامهم غرقوا
تدعو إلى الله فى صمت، تحيط به
سكينة ، من زوايا النفس تنبثق
في كل عام - إذا ما جئت - تحملنا
إلى السماوات آمالٌ ، بها نثق
وحين ترحل عنا .. والفراق لظى
نظل عاما بنار الشوق نحترق
نظل ننتظر اللقيا ، على أمل
أن لا تحيد بنا عن غاية طرق

* * *

شهر الصيام .. على الإيمان تجمعنا
فلا يطيش بنا فى لحظة نزق
ندنوا من الله شهرا ، ليس يَعْدُلُهُ
فى العام شهر ، لمن فى صومهم صدقوا



ونستحى من خطايانا وقد كثرت

ويستبد بنا فى ليلنا أرق

ونطرق الباب ، تستجدى مشاعرنا

من يستجيب ، لمن أبوابه طرقوا

ونحن فى كل ما نأتيه ، يؤلمنا

أنّا على الشوق يوما سوف نفترق

* * *

شهر الصيام .. وهذى أمة جمحت

والثوب من حولها عاثت به فرق

والخوف والجوع والإملاق أرهقها

والناصحون لها مما رأوا صُعقوا

شهر الصيام .. تعالى الله خالقنا

ما شاء كان ، وحار الحاذق اللبق

فانقل إلى الملأ الأعلى توجعنا

لأمة لم يعد فى رشدها رمق

وكن لنا سندا فوق الصراط غدا

إذا تمايل ساق .. والتوت عنق

وعد كما أنت نبراسا يضيئ لنا

وكن إلى النور بابا ليس ينغلق

## السواك .. مطهرة للفم مرضاة للربّ:

# السواك .. في معامل البحث

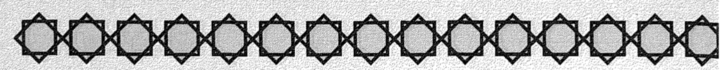
بقلم:
د. فوزي عبد القادر الفيشاوي
كلية الزراعة - جامعة أسيوط - مصر -

***للباحث الألماني «رودات» مدير معهد الميكروبيولوجيا والأوبئة بجامعة «روستوك» الألمانية تجربة مثيرة يحدثنا عنها فيقول:***

***«قرأت ذات مرة كتاباً لرحالة أوروبي يصف أسفاره ومشاهداته في بعض البلدان العربية والاسلامية، وقد استلفت نظرى سخريته اللاذعة من أهل هذه البلاد الذين ينظفون أسنانهم - في القرن العشرين - بقطعة من الخشب يسمونها (السواك Siwak) .. وعلى خلاف ما يوحي به أسلوبه الساخر الجارح، فقد قفز فى ذهنى فجأة سؤال جاد وحيوي: ترى أيكون وراء هذه القطعة الخشبية حقيقة علمية باهرة؟ لشد ما أتمنى اجراء بحوث علمية ودراسات على فرشاة الأسنان العربية تلك!! ولحسن الحظ، لم يمض وقت طويل حتى تحقق ما تمنيته، اذ هُيِّئَتْ لي الفرصة كي أفحص السواك وأخضعه لسلسلة من تجاربي الكيميائية والميكروبيولوجية.. واليوم لا يسعنى إلا الاعتراف بقيمته الصحية وتفوقه، بل لعلي أعده من أرقى وسائل تنظيف الأسنان.. وها هى تجاربي تؤكد على احتوائه على مركبات قاتلة للميكروبات تشابه فى تأثيرها فعل البنسلين».***

ونقرأ لغير العالم الألماني، أنهم فى جامعة منيسوتا الأمريكية أجروا دراسة مسحية للتعرف على الوضع الصحي لأفواه مجموعة كبيرة من الزنوج المسلمين، ظهر منها أن هؤلاء الذين يستعملون السواك سليمو الأسنان واللثة مقارنة بمن يستعملون الفرشاة والمعجون.

شاهد آخر(من أهلها) هو الباحث الطبي «كينيث كيوديل»، يقف أمام المؤتمر الثانى والخمسين للجمعية الدولية لأبحاث الأسنان، فى أتلانتا الأمريكية، معلناً: «إن عديداً من التجارب العلمية تثبت بما لا يدع مجالا للشك، وجود مادة تمنع تسوس الأسنان ضمن مكونات السواك، كما تؤكد الدراسات المسحية تمتع مستعملى السواك بأسنان صحية قوية،



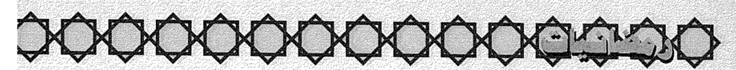
مما شجع العديد من شركات الأدوية والمستحضرات الطبية، على انتاج معاجين جديدة للأسنان مزودة بخلاصة السواك الطبيعية» تلك شهادات بعض الباحثين من أهل الاختصاص.. ولا تزال شهادات أخرى كثيرة تتوالى .. ولا تزال معجزة السواك - فى قلب معامل البحث - تتفجر!.

## معجزة السواك ..
## هدية الاسلام إلى الناس:

الاسلام ، كما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه، دين ودنيا، ثم هو عطاء حضارى متجدد، سبق زمانه بعدة قرون.. فهو في كل عصر يومض فى العقل البشرى ومضات مضيئة هادية، تبهر ألباب الأبعدين والأقربين وتثلج صدور المؤمنين. وها نحن اليوم فى حضرة احدى هذه الومضات المعجزة.. أجل، فالسواك - وهو هدية الاسلام الصحية الى الناس - هو بلا ريب معجزة صحية شاء المولى عز وجل أن تتفجر بعد ألف وأربعمائة عام من حديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وهذا حق، ففي معرض حرص الاسلام على صحة الأبدان، لفت الرسول {صلى الله عليه وسلم} أنظار المسلمين - على نحو غير مسبوق - إلى العناية بنظافة الفم والأسنان، فى عشرات الأحاديث الشريفة. وهو أمر مازال يثير دهشة وعجب أطباء الأسنان والباحثين من أهل الاختصاص، وهم الذين عرفوا - منذ سنوات قليلة - ما بين علل الأفواه، وعلل الأبدان من صلات قوية لا ريبة فيها. ألم يكشفوا النقاب مؤخراً عن مخاطر البؤر الصديدية العفنة بالأفواه المعتلة، حينما تنساب ميكروباتها وسمومها - عبر تيار الدم - إلى سائر أعضاء البدن فتصيبها فى الصميم؟ هذا كله صحيح، فهم كثيراً ما يحدثوننا عن آثار تلك البؤر وهى تمتد بخطرها الى العيون والجيوب الأنفية، ويذكرون أيضاً أنها قد تسبب التهابات فى الأغشية المخاطية المبطنة للمعدة، أو ينشأ عنها التهاب فى القولون والزائدة الدودية، وربما تقرح بسببها الاثنى عشرى، أو التهبت المرارة والرئتان والكليتان، وكذلك يصاب الجلد. واذ يستفحل ضررها تعتل مفاصل البدن ويكون من وراء ذلك ألم شديد.

وقصارى القول، فان الضريبة التى تفرضها علل الفم والأسنان على سائر أعضاء البدن تكون باهظة فى كثير من الأحيان. واذن فلم يكن غريباً على دين يعد المؤمن القوي (فى كل أحواله) هو الأحب الى الله من المؤمن الضعيف، أن يوجه بعض عنايته الى سلامة وصحة أفواه المسلمين، ضماناً لسلامة أبدانهم وحفظاً لعافيتهم.

وهكذا وجدنا فى الاسلام، فضلا عن المضمضة اللازمة لغسل الغشاء المخاطي للحلق والزور، وهى التى تعتبر جزءاً من الوضوء الذى يسبق الصلوات الخمس اليومية، رأينا النبي {صلى الله عليه وسلم} يحض




المسلمين على استعمال السواك فى تنظيف الأسنان وازالة ما يعلوها أو يتخللها من فضلات الطعام التى تؤدى عند تحللها وتعفنها لكثير من العلل والأدواء. ولسوف يلحظ الناظر فى عشرات الأحاديث النبوية إحاطة واسعة بأمر صحي بشكل دقيق ومعجز، فى حقبة من الزمان لم تكن المعارف الطبية المتداولة قد عرفته أو سمعت به.

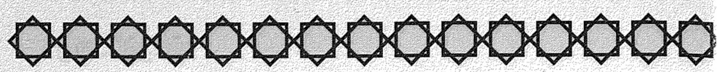
## السواك .. سنة وبركة وخير:

ربما لا نجاوز الحقيقة اذا قلنا إن السواك لم يكن ليفارق النبي {صلى الله عليه وسلم} فى كل أحواله.. فى غدوه ورواحه.. فى يقظته ومنامه.. وفى ليله ونهاره. وعلى ذلك كان أصحابه {صلى الله عليه وسلم}، حتى انهم كانوا يروحون والسواك على آذانهم.. وفى ذلك يقول أبو سلمه: «رأيت زيداً يجلس فى المسجد وإن السواك من أذنه موضع القلم من أذن الكاتب، وكلما قام الى الصلاة استاك» (نصب الراية للإمام الزيلعي).

وها هو أبو هريرة رضي الله عنه - وقد وعى توجيه النبي وحثه الدائم على الاستياك - يقول: «لقد كنت أستاك قبل أن أنام وبعدما أستيقظ وقبل ما آكل وبعدما آكل حين سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول ما قال». والآن، ماذا يقول النبي {صلى الله عليه وسلم} عن فضائل السواك ومكرماته؟

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «تسوكوا فان السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» (رواه البخاري). وتقول أيضا (رضي الله عنها): «مازال النبي {صلى الله عليه وسلم} يذكر السواك حتى خشيت أن ينزل فيه قرآن» (الامام الطبراني فى الكبير). وجاء فى صحيح مسلم، عنها (رضى الله عنها): «أن النبى {صلى الله عليه وسلم} كان اذا دخل بيته بدأ بالسواك». وأخرج الطبراني في معجمه، عن زيد ابن خالد الجهنى قال: «ما كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يخرج من بيته لشىء من الصلوات حتى يستاك». وعن عامر بن ربيعة قال: «رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مالا أحصى يستاك وهو صائم» (رواه أصحاب السنن وابن خزيمة). وأخرج البخارى عن أنس بن مالك، أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «لقد أكثرت عليكم فى السواك» وعن ابن عباس «أنه صلى الله عليه وسلم كان يستاك من الليل مراراً» (رواه الامام أحمد).

واخرج الامام أحمد فى مسنده، عن ابن عباس قال: «لم يزل يأمرنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء». وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يصلي بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك» (رواه الامام النسائى وابن ماجه والحاكم وصححه على شرطهما). وعن أبي أمامة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «تسوكوا فان السواك مطهرة للفم مرضاة للرب، ما جاءنى



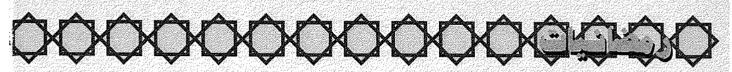
جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يُفرض عليَّ وعلى أمتى ولولا أنى أخاف أن أشق على أمتى لفرضته عليهم، وإنى لأستاك حتى خشيت أن أُحفي مقادم فمى» (رواه ابن ماجه). وعن أبى هريرة، عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» (رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والامام أحمد). وقد روى ابن حبان فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها، أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع الوضوء عند كل صلاة». ويعلق الفقهاء على ذلك، بأن المنفى إنما هو فرضية الاستياك خوف المشقة، ثم هم يجمعون على سنيته عند كل صلاة. وحول هذا المعنى يقول الامام ابن قدامة فى كتابه (المغنى فى الفقه): «واتفق أهل العلم على أنه سنة مؤكدة لحث النبي {صلى الله عليه وسلم} ومواظبته عليه وترغيبه فيه وندبه اليه وتسميته اياه من الفطرة». وفى معرض الحديث عن السواك ومآثره، نقرأ فى كتاب (زاد المعاد فى هدي خير العباد) للامام ابن القيم «أن السواك يطلق اللسان، ويمنع الحفر، ويطيب النكهة ، وينقي الدماغ، ويشهى الطعام، ويطيب الفم، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرد النوم، ويرضي الرب، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات».

ولا ريب أن ذلك كله، انما يدعونا أن نسأل أهل العلم والباحثين من رجال الاختصاص عن ذلكم السر الخفي، الذى أودعه الله فى بنية السواك وتركيبه، فاستحق به ما ذكرنا من تكريم عطر وثناء.. أجل فلنسألهم.. أيكون السر حقاً فيما عرفتموه عنه من روعة البناء، وما يحويه من نافع مركبات الكيمياء؟.

فى معامل البحث: السواك تحت المجهر:

إن أول ما يخبرنا به رجال العلم عن السواك، هو انه يجلب عادة من شجرة خاصة تنتمى للفصيلة السلفادورية، تعرف بالأراك، اسمها العلمى (سلفادورا برْسيكا). وهذا بعينه هو سواك النبي {صلى الله عليه وسلم} الذى يحدثنا عنه ابن مسعود رضي الله عنه فيقول: «كنت أجتبى لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} سواكاً من آراك». وكذلك يقول أبو خيرة الصباحى: «كنت فى الوفد فزودنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بآراك وقال استاكوا بهذا».

ونعود نسأل العلماء عن شجرة الآراك: ما صفتها؟ ونعرف أنها مما يكثر فى الأودية الصحراوية ويقل فى الجبال، أما الأجواء الحارة والاستوائية فهى مناخ نموها الأمثل، ولذا توجد فى مناطق عديدة بالمملكة العربية السعودية مثل عسير وأبها وجيزان، وكذلك توجد فى السودان واليمن وايران وشرق الهند



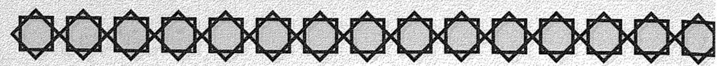

وفى بعض نواحي مصر كالوجه القبلى وشبه جزيرة سيناء. والآراك شجرات جميلة دائمة الخضرة طول العام، قصيرة من حيث الطول ولا يزيد قطر جذعها عن قدم واحد، وأطرافها مغزلية، أما أوراقها فلامع سطحها، وهى تخرج زهراً أصفر اللون مشرباً بخضرة محببة. ومن الزهر يخرج ثمر يؤكل، وهو بحجم حبات الحمص.

ذلكم وصف للآراك، فماذا عن السواك؟ إنه يؤخذ عادة من جذور الشجرة وهى بنت عامين أو ثلاث، وقد يؤخذ من أغصانها أيضاً، وإذ ذاك يكون جافاً وربما أخضر يتميز برائحة طيبة وطعم مميز، ولكن لابد من تجفيفه، ثم يحفظ فى مكان جاف لا تصله الرطوبه، إلى أن يجهز للاستعمال الشخصي. ويلزم عند تجهيزه نقع طرفه فى الماء بعض الوقت، ثم يدق حتى تسقط قشرته الخارجية وتتباعد أليافه، فيبدو عندئذ كأنه فرشاة.. وإن شئت الدقة قل: إنه أفضل وأكمل فرشاة عرفها الانسان. وهو قول لا نسوقه جزافاً، بل هكذا أثبت العلماء، ويقيمون الدليل على صحته من تحت المجهر، حينما يفحصون قطاعاً عرضياً منه.

ها هو السواك يبدو أمام الفاحصين، وكأن الله قد هيأه على أكمل وجه وأحسنه لتنظيف وحماية الأفواه والأسنان. ففى القطاع المعروض، يلحظ الرائى ثلاث طبقات متعاقبة: واحدة من نسيج فلينى، وأخرى من نسيج خشبى. وكما يبدو، فهما يشكلان الجزء الخارجى الواقى، الذى يحمى بداخله طبقة الألياف الداخلية حيث روعة البناء. فالألياف هنا مرتبة بنظام دقيق فى حزم متراصة الى جوار بعضها البعض، وفى كل حزمة تتراص عشرات الليفات الدقيقة، ليصنع الجميع أروع فرشاة أسنان بشهادة أهل الاختصاص. هل تصدق؟ مازال خبراء صناعة فرشاة الأسنان ـ حتى اليوم ـ يحاولون تقليد السواك كفرشاة، ويسعون بهمة للإفادة من خصائص أليافه السيليولوزية المدهشة فى صناعة شعيرات الفرشاة!.

سائل يسأل عن العلة، ونقول بأن الروعة الحقيقية فى بناء الألياف تكمن فى صفتين اثنتين لا نظير لهما، وهما: قوة البناء، ومرونته فى نفس الوقت. فالألياف على درجة من القوة تكفي لتنظيف الأسنان وازالة ما يلتصق بسطوحها من لطع جرثومية، بغير أن تؤذى اللثة أو تدميها.. هذه واحدة، والثانية أنها على قدر من المرونة يكفى للولوج بسهولة بين الأسنان وفى الثغرات، بغير أن تتعرض للتقصف والتكسير.

وصفوة القول، ان السواك يعد ـ من وجهة النظر البنائية ـ أفضل منظف ميكانيكى، وليس أفعل لصحة اللثة والأسنان والأفواه من منظف ميكانيكي كفء كالسواك. هكذا يقول باحثو



أمـــراض الفم والأسنان، وهكذا تدل عليـــه بحوثهم.

## خطر الأفواه يدعى (البلاك):

يعد سنوات طويلة قضاها باحثو أمراض الفم والأسنان، سعياً وراء علة الأفواه، خرجوا من بحثهم بثلاث عبارات ذهبية نسوقها:

١ ـ لا تسـويس يصـيب الأسنان فى غـيـبـة البلاك.

٢ ـ لا التهابات تطال اللثة فى غيبة البلاك.

٣ ـ لا صـحـة للأسنان واللثة والأفواه بغـير ازالة البلاك.

ولكن مـا هو البـلاك؟ وفيم خطره؟ ومن يقـدر على ازالته؟ وماذا عن السواك والبلاك؟ أسئلة عديدة تحتـاج لمن يجيب عنهـا، ولكن لابد أن نعلم أولا أن فى فـمى وفـمك أعـداداً هـائلة من البكتـيـريا عـدها البـعض فـبلغت زهاء ٥ ر٥ مليوناً من الخلايا فى كل سنتيمتر مكعب من اللعاب. واللعاب ـ كما تعرف وأعرف ـ هو ذلك السائل الذى تسبح فيه الأسنان دوماً، بحيث تكسو كل سن منها طبقة رقيقة منه، على أن المهم، أن بكتيريا الفم ليست أبداً ساكنة هادئة، بل هى وافرة النشاط لا سيما فى وجود بقايا من مـواد سكرية بين الأسنان، اذ تشـرع على الفور فى استغلالها لإنتاج جزئيات طويلة من مـادة جيـلاتينيـة، تلتـصق بقـوة على سطوح الأسنان. وكـمـا تتـوقع تمامـاً فـان مـلايين البكتيريا سوف تستمرىء العيش فى كنف تلك الطبقة الجيـلاتينية، حيث تزداد نمواً وتكاثراً وعتواً مكونة لطعاً جرثومية Bacterial Plaque تبدو على هيئة طبقة طرية لزجة يميل لونها الى البياض، وأحياناً تبدو بلا لون، وهى تحتضن عـدداً هائلا من البكتـيـريا، يقـدر بنحـو ٣٠٠ مليون خلية فى كل ملليجرام (الملليجرام يمثل جزءاً من ١٠٠٠ جزء من الجرام). اذن لقد بدأ الخطر الحقيقى يزحف على الأسنان.. فثمة سلالات من بكتيريا البلاك من أمثال: Streptococci & Lactobacillus & Actinomyces لا تزال سـادرة فى غـيـهـا حـتى تنخـر بعض الأسنان. وهـى مـهـمـة ليست سهلة بطبيعة الحـال، اذ تقتضى فى البداية اطلاق انزيمات خـاصـة على بقـايا السكريات، لتـحـويلهـا الى سكريات أبسط كالجلوكوز، الذى لا تزل محللة اياه، حـتـى ينتج عنه جـملة من الأحـمـاض العـضـوية كـاللاكـتـيك والبـيـروفـيك والخليك والبروبيونيك. ولا يخفى ما لهذه الأحماض من قدرة على اذابة وتحليل الجزء الصلب الملاصق لهـا من مـيناء الضـرس، محـدثة مـا يسـمـونه «فجوة تسويس الحامض»، عندها يبدأ سطح الضـرس فى التـآكل، ممهـداً لدخـول مـوجـات جديدة من البكتـيريا إلى أعـمـاق أبعد وأبعد حتى يصل الهدم إلى غايتـه فيموت الضرس بموت خـلاياه الحـيـة، ويتكون «خـراج» عند جذوره.

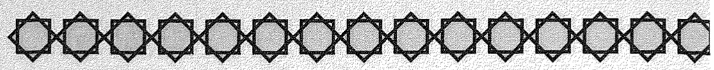
الآن، صـدق من قـال: «لا تسـويس بدون البلاك» أو بشكل آخر «لا وقاية ضد التسويس بدون ازالة البلاك» ولكن من يزيل البلاك؟ دعنا

نؤجل الاجابة حتى ننظر فى القاعدة الذهبية الثانية القائلة: «لا التهابات لثوية بدون البلاك»·· حقاً؟ ولكن ما معنى هذا؟ القول الحق، ان طبقة البلاك الرخوة - إن هى أهملت - لا تلبث أن تتصلب قليلا فى غضون ١٢ - ٢٤ ساعة، بحيث تغدو عصية على فرشاة الأسنان· وبديهى أن تزيد صلابة مع توالى الأيام، ومع استمرار الاهمال، لتصبح على هيئة «رواسب جيرية» قوية· وهذه لا تزال تتآزر (بل تتآمر) مع فضلات الطعام التى تنتشر هنا وهناك على سطح الأسنان، حتى تفرخ المؤامرة التهاباً بسيطاً فى اللثة· إنه بسيط حقاً، ولكن اعطه زمناً ومزيداً من الاهمال، وستجد المفاجأة، اذ يتغلغل شيئاً فشيئاً فى خيوط النسيج الرقيق الذى يثبت الأسنان فى مواقعها، والذى يربط جذور الأسنان بعظام الفك المحيط بها، ومن ثم يزداد الالتهاب ضراوة، مما ينذر بتآكل شديد يصيب العظام· لقد تمت فصول المؤامرة على أكمل وجه، وعما قليل تتكون بؤرة صديدية عفنة فيما بين جذور الأسنان والعظام، لا تزال تمتلىء بخليط من صديد ممتزج بخلايا ميتة وكائنات دقيقة وفضلات طعام، حتى يصاب المرء «بالبيوريا» ويصبح معرضاً لفقد أسنانه· وحتى قبل السقوط الحتمى، يظل الجسم معرضاً للأخطار·· فالصديد العفن يتحلب فى فمه ليل نهار، ومن الفم يسير قدماً إلى بقية جهازه الهضمى فيمرضه، وكثيراً ما تتسرب بكتيريا الصديد مع سمومها الى بقية أجزاء الجسم - عبر تيار الدم - على النحو الذى أسلفنا· يا لها من نهاية مخزنة، ما كانت لتحدث بإزالة واعية للبلاك·· أليس كذلك؟ معك كل الحق، ولكن أما آن أن نعرف شيئاً عما يزيل البلاك؟·

## السواك فى وجه البلاك:

الباحث الطبى الألماني «فريدريك فيستر» باحث أصيل ومثابر، أنفق من عمره سنوات قبل أن يجيب عن سؤالنا الآنف· وها هو ذا يقول: «لا حل لمعضلة البلاك بغير التنظيف الميكانيكى للأسنان مرات عديدة فى اليوم·· ذلكم هو السبيل الأمثل لصحة الفم والأسنان»·· ثم يضيف مفجراً قنبلة علمية غير متوقعة: «اننى شخصياً - طوال السنوات السبع الأخيرة - لم أستعمل فى تنظيف أسنانى غير فرشاة الأسنان وحدها، وبدون معجون·· وأستطيع أن أؤكد بكل ثقة على أن لثتى وأسنانى لم تكن فى يوم من الأيام بأفضل مما هى عليه اليوم·· فلا التهابات فى اللثة، ولا نخر فى الأسنان»·

حقا؟ فرشاة أسنان عادية (مسكينة) تفعل كل هذا! ترى ماذا يمكن أن تفعله فرشاة الأسنان (المثالية) المعروفة بالسواك؟ إن الأمر سيغدو مبهراً لا شك فى هذا·· ولكن يبدو أن ثمة مفاجأة أكبر تنتظرنا حينما ننظر بعمق يتزايد بإطراد فى مقولة البروفيسور فيستر بشأن «التنظيف الميكانيكى للأسنان مرات



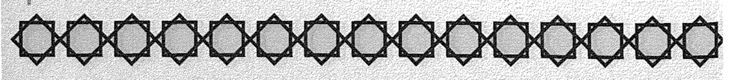
عديدة فى اليوم» ثم نمعن النظر فيما أوصانا به رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، واذن لا يسع المرء إلا أن يغـرق فى تأمله حـائراً واجماً. ألم يوصنا عليه الصلاة والسلام باستعمال السواك (وهو أكفأ أداة للتنظيف الميكانيكى) مرات عديدة أقلها خمس مرات فى اليوم، كما فى الحديث المشهور «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». ولنلحظ النظرة العلمية الشاملة فى الحديث، لا سيما وقد دلت دراسات الباحثين على امكانية حدوث تراكم للبكتيريا بعد وقت قصير من عملية تنظيف الأسنان. وهكذا كانت الوصية بالإستياك مرات عديدة فى اليوم بغية التخلص أولا بأول من اللطع الجرثومية المترسبة على الأسنان، وازالة طبقة البلاك وهى لم تزل بعد بكراً لم تنضج فتزداد التصاقاً وعتواً على أنسجة الفم الرخوة والصلبة على حد سواء.

شيء آخر لابد من ذكره، فالباحثون يرون فى ركود اللعاب - كما يحدث عند النوم - تنشيطاً لعملية ترسيب اللطع الجرثومية. وربما يفسر ذلك ما ورد عن النبي {صلى الله عليه وسلم} من انه كان أشد حرصاً على السواك كلما قام من الليل، ففى الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: «كان النبي {صلى الله عليه وسلم} إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك». وعن عمران عن النبي {صلى الله عليه وسلم} «انه كان لا ينام إلا والسواك عنده فاذا استيقظ بدأ بالسواك» (رواه أحمد وأبو داود).

وعن عائشة رضي الله عنها «أن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان لا يستيقظ من ليل أو نهار إلا تسوك قبل أن يتوضأ» (رواه أحمد وأبو داود). أبعد هذا ما يقال؟ معذرة، ان الحديث لا يزال فى مطلعه، فبعد وقفتنا أمام روعة البناء، ندلف الى المختبر نسأل عن تركيب السواك، وما يحويه من نافع مركبات الكيمياء.

## فرشاة طبيعية ذات قوة تنظيف ثلاثية:

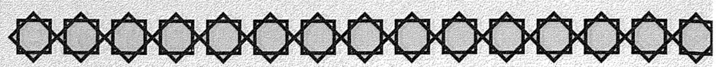
قليلون هم الذين يعرفون أن السواك هو فرشاة الأسنان الوحيدة ذات قوة التنظيف الثلاثية: ميكانيكية، وكيميائية، وحيوية. فالسواك - من الوجهة الميكانيكية - يفيد فى طرح بقايا الطعام الكامنة بين الأسنان، كما يزيل عن سطوحها الأوساخ والصبغات واللطع الجرثومية. ويتفق هذا - كما ذكرنا - مع طبيعة أليافه السليولوزية من حيث القوة والمرونة. بقى أن نعرف شيئاً عن خواصه الكيميائية، وهى كثيرة ومبهرة، منها أن بالسواك نسبة حسنة من الفلورايد، وهو عنصر حيوي يمنح ميناء الأسنان صلابة ومقاومة ضد التأثير الحامضى للتسويس. ومما يستطاب ذكره، أن باحثاً فى جامعة جراتز النمساوية، كان أول من كشف هذه الحقيقة، اذ لاحظ عند تحليله لمادة البازلت الصلبة، أن الفلورايد هو العنصر الوحيد الذى تنفرد به عن بقية المواد الأخرى الأقل صلابة. وهكذا تولدت فى ذهنه نظرية جديدة تقول بإمكانية تقوية الأسنان بواسطة الفلورايد. ولم



يمض وقت طويل حتى شاعت نظريته، وباتت الدول المتقدمة صحياً تعتمد هذه الخطة كأسلوب فاعل فى الوقاية الفمية الشاملة. وقد دلت دراسات الباحثين، على أن أكثر المستفيدين من خطة الفلورايد هم الأطفال، اذ تكون أسنانهم فى مرحلة النمو والتكون. فالثابت، أن ميناء الأسنان الدائمة يتم تكوينه - تقريباً - فى السنوات الثمانية الأولى من عمر الانسان. وهذا صحيح، ففى هذه المرحلة يشق الفلورايد طريقه الى الأسنان قيد النمو، حيث يحل محل ذرات أقل تفاعلية مثل الصوديوم والبوتاسيوم فى البنية التحتية لميناء الأسنان، وتكون الروابط الذرية التى تشكلها المادة الجديدة أقوى بكثير من روابط العناصر التى حلت محلها، وهو ما يؤدى الى أن تصبح الأسنان أكثر قوة وصلابة. ويكفى أن نذكر أن تعرض مادة الميناء - فى هذه المرحلة - للفلورايد يحولها من الصورة (Hydroxyapetite) إلى صورة أخرى أكثر صلابة هى (Flou-roaptite). وللمرء أن يأمل بحق فى أن يعود الآباء أطفالهم - لا سيما فى مرحلة تكوين ميناء الأسنان - على استعمال السواك، فقد تبين أن استعمال أملاح الفلورايد موضعيا على الأسنان - علي نحو صحيح - يضمن حمايتها بمشيئة الله من التسويس طيلة العمر كله. وهنا لابد أن نشير إلى المستوى الصحى اللازم، الذى أقرته منظمة الأسنان الأمريكية والأكاديمية الطبية للأطفال.. فالجرعة اليومية اللازمة من الفلورايد هي ٢٥ر. ملليجرام للأطفال حتى سن عامين، ٥ر. ملليجرام للأطفال فى عمر ٢ - ٣ سنوات، واحد ملليجرام فيما يزيد على ٣ سنوات حتى سن البلوغ. ومعنى ذلك أن قدرة الفلورايد على حفظ الأسنان لا تقف تماماً بعد اكتمال نموها، بل تستمر ولكن من خلال تشجيعه اعادة معدنة التهالك المجهرى قبل الوصول الى مرحلة التآكل وحدوث النخر.

## عود الى المختبر:

وغير الفلورايد يوجد في السواك بللورات صلبة من مادة السيليس، تبلغ نسبتها ٤٪، وهى احدى المواد الزالقة ذات الفعل التنظيفي، حيث تحك طبقة البلاك وتخلص الأسنان منها. وتوجد أيضاً مادة بيكربونات الصوديوم التى أوصى مجمع معالجة الاسنان التابع لجمعية أطباء الاسنان الامريكية بإضافتها الى معجون الأسنان. ويكشف التحليل عن وجود كمية وافرة من مادة السيتوستيرول، إلى جانب كمية من فيتامين ج. وكلا المركبين هامين فى تقوية الشعيرات الدموية المغذية للثة، وبذلك يتوفر وصول الدم اليها بالكمية الكافية. وتدل التحاليل على أن بالسواك كمية حسنة من مواد قابضة تمنع نزيف اللثة وتساعد على تقويتها، نذكر منها: مادة العفص (حامض التنيك)، وهذه المادة تستخدم فى ايقاف النزيف الذى قد يحدث بعد خلع الأسنان، كما تعمل على



تضميد اللثة بعد عملية مضغ وتقطيع الطعام، فتمنع نزيف الدم منها وتشفى جروحها الصغيرة. ومما يستطاب ذكره، أن أطباء الأسنان درجوا على توصية مرضى التهاب اللثة بتدليك لثاهم بمزيج يتكون من ٢٠٪ حمض التنيك مع ٨٠٪ جليسرين، وهى تركيبة مفيدة ولكن يعبها طعمها الحريف اللاذع غير المقبول. هذا، فى حين، أن وجود حامض التنيك ضمن مكونات السواك وبنفس النسبة تقريباً، لا يؤثر سلبياً على طعمه، بل إن للسواك طعماً محبباً لدى الكثيرين. وعلى ذكر الطعوم، فقد عرف أن لطعم السواك دوراً فى زيادة افراز الفم للعاب. والفم - كما نعلم - يفرز من اللعاب ما بين ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ سنتيمتر مكعب فى الأربع والعشرين ساعة، وهو دائم الافراز لترطيب الفم وزيادة دفاعه العضوى وتنظيفه وتزليج أجزائه وتسهيل حركات اللسان فيه والكلام.

وثمة وظيفة أخرى للسواك لا تقل أهمية وهى تعطير الأفواه وازالة ما يجتاحها أحياناً من روائح كريهة بسبب اهمال نظافتها. فالفضلات الغذائية، اذ تتجمع بين الأسنان أو على سطوحها المختلفة أو فى فجوات الضروس المتسوسة، تشجع ملايين الخلايا البكتيرية على العمل والتحليل وانتاج مواد كالأحماض الدهنية وكبريتور الأيدروجين، وهى مركبات ذات روائح نفاذة قوية، تجعل رائحة الفم كريهة منفرة. ولقد تبين أن بالسواك نحو ١٪ من مواد عطرية زيتية طيبة الرائحة تخلص الأفواه من كريه الرائحة وتعطرها بأريجها الفواح. وغير ما ذكرنا، فقد دل التحليل على وجود مادة «الأنثراليتون» ضمن مكونات السواك، وهى مما يساعد على تمام نظافة الأفواه وفتح الشهية أول الهضم وتنظيم حركة الأمعاء. ومن آخر ما كشف عنه الباحثون، أنهم وجدوا للسواك تأثيراً مضاداً للأورام السرطانية، كما تأكدوا من وجود مواد مثبطة لنشاط خلايا السرطان. ولا يزال الباحثون اليوم قائمين على كشف المزيد من عجائب مركبات السواك التى لا تفتأ تثير اعجاب الكثيرين.

## البكتيريا الفمية وقوة السواك الحيوية:

ترى أيكون للسواك دور حيوي مباشر فى قتل جحافل البكتيريا الفمية؟ سؤال قد يبدو بسيطاً، غير أن الاجابة عنه اقتضت اجراء مئات البحوث، فلعل المشكلة الحقيقية تكمن فى أفواه الناس، اذ هى تعد - برأى الباحثين - محاضن مثالية لنمو وتكاثر الميكروبات.

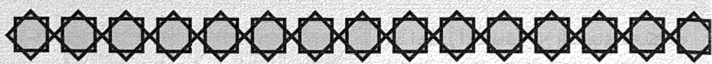
ففى تجويف الفم أنواع عديدة من البكتيريا فى حالة مدهشة من التوازن، فبعضها لا يمكنه الاستغناء عن الهواء، بينما يتسمم بعضها الآخر فى وجود أكسجين الهواء. جيوش بكتيرية رهيبة يزيد عددها فى الملليجرام الواحد من اللطعة الجرثومية، على ٣٠٠ مليون خلية. إنها أسباب لعلل الأفواه عظيمة، لا يدرى الناس من أمرها شيئاً، ولكن العلماء

لأخطارها واعون فاهمون. ولقد أبدوا منذ زمن اصراراً وحزماً على المواجهة، فابتكروا معاجين للأسنان مزودة بأنواع من مضادات الحيوية. غير أنها لم تكن صاحبة حظ، حيث عارضها الأطباء بعد وقت قليل، بعد ما تسببت في الاخلال بالتوازن الطبيعي لبكتيريا الفم.

ليس هذا فحسب، بل انها تسببت في نشوء سلالات بكتيرية مقاومة للمضادات ، مما كان ينذر بشيوع هذه الصفة على أوسع نطاق في بقية السلالات. معاجين أخرى ظهرت تخلو من مضادات الحيوية، ولكنها تحتوى على مركبات معقمة ومبيدة للميكروبات، وهذه أيضاً تعرضت لهجوم من بعض الباحثين منهم البروفيسور الألماني فيستر. وهؤلاء يرون أن معاجين الأسنان «المعقمة» و«القاتلة» لجميع أنواع البكتيريا الفمية تفضي حتماً إلى الاخلال بالتوازن الحيوى الدقيق السائد في تجويف الفم، مما ينذر بحدوث اضطرابات فمية ويمهد لتسويس الأسنان. لعل البعض يتساءل الآن: أهو عود إلى بدء؟ أليس ثمة حل عملي يكفل القضاء على البكتيريا الفمية (الضارة) من دون الاخلال بالتوازن الطبيعي المنشود؟.

## السواك يجد الحل:

أجل هنا يبرز الدور الحيوي للسواك، فهو من هذه الوجهة يعد البديل المثالي الذى يطلبه الباحثون من أهل الاختصاص، فلقد عثر المحللون في السواك على مادة عضوية كبريتية تدعى «سينجرين». وهى - في لغة الكيمياء - مادة جليكوزيدية تتكون من اتحاد زيت الخردل (أليل) مع سكر الجلوكوز اليميني. وزيت الخردل هو بيت القصيد، نظراً لما يتميز به من رائحة حادة وطعم حراق وتأثير مطهر قوي وقدرة عالية على قتل الميكروبات. وعلى هذا، فقيمة السينجرين الحقيقية هى في وجود هذا الزيت، الذى لابد أن ينفصل أولا عن الجزىء السكرى، وهو ينفصل بفعل انزيم طبيعى في اللعاب يسمى (Myrosin)، وبدون ذلك لا يظهر أثره المبيد على الميكروب. وكما نعلم، فان لكل كشف علمى قصة، وقصة الكشف عن المبيدات الحيوية بالسواك تبدأ بمجموعة من الباحثين الأصلاء استلفت ثراء مكونات السواك أنظارهم، فراحوا يستخلصون مركباته واحداً.. واحداً، ثم شرعوا في دراسة تأثير كل منها على جماعات بكتيرية بغية الامساك بالمركب الفاعل (قاتل الميكروبات). وطال البحث، ولم، يعثروا على قرينة هادية، وهنا تساءلوا: لم لا نغير خطتنا ونبحث فى مركبات السواك وهي في لعاب الانسان.. وسطها الطبيعي؟ وكانت المفاجأة، فقد عثروا فى اللعاب على مركبات جديدة لم يسبق التعرف عليها فى خلاصة السواك المعملية. وكان السؤال الحيوى: من أين جاءت هذه المركبات؟ وبعد تجارب تحليلية دقيقة تبين أن المركبات هي فى الأصل من مكونات السواك الطبيعية، غير أنها تتواجد فيه متحدة كيميائياً بمركبات أخرى تقيدها فلا يظهر تأثيرها المرغوب.. وهكذا، ما ان حانت لها فرصة الفكاك من قيدها بواسطة



انزيمات اللعاب حتى راحت تصول وتجول بين جحافل بكتيريا الفم الضارة، بحيث قضت فى زمن قياسي على نحو ٩٧٪ من أفرادها. على أن القصة لم تنته بعد، فثمة مفاجأة أخرى عرفها الباحثون، حينما كشفوا النقاب عن دور عكسى تقوم به انزيمات اللعاب صوناً للمادة الفعالة الزائدة من الضياع. فلو حدث وكان معيار المادة الفاعلة أكبر من حاجة الفم فى لحظة ما، فإن الزيادة تتقيد ثانية مع مركبات فى الفم وتحت تأثير انزيمات اللعاب، وعندئذ تفقد ولا شك سطوتها على الميكروبات. ولكن كل شيء هنا بحساب ومقدار، فما ان تتغير حموضة اللعاب بفعل النشاط الميكروبي، حتى ينقلب الحال، فتنشط انزيمات اللعاب، لتحرر جزءاً من المادة الفاعلة التى تتولى سريعاً مهمة قتل البكتيريا الضارة بحكمة واتزان. ويتكرر نفس السيناريو مرات عديدة على مدار اثنتي عشرة ساعة. وتلك هي الحقيقة التي نود أن نعيها، فالسواك ليس منظفاً عادياً للأسنان، بل انه منظف حيوى (مستمر)، وهو فى ذلك يختلف تماماً عن معاجين الأسنان، التى يعدها الباحثون مجرد منظفات (مؤقتة)، اذ يعود المستوى الميكروبي الى سابق عهده، بعد عشرين دقيقة من الاستعمال. ولابد الآن من اذاعة الحقيقة.. فلا ينبغى أن تصدق مطلقاً أن أياً من معاجين الأسنان له أى وظيفة علاجية لأي مرض من أمراض الفم والأسنان، فالحقيقة أن وظيفة المعجون لا تزيد - فى معظم الأنواع - عن تسهيل عملية انزلاق الفرشاة على الأسنان أثناء تنظيفها، توقياً من أضرار الاحتكاك، بل وحتى معاجين الأسنان الحديثة التى أضافوا اليها مركبات عديدة كالفلورايد ومانعات التعفن وقاتلات الميكروب، لم تف بالقدر اللازم للمحافظة على صحة الفم والاسنان، كما أخلت بالتوازن الحيوي فى تجويف الفم، وما يعنيه ذلك من اضطراب. من كل هذا الذى وصفنا نرى أن ثمة فروقاً جوهرية بين السواك، وبين المعجون، ففى الوقت الذى تكشفت فيه آثار المعجون السلبية، تأكدت وبقوة فوائد السواك ومنافعه الصحية.

حقاً إنه لأمر شديد الاثارة أن نسمع رجالا من أهل الاختصاص يجملون القضية في سطر واحد «إننا مقتنعون تماماً بتفوق السواك على جميع وسائل تنظيف الفم الأخرى» سبحانك يا الله.. بعد أكثر من أربعة عشر قرناً من حديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} عن السواك، وفى عصر الطب النووى، وعصر التكنولوجيا الباهرة التى استحدثت من الجديد المثير ما لم يخطر فى بال أو يسرح فى خيال، لا يزال السواك فى المقدمة، ولا تزال معجزته فى كل يوم تتفجر. وهى معجزة طبية وصحية ما كان لأحد من الناس أن يتعرف على شيء منها فى زمن النبوة، فمن ذا الذى أبلغ محمداً {صلى الله عليه وسلم} بها، وهو النبي الأمي الذى لا يكتب ولا يحسب. إنها - وأيم الله - لمعجزة خالدة متجددة نزلت من السماء، على لسان خاتم الأنبياء.

مناجم :

# المعجم المعاصر .. والتكنولوجيا الحديثة

كانت العناية بالمعاجم العربية جزءاً من احياء تراث الأمة وحضارتها في بداية عصر التنوير، ونشر مخطوطاتها أسوة بالكتب الأدبية والتاريخية والعلمية، فقد نشر وحقق عدد من هذه المعاجم كالقاموس المحيط، ولسان العرب، وأساس البلاغة ومختار الصحاح.. لأن اللغة العربية هي الوعاء الذي حفظ الثقافة العربية والحضارة الاسلامية[١].

وقد نقد العلماء نصوصها وفحصوها بعناية كبيرة للتخلص مما بها من تحريف وتصحيف وأغلاط جاءت من النساخ، وتلافي ما فيها من عيوب وادخال الجديد من اللغة فيها،


بقلم:
أ.د. يوسف عز الدين
جامعة ام القرى ـ كلية التربية


وقد اعتنى احمد فارس الشدياق في كتابه «الجاسوس على القاموس» عناية واضحة «بالقاموس المحيط» وقد نسق فكره وأراده سهل الترتيب واضح التعاريف، وأن يشمل الألفاظ والكلمات التي استعملها قادة الأدب العربي في النثر والشعر في أزهى عصور اللغة العربية. ناعيا على الفيروز ابادي التزامه بالايجاز حتى أصبح ضربا من الألغاز.

ولم يكن الشدياق أول من نقد المعاجم نقد اللغوى البصير فقد سبقه محمد مصطفى زاده عندما ألف (الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط)[٢].

وكانت حركة طبع المعاجم وتصويبها ونشرها حركة نشطة مما دعا الى تأليف معاجم جديدة تكون سهلة التراكيب، واضحة المعنى ميسرة الأسلوب، فأُلِّف (أقرب الموارد) الذي رتب حسب حروف الهجاء و(محيط المحيط) و(متن اللغة) و(الوجيز) و(الوسيط).

وانتشرت الدعوة الى تسهيل تصنيف المعاجم وتبسيط اسلوبها ودقة معاني ألفاظها ووضوح التبويب تأثرا بالمعاجم الغربية[٣] والسير على أسلوبها في الكشف عن الكلمات والألفاظ.

ومحاولة التخلص من التعاريف العامة مثل شجر

معروف أو ضرب من الحيوان[٤].

ولعل سبب هذا الاختصار هو نقل المؤلفين عمن سبقهم مع بعض التغيير في الشكل أو الترتيب كما صنع ابن دريد عندما غير اسلوب كتاب (العين) الصوتي الذي اعتمد على مخارج الحروف والأصوات ودلالتها حسب موضع خروجها من داخل الفم، واتخذ الألف باء منهجا في التصنيف.. حتى هاجمه بعض العلماء[٥] واتهمه معاصره نفطويه بسرقة الجمهرة من (العين) ومسخها بالتغيير والتبديل قال:

**ابن دريد بقره**
**وفيه عي وشره**
**ويدعي من حمقه**
**وضع كتاب الجمهره**
**وهو كتاب العين إلا**
**أنه قد غيَّره**

وقد جاء نقد المعاصرين للمعاجم بالخير على المعاجم فقد شُذِّبت ونُقِّحت ودُرِست أسانيدها ومناهجها وحُققت أعلامها وشُرحت بعض غوامضها.

غير أن الحياة المعاصرة وكثرة المخترعات والمكتشفات الجديدة التي لم تكن تخطر على بال الأسلاف دعت الى ضرورة وضع ألفاظ ومصطلحات ومعاجم جديدة تلائم هذا التطور الحضاري، واذا كان الأسلاف قد وضعوا حوالي الألف ونصف الألف من المعاجم ومع ذلك فقد قال جامع أسمائها: «انه قصر في الفهرسة واكتفى بالمعاجم التراثية دون سواها مما مسته الحداثة بأثر قليل أو كثير».

ولابد أن أذكر أن عصر محمد علي باشا اهتم بالمعاجم والمصطلحات التي احتاجها في الطب والهندسة والفنون الأخرى، واهتم بالمعاني اهتماما واضحا، فقد وجدت معجما للكلمات الفرنسية والايطالية والانكليزية مقابل الكلمات العربية لتسهيل دراسة العلوم، ويمكن ملاحظة أثر هذا المعجم بالمصطلحات التي استعملت في كتب الطب والعلوم وهي مطبوعة وفي (روضة المدارس) و(يعسوب الطب) غير الكاملة في دار الكتب المصرية دليل على أن اللغة العربية لغة مرنة يمكن الاشتقاق منها بسهولة والاستفادة منها في وضع المصطلحات

وهذا ما قامت به المجامع، وقد استفاد منها الباحثون فائدة واضحة وصدرت بعض المعاجم مستفيدة من جهود العلماء في عصر محمد علي العلمية، ونقد القديمة منها، فقد كتب احد الباحثين[٦] أن بعض المعاجم لا تفرق بين الجدب والقحط والمحل، ولا بين الرسن والعنان والزمام والقياد، واضطررت الى الاستعانة باللغة الانكليزية لتمييز معنى عن معنى آخر.. والواقع أن هناك مصادر للبحث عن الخيل وعن أدوات هذه الخيل[٧] يمكن أن نجد فصلا كاملا في ذكر آلات الخيل كاللجام والعنان والشكيمة والمهماز والسروج[٨] ويمكن مراجعة المخصص[٩] وفي المغرب[١٠] والصحاح[١١] ويظهر أن

وضوح القصد حال دون مثل هذه التعاريف، ولما وصلت الخيل الى أوربا وضعت لها التعاريف والحدود كما وضع غير العرب من المسلمين النحو.

أما ما جاء في تعاريف الخيل وأنواعها وأصولها فقد كان حفظا للأنساب وضرورة معرفة الجيد منها من غير الأصيل ولا يهم الراكب أن يصف نوع الرسن واللجام بقدر معرفة أصل الفرس والحصان لذلك أطنب العرب في ذكر أدوات القتال كالسيف والرمح والترس مع أصول الخيل وأنواعها.

لا جدال بأن المعاجم العربية المعاصرة تطورت تطورا كبيرا وقد أخذت جانبا من المصطلحات الجديدة ولا سيما الوسيط والكبير مما يقوم به المجمع، ولكن ما هي خطط المستقبل في المعجمات التي سوف توضع أمام هذا الزخم الكبير من المخترعات التي تتوالى علينا كل يوم وتطورها السريع في مختلف الفنون والعلوم، وقد تنبه مجمع اللغة العربية الى دخول العلوم التقنية الى العربية بمجلته منذ عددها الأول الصادر سنة ١٩٥٧م ولا يكاد عدد من أعداد مجلة المجمع يخلو من مجموعة من هذه المصطلحات[١٢].

المفروض أن المعجم يحوي جميع اللغة بأشكالها المتعددة وتطور ألفاظها واختلاف مصطلحاتها العلمية والفنية والأدبية، وأن يكون المعجم قادرا على استيعاب تطور اللغة باستمرار والا أصبح قاموسا بعيدا عن حياة الفكر المعاصر والحياة الحضارية المتطورة، فهل يقدر المعجم العربي المعاصر على استيعاب هذا الزخم الحضاري من الاكتشافات والمخترعات وامكانات العرب العلمية والمالية كبيرة ولكن الحضارية محدودة بحدود ضيقة؟ وليس هناك وعي عند الأغنياء والمسؤولين لدعم المعاجم ومساندة اللجان التي تقوم على وضعها وتطويع المصطلحات الجديدة ووضعها في معجم كبير شامل للجديد المستحدث مع أصول اللغة العربية وجذورها التى جاوزت مئات السنين ولم تأت هذه المخترعات والمكتشفات اليوم انما هي وليدة حضارة الغرب وثوراته الصناعية، فالثورة الصناعية كما تعلمون مرت بعدة أدوار أولها: دور اختراع الدولاب والعجلة حتى القرن التاسع عشر الميلادي عندما اكتشف جيمس واط البخار وأدار به المحركات وزاد من انتشاره والاستفادة العملية منه عندما اخترع المهندسون الاحتراق الداخلي لهذه المحركات ووجدنا طفرة كبيرة في المخترعات التي استعملت المخترعات الحديثة بالوانها المتعددة في البحر أو في السماء أو تمشي على الأرض، ويمكن أن نقف مع الثورة الثانية في أوائل القرن العشرين الذي شهد غزارة في المخترعات وتطورها وتعقدها، فما نصنع اليوم بالحسابة وآلاتها والعالم المتطور يطورها تطورا سريعا بل تتطور كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة وتأتي بأشياء متنوعة واستعملت لأغراض متعددة..

مما لا نعرفه. لأن الدول المتقدمة مازالت تحافظ على سرية الأجيال الجديدة المتطورة وتبيع الأجيال الأولى لعالمنا الشرقي بأثمان عالية. ما يكون موقف المعجم الجديد من رقائق الالكترون المتعددة، اضافة الى مخترعات تحجزها الدول المتقدمة لنفسها للمستقبل المجهول؟!!

لا شك بأن الغرب لم يرسل للشرق الا الأجيال الأولى من المخترعات والصناعات والتي انتفت حاجتهم منها، فقد كنت مَدْعُوّاً لزيارة أحد مصانع المعاهد العلمية التقنية في بريطانية وأخذني مدير المعامل بزورة في أرجاء المعهد ووجدت ماكينة ضخمة لا تعمل وحسبت أن فيها عطلا فنيا فسألت المدير عنها فقال: أصبحت قديمة وسوف نبيعها للشرق الأوسط.

واذا تركنا المكائن والسيارات والقطارات سوف نجد في الطب تقدما كبيرا فقد استعمل الطبيب أشعة الليزر عوضا عن المبضع والمشرط وأصبحت أدوات الجراحة طريقة قديمة في المعالجة وأخذ العلم يدرس حياة الطفل وهو في رحم أمه ويتابع التطورات التي تطرأ عليه ويقوم بالأعمال الجراحية له.

أما ميدان الزراعة فقد تطور باستخدام الموروثات في تطور الزراعة والاستفادة من التربة واستعمال الحشرات لمكافحة الحشرات.

والاتجاه الآخر هو تصغير هذه الآلات والمخترعات والأدوات فقد صنعوا بطارية توضع في (الربوت) الذي لا يزيد حجمه على الغرامات المحدودة ليسير في جسم الانسان ويرسل بأخباره الى شاشة التلفاز يصف حالة دم المريض وقلبه وشرايينه وأوردته والتغيرات التي تحدث له، فما هي الأسماء التي وضعت لهذه الاختراعات والآلات؟ ولا شك في أن المعاجم الغربية قد حوت أسماء هذه الآلات الصغيرة والكبيرة منها بل تعدى أمر العناية باللغة ذاتها وبدأوا يدرسونها ويصدرون قاموسا الكترونيا للاستثناءات النطقية في اللغة الانكليزية، وقد خصصت جامعات (أندبرة) مليونين ونصف المليون جنيهاً استرلينياً لوضع هذا المعجم فما مقدار ما خصص للقواميس العربية من الدول العربية الغنية، والبلاد العربية تمر بأغنى فترة من فترات حياتها الاقتصادية، وما مقدار ما خصصت هذه الدول للترجمة ووضع المعاجم لغير العرب الناطقين باللغة العربية؟؟!!

ان فرنسا أسست جامعة تعني بالفرنكفونية ومعناه العناية بكل الأمم التي تتكلم اللغة الفرنسية وصرفت الملايين في سبيل نشر لغتها وبث آدابها بين هذه الأمم والحفاظ على الصلة اللغوية بينها وبين هذه الأمم والشعوب.

أقول بصراحة أن مصر التي جاهدت في نشر اللغة العربية بذلت كل طاقتها في سبيل ذلك عندما كانت غنية ونحن العرب كنا نعيش

في ظلال تلك الجهود التي بدأت منذ زمن محمد علي باشا حتى وقت قريب.

المعجم المعاصر سوف يعاني نقصا كبيرا في محتوياته بتطور العلوم ودخولها في عوالم متعددة من الاكتشافات التي لم تعرفها من قبل وما فكرنا فيها.

العالم المتطور في حضارته التكنولوجية الجديدة استعمل ألفاظا وكلمات وعبارات لم تكن موجودة في معاجمه التي ورثتها من الثورة الصناعية الثانية التي دخلت في الفترة الثالثة بتنوع المخترعات واستعمالاتها بكل الاشكال كالمركبات والسفن الفضائية والصواريخ والنجوم المراقبة للعالم والرموت كنترول (التحكم من بعد) والبيجر وما أرسل الى الفضاء اللانهائي من أدوات داخل السفن والاستشعار عن بعد[١٣] لدراسة الارض وما عليها من حياة ومعادن وغيرها.

كانت أجهزة الحسابة كما تعلمون تملأ حيزا كبيرا وعددا وافرا من الموظفين والمهندسين لادارتها والعناية بها، اضافة الى قوة كهربائية لادارتها، وقد تطورت هذه الحسابات وأصبحت جزءاً من الحياة اليومية، أما الآن فقد أصبحت الحُسابات على كبرها تدار من شخص واحد، وأصبحت هذه الحسابات في حجم علب الكبريت ولا تحتاج الى كهرباء وتعتمد على أشعة الشمس والنور الكهربائي، وقد أخذت أوربا تتعدى وضع الكلمات في مجلدات المعاجم في الأوراق انما حولتها الى اسطوانات صغيرة الحجم، فالموسوعة البريطانية على ضخامتها وضعت في اسطوانة واحدة لا تكاد تخرج عن حجم الكف وتوضع في آلة تعطيك الكلمة بسهولة ويسر وتصور لك الآلة نفسها ما تريد من الكتب الأخرى المصغرة.

وقد دخلت رقائق السليكون والترانزستور في كل حاجاتنا الضرورية وأخذت المخترعات تعمر طويلا وتكلف قليلا، وقد حولت الترانزستورات الى رقائق السلكون بأعمال متعددة وصغرت هذه الآلات وتبارت دول العالم في تطوير الأجهزة الدقيقة في التسجيل والتصوير والسينما وجميع أدوات الانسان اليومية، لست مهندسا أو مختصا بهذه العلوم ولكني أقف مدهوشا أمام تعقيد الأدوات في الدول المتقدمة وتطورها.. هذا بعض ما قدرت عليه من اثارة في جذور المعجم الذي لابد أن يشمل هذه الأعمال التقنية المتعددة، فهل يمكن أن نجاري العالم في وضع مثل هذا المعجم المتطور؟

**الاقتراحات:**

ولابد لمتابعة المصطلحات والمقالات العلمية الحديثة والآراء المتعددة، وتطور العلوم الحديثة وتأليف معجم معاصر من انشاء معهد أو مؤسسة خاصة تكون مهمتها الأولى العمل على اعداد هذا المعجم ونشره وتقصي جذوره من اللغات الأجنبية بأن:

١ - يتم اختيار خيرة العلماء العرب للقيام بهذه التجربة، وقد نجحت الادارة الثقافية

التابعة للجامعة العربية نجاحا باهرا عندما كان الدكتور/ طه حسين رئيسها، ونقلت عددا من الكتب الى اللغة العربية مازال الفكر العربي يرجع إليها لأنه انتخب أحسن الشباب الذين يجيدون اللغات الأجنبية للعمل معه.

٢ ـ يتم الاختيار من المختصين الراغبين في العمل وألا يكونوا موظفين يؤدون عملا فرض عليهم، لأن الرغبة سوف تطور المسرى العلمي وتعمق جذوره.

٣ ـ انشاء مطبعة مهمتها نشر هذا المعجم أسوة بمشروع طبع القرآن الكريم في المدينة المنورة.

٤ ـ وضع مفردات المعاجم العربية والأجنبية في الحاسبات لتكون في متناول يد الباحثين وسهولة الاستفادة منها سواء أكانت باللغة العربية أم اللغات الأجنبية.

٥ ـ تزويد المعهد أو المؤسسة بجميع المعاجم الأجنبية العلمية والفنية لوضع مفرداتها في الحاسب وفرز ما في المجلات والجرائد والكتب وما يلقى في المؤتمرات من مصطلحات وعبارات علمية حديثة، وادخالها في الحسابة، ويوجد الآن في المكتبات الغربية الشيء الكثير من المعارف، وفي خزائن الحسابات عدد كبير من ذخائر المعلومات.

٦ ـ اعادة دراسة الكلمات والمصطلحات العلمية العربية في التراث الاسلامي في مختلف العلوم والاستفادة منها، وقد فشى بعضها في اللغات الأجنبية.

٧ ـ توزيع هذا المعجم على المدارس والجامعات والمؤسسات وضرورة الاستفادة منه بعد أن تفشت في كل بلد مصطلحات تختلف في الأقطار العربية عن البلد الآخر.

انه حلم من الأحلام، وما أكثر ما تحققت الأحلام.

---

## الهوامش :

(١) يقول أبو عمرو العلا (العلم بالعربية هو الدين بعينه) طبقات اللغويين المقدمة.

(٢) يلاحظ كتاب التنبيه والايضاح عما وقع في الصحاح لأبي محمد بن عبد الله بن بري تحقيق مصطفى حجازي وعلى النجدي ناصف. ط الهيئة المصرية، جـ/ ١، ١٩٨٠/ ١٩٨١ وغوامض الصحاح لصلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي تحقيق عبد الله نبهان منشورات معهد المخطوطات ١٩٨٥م بصدد نقد علمائنا للمعاجم.

(٣) أصدر يوسف الخياط ونديم المرعشلي طبعة جديدة من (لسان العرب) رتب حسب أوائل الحروف وأضاف اليها مصطلحات المجامع وكأنها وضع ابن منظور.

(٤) للزميل الدكتور عدنان الخطيب كتاب عن عيوب المعاجم القديمة في (المعجم العربي بين الماضي والحاضر) معهد الدراسات والبحوث العربية.

(٥) يلاحظ معجم المعاجم لمحمد الشرقاوي اقبال بصدد المعركة حول العين ص ١٩٤ ـ ١٩٩ دار الغرب الاسلامي بيروت ١٩٨٧م.

(٦) الهادي الي اللغة العربية. حسن أكبر، جـ ١ ، المقدمة.

(٧) الاقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل تأليف الملك علي بن داود بن يوسف بن عمر الرسولي الغساني، دار الغرب اللبناني، ويمكن مراجعة متن اللغة ص٥٨٨ م٢ محمد رضا بصدد الرسن والمخصص ص ١/١٢٨ وقد حقق الأقوال الكافية يحيى الجبوري.

(٨، ٩) المصدر السابق ١٩٨ ـ ٢٠١، ١٨٨/٦ .

(١٠) ص ٣٠٠ وفي ادي شير ١٤١ والصحاح.

(١١) طرح اللجام والمخصص ١٩٨/٦ .

(١٢) جمع الدكتور نبيل عبد السلام هارون تلك المصطلحات في (المعجم الشامل) المطبوع سنة ١٩٩٠م.

(١٣) وضع الدكتور خالد العنقرى تعريفات اساسية فيها مصطلحات جديدة في كتابه (الاستشعار عن بعد) المطبوع ١٩٨٦م تصلح قاعدة لمعجم جديد.

أعــــلام:

# الدكتور على عبد الواحد وافي.. الموسوعة العلمية.. يفضح دارون

منذ مدة ليست بالقصيرة رحل عن عالمنا إلي الرفيق الأعلى الدكتور علي عبد الواحد وافي - وقد أسدى إلى الفكر الإسلامي خير ما يعتز به مفكر عربي، حيث أقام علي أسس علمية أكاديمية مدرسة فكرية خاصة به قدم من خلالها أعمالا علمية لا يقدر على الإتيان بمثلها جيل بأكمله في اللغة والاجتماع والاخلاق والاقتصاد وعلم النفس والتربية والفلسفة.

فقد حصل من السوربون على أربع دبلومات عالية في الاجتماع والأخلاق والاقتصاد وعلم النفس والتربية والفلسفة بالإضافة لرسالتيه للدكتوراه من السوربون أيضا - وهو فضلا عن هذا درس في الأزهر وتخرج في دار العلوم ١٩٢٥ - وتتلمذ في فرنسا علي فوكونيه ودور كاييم وعندما تولي مهام التدريس بالجامعة المصرية حل محل الاستاذ هوستيليه البلجيكي والأستاذ هوكارت المتخصص في الأنثروبولوجيا.

وقد كانت اهتمامات الدكتور على عبد الواحد وافي بالتراث وتحقيقه اهتمامات بغير حدود يعد فيها رأس مدرسة مستقلة صاحبة منهج متميز ويكفي في هذا المجال ما قدمه من خلال تحقيقه لمقدمة ابن خلدون، حيث اشتملت الطبعة التي حققها علي ألفين ومائتين وثلاثين تعليقا منها ألف وثمانمائة واثنان وأربعون تحت ارقام أصلية (١، ٢، ٣، ٤ ....) وثلاثمائة وثمان وثمانون تحت أرقام فرعية (مثلا: ٢ب، ٢جـ، ٢هـ...).

ومن هذه التعليقات خمسمائة وثمانية وتسعون تعليقا خاصة بالتعليقات

بقلم: ا.د / **البدراوي زهران**
استاذ اللغويات ورئيس قسم اللغة العربية - جامعة اسيوط -

اللغوية، ألف وستمائة واثنان وثلاثون تعليقا خاصة بتحقيقات وبحوث في علوم الاجتماع والأخلاق والمنطق والفلسفة العامة والتصوف وتاريخ الفلسفة وعلم النفس والتربية والقراءات ورسم المصحف والتفسير والحديث ومصطلحه وعلم الكلام والفقه والفرائض وأصول الفقه والخلافيات والتاريخ العام، وتاريخ الملل والنحل والجغرافيا وفقه اللغة، وأدبها والرسم والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والعلوم الطبيعية والرياضية.. وهكذا إلي آخره.

وفراسة الدكتور وافي واخلاصه في ميدان التحقيق وتمكنه من ناصيته أوقعه على كثير من التصحيفات والتحريفات فمثلا كلمة (فرد) التي جاءت في الطبعات السابقة وجد أن استقامة المعنى أن تكون (قرد) واضطره ذلك الى الرجوع إلي المصادر التي أشار اليها ابن خلدون وغيرها ومنهم أرسطو والفارابي، والقزويني، وابن طفيل وابن مسكويه واخوان الصفا ووجد الألفاظ والعبارات التي استخدمها عندهم وتقسيم الكائنات الي الأقسام نفسها - ووجد بعد ذلك ما هو اكثر، وجد أن ما يربطون به بين مرتبة الانسان والقرد وليس الفرد، ووجد أن فكرة تقسيم الكائنات الي مراتب يتصل آخر كل مرتبة منها بأول المرتبة التالية لها عند الفارابي في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة، وفي كتاب عجائب المخلوقات للقزويني، وفي كتاب حي بن يقظان لابن طفيل وفي كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه، وفي رسائل إخوان الصفا المشهورة - غير ان الرقي عندهم رقي في المرتبة اى أن الكائنات مراتب بعضها فوق بعض، وتلك هي البذور التي بنى عليها دارون نظريته وكأنه استفادها من الأفكار الموجودة في التراث ولكنها عند هؤلاء العلماء تنسجم مع ما عليه العقيدة وما نزلت به الكتب السماوية من أن كل أصل له استقلاله الخاص به، وأن الإنسان خلق مستقلا له تكريمه الذي ميزه به ربه - فالرقي عند هؤلاء العلماء رقي في المرتبة فحسب فهم يحاولون ترتيب الكائنات من الأسفل إلى الأعلى ترتيبا عقليا ومنطقيا حتى ان بعضهم ليضع الفيل والفرس والنحل والببغاء وبعض الطيور الذكية في مرتبة قريبة من الإنسان وفي أعلى مراتب الحيوانية ولكن دارون ذهب بآرائهم نفسها مذهبا آخر.

ثم جاءت المفاجأة الكبرى وهي أن ابن خلدون ذهب في مقدمته التي يحققها والتي هي بين يديه مذاهب أخذها بنصها دارون غير أنها عند ابن خلدون تتفق مع ما عليه العقيدة وما نزلت به كتب الله.

فقد وجد ابن خلدون يقول إن الكائنات الأخيرة من كل مرتبة قابلة لأن تتحول إلى الكائنات الأولى من المرتبة التي تليها.

ومن هنا فقد جاءت عبارة الدكتور على عبد الواحد وافي عبارة عالم مدقق وهي: «وبذا تقترب نظرية ابن خلدون من نظرية دارون ومن تابعه من جماعة الارتقائيين المحدثين» وان كان دارون ومن تبعه يذهب في ذلك مذاهب أثبتت البحوث العلمية خطأها فإن ابن خلدون رأى رأيا فلسفيا يتفق مع المعتقدات الدينية ويفسر قول الله {ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا} (الإسراء/ ٧٠).

فتراث علماء المسلمين في واقعه تراث عملاق أفاد منه علماء الغرب بلا حدود، وفيه مفتاح رقيّنا وطريق انطلاقنا نحو الغد الذي يجب أن نصل إليه فما أجدر هذا التراث بأن تتضافر من حوله جهود الباحثين والدارسين وما أحق ما تركه الدكتور علي عبد الواحد وافي من ان يعكف عليه الباحثون فقد ترك علما نافعا وكتبا قيمة أرْبَتْ على المائة، وراجع اكثر من ٥٠٠ مصطلح بمعجم العلوم الاجتماعية الذي أصدره مجمع اللغة العربية ونشر بمجلة المجمع بحوثاً عظيمة النفع متنوعة الأغراض وله أكثر من سبعمائة مقالة ودراسة في مجلات علمية متعددة نشرها على مدى ستين عاما أو يزيد من عمره الحافل بالعطاء الذي جاوز التسعين، ومن الجدير أن نسجل له هنا رأيه الذي قاله عن ابن خلدون فقد قال: «وجدت أن ابن خلدون هو الذي يستحق عن جدارة لقب منشيء علم الاجتماع لا من الناحية التاريخية فحسب بل لأن منهجه كان أسلم وطريقته كانت أصح وكان اكثر استيعابا لمسائله، لقد وجدت أن العالم العربي ابن خلدون قد وضع علم الاجتماع علي أسس متينة ومنهج سليم، ومعناه أن أسس علم الاجتماع لا ترجع الى أوجست كونت كما يذهب الفرنسيون ولا الى فيكو كما يذهب الايطاليون ولا الى هربرت سبنسر كما يذهب الانجليز، بل ترجع إلي المفكر ابن خلدون.

والدكتور علي عبد الواحد وافي هو ابن خلدون مصر والعرب في هذا العصر.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدكتور علي عبد الواحد وافي يعد الرائد الأول لعلم الاجتماع في مصر والعالم العربي - وهو عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة والمجالس القومية والمتخصصة والمجلس

الأعلى للشئون الاسلامية والمجمع الدولي لعلم الاجتماع وعميد كلية الآداب ورئيس قسم الاجتماع بمصر والسودان والجزائر والمغرب والسعودية وعميد كلية التربية بجامعة الأزهر سابقا وحائز علي جائزة الدولة التقديرية.

وولد في مارس عام ١٩٠١ ـ وكان والده فضيلة الشيخ عبد الواحد وافي قد تخرج في دار العلوم وعمل بها وكان من أوائل عمدائها.

ودرس بالازهر من عام ١٩١٥م حتى ١٩٢١ ثم التحق بدار العلوم وتخرج عام ١٩٢٥ واوفد في بعثة علمية الي جامعة السوربون بباريس وقضى بها ست سنوات منذ تخرجه حتى منتصف سنة ١٩٣١.

وتم تعيينه بدار العلوم مدرسا للاجتماع والاقتصاد والتربية وعلم النفس بالإضافة إلى قيامه بالتدريس في كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة فؤاد) ـ القاهرة الآن.

وفور قيامه بتدريس علم الاجتماع قام بوضع مناهج شاملة دقيقة لجميع فروع هذا العلم ومحالاته وتم تدريس علم الاجتماع في جميع مراحل علم الفلسفة بالإضافة الي بعض الأقسام الاخرى بكلية الآداب، وظل مهتما بالكشف عن الجذور العربية والإسلامية لهذا العلم وعلى يديه تم إنشاء أول قسم اجتماع في الجامعة المصرية وسارت جامعات البلاد العربية على غراره ـ وكان انفصال قسم الاجتماع عن قسم الفلسفة في جامعة فؤاد عام ١٩٤٨م وإليه يرجع الفضل في إنشاء عدة جمعيات علمية متخصصة منها الجمعية المصرية لعلم الاجتماع والجمعية الفلسفية المصرية.. الخ وقد تولى رئاسة كل جميعة انشأها وأشرف على إصدار مؤلفاتها ـ واختير عضوا لجامعة التعريف الدولي بالإسلام وعضوا بجامعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية .. إلي آخر ما يضيق المقام عن ذكره.

واهتمامه بمجال اللغة العربية فوق كل اهتمام فهو صاحب أول اصدارين في عصرنا الحديث يعالجان الدراسات اللغوية من وجهة نظر علمية حديثة ـ وهما كتابه فقه اللغة وكتابه علم اللغة ومازال هذين الكتابين عمدة هذه الدراسة ومرجع الباحثين ـ وللقارىء أن يتخيل مجهودات الدكتور على عبد الواحد الفكرية ومجالات نشاطه العلمية في تلك المجالات المتعددة وكيف يكون انتاج باحث يحمل القلم ويكتب ويؤلف مدة سبعين عاما منذ تخرجه من دار العلوم في اتقاد ذهن وحركة دائبة الى أن توفاه الله تعالى وهو يحمل قلمه. أسكنه الله فسيح جنته وغفر له.




**بقلم:**
**محمد بن احمد العقيلي**

# أولدس هكسلي: العالم الطريف

ولد «أولدس ليونارد هكسلي سنة ١٨٩٤م في انجلترا، وهو من أنشط الكتاب والمؤلفين بدأ حياته الأدبية شاعراً كغيره ممن يبدأ حياته بالشعر، وهم الأغلب، ونشر شعره لأول مرة في مجلة «هويلز» ثم جمعه في ديوان عنوانه «العجلة المحترقة» سنة ١٩١٦م وفي تلك السنة اشترك مع غيره من الأدباء في جمع ديوان شعر «اكسفورد» وبقي شاعراً طوال حياته مخالفاً بذلك الكثير من أدباء عصره الذين انحرفوا عن الشعر إلى النثر، وظل شاعراً ثائراً على العالم الذي يقوم على الأسس العلمية، كما أنه غير راض على ازدياد نفوذ العلم في حياة الناس، وقد ألف بعد ذلك كثيرا من الكتب الرائدة ومن أشهرها كتاب «الوسائل والغايات» وهو بحث قيم في طبيعة المثل العليا ـ بالنسبة للغرب عامة وبريطانيا خاصة، طبع عام ١٩٣١.

وفي كتاب «الوسائل والغايات» عرض ونقد وإصلاح للأنظمة السائدة في العالم الغربي وللحروب وأسبابها والأخلاق والمعتقدات، ثم ألف «العالم الطريف» وهو قصة خيالية طريفة يتصور فيها «هكسلي» مستقبل الإنسان إذا هو واصل تقدمه نحو الحضارة المنشودة على أساس علمي ـ في الغرب ـ دون مراعاة للمثل الإنسانية الرفيعة غير أن «هكسلى» ينذرهم في كتابه بأن السعادة المرجوة لن تتحقق على أساس التضحية بالمثل والقيم الإنسانية الرفيعة.

إن تلك الصورة الخيالية التي رسمها «هكسلي» لمستقبل الحضارة البشرية ممعنة في الخيال مغرقة في التشاؤم إلى الحد الذي لا يدعو إلى تصديق وقوعها، ومع ذلك إن كثيراً مما تنبأ به «هكسلي» في كتابه هذا بدأ فعلا يتحول إلى حقيقة واقعة في حياة ذلك العصر وبسرعة لم تكن تطرأ للمؤلف نفسه على بال. ثم بعد ذلك أخرج «هكسلي» كتاباً آخر تحت عنوان «عود إلى العالم الطريف» عالج الأخطار العظيمة التي تواجه العالم اليوم، وأهمها - إذا استثنينا القنبلة الهيدروجينية - زيادة سكان العالم ، المبالغة في التنظيم فزيادة السكان في نظر «هكسلي» لابد أن تؤدي إلى الحكم الديكتاتوري.

وكان يعيش عيشة بسيطة بعد أن انتقل إلى أمريكا . و«هكسلي» يذهل الزائر له بعمق ثقافته وشموليتها فهو على دراية تامة بتقدم العلوم الطبيعية والتاريخ السياسي وتاريخ الأديان والكثير من اللغات الحية واللغات البائدة وآداب الشعوب ومشكلاتهم السياسية والإقتصادية ونظريات التطور وعلم النفس الحديث والفنون القديمة والحديثة وكافة ضروبها وعلم الفلسفة والتربية، فالرجل موسوعة علمية، امتزجت أفكاره وكون من هذا المزيج معلوماته الخاصة والعامة التي أخرجها في كتب أدبية وسياسية رائعة تتسم بنصاعة الأسلوب وجميل الأداء.

وقد ألف قبل ذلك كتاباً بعنوان «الجزيرة» وهي قصة جديدة يتصور فيها «هكسلي» الحياة الجديدة في جزيرة نائية بعيدة عن الحضارة، وقد أراد بهذا الكتاب أن يعدل بعض الشيء عن تشاؤمه الذي ضمنه كتابه السابق «العالم الطريف» إلى نوع من أنواع التفاؤل بمستقبل الإنسان وإن العلم تقدم ويكشف جديداً كل يوم.

أما كتابه «العالم الطريف» فخلاصة محتواه هو تعبير «هكسلي» عن خوفه من سيطرة العلم على حياة الناس ولعله من بين الكتَّاب الأحياء في عصره جميعاً الكاتب الوحيد الذي يستطيع أن يصور نتائج العلم بجرأة ووضوح.

وهو في ذلك الكتاب عالم وشاعر يرسم لنا صورة بشعة يتقزز منها القارىء ، كما تقزز منها الكاتب، في هذا الكتاب يتخيل «هكسلى» أن العلم سوف يصل بنا إلى حد الإستغناء عن أشياء كثيرة ومنها تكوين الأجنة في قوارير بطريقة علمية بدلا من تكوينها في الأرحام، ثم إلى غير ذلك.

والعالم الجديد في نظره تهمه السعادة أكثر مما تهمه المعرفة وهي سعادة آلية لا

توجهها نفوذ شخص، وإنما تفرض على النفوس فرضاً، فمثلا إذا أردت شيئاً في العالم الجديد فأنت لا تفكر فيه ولا تسعى إليه، وإنما يكفيك أن تضغط على زر أو تدير مقبضاً يكون لك ما تريد، وليس من شك فإن تلك الحياة رغم يسرها الشديد تدعو إلى الملل، كما تؤدي إلى إهمال الفنون الرفيعة والشعور الديني الكريم والروح العلمية الصحيحة التي تهتم بإكتشاف أسرار الطبيعة أكثر مما تهتم بسعادة الإنسان وراحته.

كل تلك الآراء بسطها «هكسلي» في كتابه وهي ليست قصة بالمعنى المألوف فهي تتقدم فيها العقدة أو تكاد ولا تأبه بتحليل الشخصيات، وإنما هي قصة أساسها علمي، تهتم بشرح الآراء وتحليل الأفكار، وبنقض الحضارة الإنسانية من أساسها.

وكثيراً ما يرسل الكاتب فيها نفسه على سجيتها، لا يتقيد بترتيب معين أو منطق خاص يدون الأفكار وفقاً لتواردها في ذهنه، فهو يجمع بين المتناقضات ويؤلف بين الغريب والبعيد والعلوي والأسفل في أسطر قلائل ويؤدي به أحياناً إلى شيء من الغموض.

في العالم الجديد الذي يتخيله الكاتب يستطيع الإنسان أن يتحكم في تربية الأطفال بالتكرار والإيحاء فيصوغهم كيفما يشاء، يرغبهم في هذا ويبغضهم في ذاك بربط ما يليق بشيء مستحب، وما لا يليق بشيء كريه ترابطاً نفسياً.

وأخيراً يصور «هكسلي» النزاع بين القديم والجديد في صورة صراع ذهني شديد ينشب في نفس شاب من منطقة المتوحشين يزور هذا العالم الطريف فيتقزز منه وتشمئز نفسه ويهرب منه في عزلة يفكر فيها عن ما لحقه من دنس ويعذب نفسه حتى الموت، وبهذا تنهزم المدنية التي نعيشها أمام «العالم الجديد» الذي يقوم على أسس علمية بحته، وينتقد على ذلك الكاتب أنه سلبي أي أن الكاتب يسخر ويتقزز بدون أن يقدم لنا حلا جديداً أو بدلا صالحاً لمشكلة الحياة، فهو بذلك يهدم ولا يبني.

وفي الأمور الروحية لا يقدم سوى مجرد انتقاد أفكار. وفي المملكة الحيوانية رآها تأكل وتتكاثر بغير ثمن وإدراك، وهكذا الحياة بالمدينة الفاضلة العلمية فهي ليست إلا خيال فئة من العلماء الطبيعيين الذين يعيشون في خواء روحي دون عقيدة صحيحة أو اعتقاد ديني صحيح.

ولكن نلمس من خلال الحوادث التي تقع في القصة أن «هكسلي» ينادي بالعودة إلى بساطة العيش وإلى الأمومة الصحيحة وإلى الأطفال ترعاهم أمهاتهم وإلى الذي لم يلوث

بالعلم والمادة. ولكن كيف السبيل إلي ذلك وتقدم العلم المطرد يهددنا كل يوم؟ كيف يمكن للإنسان أن يعيش في مجتمع أقل كمالا ولكن أكثر جرأة وطيشاً؟!

ظل «هكسلي» عدة سنوات يتخبط في عالم من الحيرة ودنيا من الشكوك يفكر في الإجابة عن ذلك التساؤل، حتى استطاع أخيراً في عام ١٩٦٢م أن يخرج بقصته الجديدة التي أشرنا إليها قبل بعنوان «الجزيرة» وهي صورة لعالم آخر ومجتمع مختلف يعيش في جزيرة «بالا» إحدى جزر المحيط الهادي وفي هذه الجزيرة لا يستخدم العلم، كما استخدم في العالم الطريف في اضطراد التقدم المادي الذي لا يفسح للروحية مجالاً، ذلك لأن الهدف في «بالا» يختلف عنه في العالم الطريف فهو في الجزيرة تحليل الأفراد وفي العالم الجديد السيطرة عليه والتحكم فيه، وتثير جزيرة النعيم هذه حسد البلدان المجاورة وعداوتها وبخاصة لكثرة ما فيها من المعادن وحقول البترول وتدبر المؤامرات للاستيلاء عليها حتى يصل إلى أرض الجزيرة أحد أفراد المؤامرة وهو صحفي يعرف باسم «فرنادي» يقوم برحلة بحرية فتتحطم سفينته ويلقي به اليم على شاطيء الجزيرة ويتعرف «فرنادي» إلى فلسفة أهل الجزيرة وطريق معيشتهم، فيشك في كل ما لديه من قيم ومثل أتى بها من العالم الحضاري، وبالقيمة الجديدة التي يجدها الرجل شائعة بين أهل الجزيرة، ويأمل في انقاذ مدينته السابقة مما تعانيه.

وفي الفصول الأخيرة من الكتاب ينتقل شاب من أبناء منطقة المتوحشين، منطقة العالم القديم ويلتقي ببعض أفراده المسئولين عن الإحتفاظ بنظامه، وتدور بينه وبينهم محاورات وأحاديث يستشف منها القاريء اختلاف وجهات النظر، نورد بعضها على وجه الإختصار:

يسأل الشاب المتوحش: لماذا لا تبيحون قراءة شكسبير؟

- لأنه قديم ونحن لا ننتفع بالأشياء القديمة.

- حتى إن كانت جميلة؟

- وبخاصة إن كانت جميلة فالجمال جذاب ونحن لا نريد أن ينجذب الناس إلى الأشياء القديمة، إنما نريدهم أن يحبوا الأشياء الجديدة.

- لكن الأشياء الجديدة مملة سخيفة كتلك المسرحيات - يشير إلي المسرح في العالم الطريف - التي لا ترى فيها سوى الطائرات المحلقة والتي تحس فيها بقبلات الناس؟ - وقطب جبينه عابساً ثم قال: أولئك قردة وماعز.. ولم يجد غير هذه الألفاظ التي تفوه بها عطيل في مسرحية شكسبير أسلوباً للتعبير عن اشمئزازه... الخ.

# فلسطين في وجدان الشاعر السوداني

إن من أعظم العقبات التي تعوق إثراء المثقفين أدبياً في عصرنا الحاضر - حيث تتوارى ثمرات الأدب - قصور الإعلام الذي لم يُعرِّف بهذا النتاج الأدبي، فقد حُجبت الرؤى والمعارف ، وتوارت القيم الفنية التي تعد عصارة فكر ونبضات قلب عشق العطاء الثر، وتبعاً لذلك لا يعرف الكثيرون - في الوطن العربي - عن شعراء السودان ، كما لا يعرفون القاسم المشترك الذي يجمع بينهم وبين رصفائهم من شعراء مصر.

ومهما يك من أمر فإن الشعراء السودانيين قد نظموا في شتى الفنون والأغراض، كما لم يخل شعرهم من ملامح البيئة السودانية وقيمها وتراثها ومجدها الطارف التليد، كما أسهموا بشعرهم في تحرير الشعوب من الذل والاضطهاد والاستبداد والاستعمار البغيض، كما نظموا في الدعوة للتضامن والتكاتف والتآزر ونبذ الخلافات، كما عزفوا للعرب والعروبة أنغاماً شجية تسحر القلوب وتخاطب الوجدان،


بقلم: **د. عبيد خيري**

كلية التربية - جامعة الملك عبد العزيز - المدينة المنورة -


وفي هذا يقول شاعرنا الشيخ عبد الله البنا[١]:

*ولله شوقي إذ جلا النيل للورى*
*فخلَّده ذكراً ، وجاشت غواربه*
*وقد رفع الأهرام بالشعر خالداً*
*بها وبه اعتزت وعزت غرائبه*
*وذلك ماضي الشعر ، أما حديثه*
*فسلني وسل عن معجز أنا كاتبه!*
*قواف تناهت في العروبة، لم يكن*
*ليبلغها مستعجم اللَّفظ ناضبه*
*يباهي بها صيد الفحول، وتخلب الـ*
*عقول ويزهيها من اللفظ قالبه!*

* ثم انتقل شاعرنا بعد ذلك إلى القضية الفلسطينية ، فقال[٢]:

*تداعى العدا يبغون كيداً لشعبنا*
*وقد غرَّهم من خلَّب البرق كاذبه*
*وأوحوا لإسرائيل أن زعزعي الحمى*
*وصولي وخير الصَّوْل ما اشتد غاضبه*
*ولولا انحلال في الوداد ، وكثرة الـ*
*خلاف ، وجيش واهن العقد خائبه*
*لما انتهكت سينا ولا القدس روِّعت*
*ولا اقتحمت شعب السويس مصائبه*
*ولا كانت الجولان قفراً مُروعاً*
*تصول علي غلب الأسود ثعالبه*
*ولا انشطر الاردُنُّ شرقاً ومغرباً*
*ولا جاس في حرِّ الديار أجانبه!*

** هكذا أوعزت دول الغرب إلى اسرائيل بأن تقض مضاجع العرب وتصول وتجول في ديارهم مستقلة في ذلك ضعفهم وتفرقهم ونار العداوات المستعرة بينهم لتصل إلي مآربها ومآرب الذين يسرهم زعزعة أمن العرب وسلام الأمة العربية.

وهكذا اغتصبت الأراضي العربية عنوة نتيجة لضعف الجيوش العربية وكثرة الخلافات التي كانت سائدة بين الدول العربية في ذلك الوقت.

ثم بكى الشاعر على فلسطين واسترجع أيام قوتها وعزتها واصفاً ما آلت اليه من خراب ودمار فأصبحت موحشة مقفرة تعج بالأرامل واليتامى وقد أصبحت كالليث الذي فقد مخالبه فلم يعد يُخشى بأسه، فقال في نفس القصيدة:

**فلسطين قفرٌ موحشٌ ومروّع**
**تداعت مبانيه، ودكت مضاربه**
**فلسطين ليثٌ فلّل الغلّ بطشه**
**أصيبت ثناياه، وقصّت مخالبه**
**فلسطين ما أشقى الأيامي وأتعس الـ**
**يتامى، يعاديهم من الشر لازبه!**

* ويتساءل الشاعر عن العرب الذين عمروا وشادوا فلسطين، ويتحسر على القدس وما آلت اليه من دمار وخراب. فهل من قائد شجاع يعيد لهذه الأمة مجدها الغابر ويمحو هذا العار الذي ألم بها؟ وفي هذا قوله:

**فلسطين ، كيف القدس؟ كيف صلاته؟**
**توالت رزاياه وعمت نوائبه**
**فلسطين أين العرب؟ أين مغارهم؟**
**وأين فتى يدعو عدواً يضاربه؟**

* ثم يفتخر الشاعر بيوم النصر الذي جاء بعد هزيمة نكراء لدولة إسرائيل، فدوّت أصوات التكبير والتهليل بالنصر المبين وانهدّ حصن إسرائيل الحصين الذي ادَّعَوا أنه لن يُقهر ولن يُدك، ولقد أسكت هذا النصر أصوات موشي ديّان وجولدا مائير وألقمهما حجراً فسكت تبجحهما بأنهما يقودان شعب الله المختار والقوة التي لن تقهر، فأصبحا يعضان بنان الندم، فقال في نفس القصيدة:

**ألا إن إسرائيل ضلّتْ وساقها**
**عتوٌ خبيث الكيد سودٌ مثالبه**
**لقد ربحت أرضاً، وأحيت عداوة**
**سيعقُبها ذلا إلي الموت دائبه**
**ستصلى بنار الحرب من فتية الحمى**
**تضرمها أنجابه ، ونجائبه**
**صواعق من جوّ السماء يعينها**
**حريق من الغبراء يسودُ لاهبه**
**ألم تر يوم النصر إذ طار حصنها**
**هباء وجيش الخزي قد جدَّ هاربه؟**
**ألم تر جيش العرب كيف تساندت**
**قواه وعين الله فرحى تراقبه؟!**
**ألم ترهم إذ كبروا وتكبروا**
**عليها وساموها أذى لا تجانبه؟**
**وساروا كأن المصطفى في صفوفهم**
**بخيبر، يدعو والسماء تجاوبه!**
**ألم تر ديّاناً ومائير، إذ هوى**
**سلاحهما للعرب، واشتد ناهبه!**

***** ثم أردف شاعرنا قائلا:**

**ألا تلك أولى النائبات، فشمري**
**لأخرى ، سيصلي شرها من يصاقبه**
**ومن داف مُرَّ السُّم غدراً لجاره**
**فلابدّ أن يُسقى به، وهو شاربه**

* وهكذا من جرّع السّم لجاره غدراً سيشرب لا محالة من نفس الكأس المترعة بالسم الزعاف، وقديماً قيل الجزاء من جنس العمل.

وللدكتور عبد الله الطيب قصائد شتى في العرب والعروبة متناثرة في دواوينه المختلفة، ومن ذلك قوله في فلسطين[٣]:

**في الشرق والغرب إخوانٌ ألّم بهم**
**صَرْفُ الزمان فأنحى الظُّفْرَ والنابا**
**مُشَرَّدين بآفاق رجاؤهم**
**داج ألاح جبين الشمس أم غابا**
**النورُ صارت لإسرائيل خالصة**
**والمالُ غودر أنفالا وأسلابا**

دهاهُمُ مــادهانا من مــواعــدَ لا
يُوفي بهــا جُعلَتْ مــنْياً وكــذَّابا

* ونحس في هذه الأبيات بفداحة الخطب وجور الزمان الذي قلم أظافر هؤلاء القوم ولم يقدروا على شيء فتفرقوا أيدي سبأ وانتهكت بلادهم وأموالهم، وإسرائيل تُمنيهم بين الفينة والأخرى بدنو حل قضيتهم بلا طائل، وهم في ذلك مثلنا إذ كان يعدنا الاستعمار البريطاني الذي جثم على صدر السودان ردحاً من الزمان بالاستقلال ولكنها كانت مواعيد عرقوب لا يوفي بها.

ثم يأتي الدكتور بابكر البدوي دشين في قصيدته «اللقب الجديد» فيسوق أمنياته الخالصة وتعطشه وشوقه لتحرير الأقصى المبارك، حيث يقول[٤]:

يا شــوق نفــسي يوْمَ تلمع عنده
بيضُ السُّيوف ويوم تشتجر القنا
حــتى نقـيم صـلاتنا في مــسجـد
أســرى النبيُّ له وصلى مــوْهِنا
صلَّى عليــه اللّه ربِّي كلمــا
نــادى المنادي للصَّلاة مــؤذّنا

* وفي هذه القصيدة يخاطب شاعرنا خادم الحرمين الشريفين بقوله:

يا خــادمَ الحــرمين هذا فــجـرنا
قــد لاح والنصــرُ المبينُ لنا دنا
دَكَّتْ حــجـارتُنا الحـصـون وزلزلتْ
أبطالنا جــيش العــدوِّ الأرعنا
ياخــادم الحــرمين تلك أمــانة
ونراك أنت بهــا الأمين الأقْمنا
إذ كنتَ أصلبَ مكْســراً وأعــزَّنا
وطناً وأشــرف بالعـقـيـدة مَعْدنا

* وفي هذه الأبيات تمجيد لانتفاضة أبطال الحجارة وطمأنة لهم بأن أمر رعايتهم في أيد أمينة وحصن مكين.

وفي قصيدة للشاعر محمد عبد القادر كرف تحت عنوان «لا تقربوا بيدي حجر»، يقول:

شَعْبُ المقــاومــة اقْتَدَرْ
وأبــى الــدَّنـيَّة وابـتَدَرْ
من بعــد مــا أصلَوْهُ ناراً
آض كــالذَّهب انصــهـر
وبدا كــمــا انبلج الضُّحى
بهـجــاً كــمــا اتسق القــمـر
شــتَّان مــا عــهــدٌ أتى
ضــاح ومــا عــهــدٌ غَبَر
وضح الـطـريقُ إلى الخـلا
ص وليس يُخـطـئُه الـنَّظـرْ
ولكـلِّ شـيء غــايـةٌ
ولكـلِّ أمــر مُسْتَقَرْ

* ومن حرص شاعرنا الكبير على اللغة العربية محاولته تذكير الناس بما كاد يندثر من مفردات اللغة الأصيلة في ثقافتنا الماثلة كقوله «آض كالذهب انصهر» و«بهجاً كما اتسق القمر».

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف معاناة الشعب الفلسطيني مصوراً هذه المعاناة تصويراً دقيقاً رائعاً في قوله:

مضغ الأسى حيناً عهيداً واستنام على حذرْ
وخطاه تضربُ في دُجى ليل تكاثف واعتكرْ
يهفو إلى غده المُطرَّز بالأصائل والبُكرْ
قد كان مضجعهُ الحصى والتربَ أغبر والمدرْ
تخزُ الهوام السَّاربات جنوبه وَخْز الإبر
وهو الدَّفينُ على العراير في غيابات الحُفرْ

* تتسم هذه الأبيات بجمال التصوير والتجسيد في قوله: «مضغ الأسى حيناً عهيداً واستنام على حذر»، ثم باستخدامه للغة القرآن الكريم في قوله:

تخزُ الهوام السَّارباتُ جُنُوبَه وخْزَ الإبَرْ
وهو الدَّفينُ على العراير في غيابات الحُفَرْ

* فكلمة «الساربات» و«غيابات الحفر» من العبارات التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: {ومَنْ هو مُسْتَخْفٍ باللّيل وسَاربٌ

بالنَّهار}[٥]، وكذلك في قوله تعالى: {وألْقوهُ في غيابات[٦] الجُب يلتقطهُ بَعْضُ السَّيَّارة إن كنتم فاعلين}[٧] وهي قراءة الإمام نافع، وهي قراءة سبعية يعرفها الشاعر لأنها منتشرة في غرب وشمال السودان.

ويمضي الشاعر في الانتفاضة ويشبه الشعب الفلسطيني بالريح الشديدة التي لا تأتي على شيء إلا وتجعله كالرميم، فهي لا تبقي ولا تذر، ويشبه كذلك الحجارة التي يستخدمها الفلسطينيون بالحجارة التي رُميتْ بها جيوش أبرهة حين رام هدم الكعبة المشرّفة، وذلك في قوله:

***وإذا به كالرِّيح يَعصفُ ليس يُبقي أو يَذَرْ***
***بغض القيود وصاح في وجه القرامطة الفجر***
***لا تجزعُوا أنّي هنا ما في يدي إلا حجر***
***هشٌ ولكن كلَّما ناص رقابكُمُ انفجر***
***ينقضُّ تحسبُه الشِّهاب شعاعه يغشى البصر***
***ولعل سراً بُثَّ فيها فهي بالغةُ الأثرْ***
***صكَّت فيالق جيش أبرهة المُدجَّج فانكسرْ***
***قُلْ للّذي ابتدع السِّلاح وسامه وبه اتَّجرْ***
***ليس السِّلاحُ طريق تُجَّار الحُروب إلى الظّفر***
***هذا هو الشَّعبُ الفلسطينيُّ بالحَجَر انتصرْ***

* ولا يخفى عليك - أيها القاريء الكريم - تأثر الشاعر بلغة القرآن المجيد وذلك في قوله «ليس يبقى أو يذر» فقد اقتبس الآية الكريمة: {لا تُبقي ولا تذر}[٨] وكذلك الآية الكريمة: {فأقبلت امرأتُه في صَرَّة فصكَّتْ وجهها وقالتْ عجوزٌ عقيمٌ}[٩].

ثم يختتم شاعرنا قصيدته بقوله:

***قل لليهوديِّ القبيح الوجه حَاقَ بك الخطرْ***
***تبّاً لوجهك شائناً فيه الدّمامةُ والصَّغرْ***
***تاريخك الدَّمويُّ في أرض النُّبوة مُسْتطرْ***
***في دَيْر ياسين وفي صَبْرا وفي القُدْس الأغرّ***
***أنا منْ يُحررُها وينفي عن طهارتها القذر***
***أنا ذو اللّسان اليعرُبيّ وحاملُ السَّيف الذَّكرْ***
***وأخو القناة وصاحبُ الفرس المحجَّل والأغرّ***
***أنا فاتحُ الأمصار خُضتُ الموتَ في بحر وبرّ***
***أنا باعثُ النّور الذي عمَّ البَوادي والحضرْ***
***وورائي الغُرّ الأوائلُ من ربيعة أو مُضرْ***
***بيدي كتابٌ كلُّ حرف فيه ينبضُ كالوترْ***

* يخاطب شاعرنا في هذه الأبيات الرائعة اليهود ويعدهم بأن الخطر سيحيق بهم لا محالة، ثم يدعو إلى تحرير أرض فلسطين المغتصبة من أيديهم، كما يظهر تأثره بالتراث وتمسكه بكتاب اللّه المحكم المبين الذي هو ذكر لقومه وزاد مدّخر لنفسه، وإنه لخير الزاد.

ويطالعنا الشاعر محمد المهدي المجذوب بقصيدة بعنوان «فلسطين» يفتتحها بقوله:[١٠]

**جاش منها الدمُ الجديدُ كما جاش البراكينُ باللهيب العتيد**
**شفقٌ ماد في البطاح كما ماد غروبٌ على عُباب شرود**
**في فلسطين دولة لليهود! أو عاد بنُ مريم للوجود**
**إن يكونوا همُ الألي ختلوا عيسى وحيداً على جلال وحيد**
**ثم أعلوا صليبه ذا جناحين كرُخٍ مُحلِّق بوليد**
**فهم راوغُوا شريعة يس وهمُّوا بصلْبها من جديد**

* يتعجب الشاعر من إقامة دولة لليهود في فلسطين ويذكر العالم بقبائحهم حيث زعموا أنهم قتلوا المسيح عيسى عليه السلام: {وما قتلُوهُ وما صلبُوهُ ولكن شُبِّه لهم}[١١] ، وتظهر روعة التشبيه والصورة الفنية في قول الشاعر:

ثم أعلوا صليبه ذا جناحين كرُخٍّ مُحلّق بوليد

* حيث شبه الصليب الذي يتخذونه رمزاً لأكاذيبهم وافتراءاتهم بطائر يطير بجناحيه محلقاً في جو السماء.

ويمضي الشاعر إلى ذكر غدر اليهود ومكرهم مشيراً إلى قوله جل ثناؤه: {ولقد علمتم الذين اعْتَدَوْا منكم في السَّبْت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين}[١٢] ، وذلك حيث يقول:

***شعْبَ إسرائيلَ كنتم النفر الخالص لله من ذنوب العبيد***
***فعدوتم وما انتظرتم على السَّبت فصرتم أذلّة كالقرود***

* ثم يذكرهم بأن النيل الذي أغرق الله فيه آل فرعون وهم ينظرون، عاد له سره القديم ولم ينس تلك العهود، وأن الفجر قد طلع منذراً بصبح الوعيد والصبح قريب:

ويْلكُمْ ويلكم لقد طلع الفجرُ ولكنّهُ صباحُ الوعيد

رعش النّيلُ من منابعه الزُّرق إلى البحر جارفاً للسُّدود

عادهُ سرُّه القديم ولم ينس عُهُودَ العُلا وثأر الجدود

عربيٌ يُضمِّرُ الخيل في الله ويحدو غبارها بالبُنُود

* ويخاطب الشاعر بني العُرب ويشير إلى ما اعتاده أعداؤهم من خُلف الوعود ونقض العهود، فلا هم يستجيبون ولا هم يسمعون نداء الضمير العالمي لأنهم كالأموات، ويسدي الشاعر نصحه للوفود التي تطلب ردّ الحق لأهله بأن يحذروا مكر عدوهم الحقود. هذا ويذكرهم بأخيهم قصير الذي استطاع الخلاص من الزبَّاء - إحدى ملكات العرب الشهيرات - بخدعة ذكية إذ أخفى الرجال في حاويات قدمها هدية لها، فلما أدخلهم قصرها انقضوا عليها وقتلوها شر قتلة. ويربأ الشاعر بهم أن يساموا خسفاً ويجرعوا كأساً مترعاً بالمرارة تغص به حلوقهم، ثم يقطع الشاعر بأنهم لن يرضوا بالذل والقهر والهوان، فقال:

يا بني العُرب قد عرفتم وجربتم مطال العدى ونُصح البعيد

أتصيحون في اللُّحود، وهل تسمع هذا النداء صُمُّ اللُّحود؟

عِرُضوا بالوفود وليكُن السيفُ خبيئاً لدى ثياب الوفود

وقصيرُ أخوكُمُ وهب الزَّبَّاء موتاً على بعير وئيد

حاش لله أن تبيتوا على الخسف وتستمرؤا نقيع الهبيد

* ثم يلتفت الشاعر في أسى عميق إلي الأراضي المقدسة ويشكو مما أصاب فلسطين من العذاب المهين، ويظهر تأثر الشاعر بالتراث حيث تخيل لنفسه صاحبين له يدعوهما ليعيناه على أداء حقوق نام قاضيها:

يا خليليَّ عاوناني فللشجو حقوقٌ على فؤادي العميد

نبِّئا قُبَّة بيثرب ما نال فلسطين من عذاب شديد

وارمقا مكَّة على أمنها الطُّهر ومُسَّا ترابها بالخدُود

والمسا البيت راهباً حفَّهُ النَّاسُ وحيداً على غلائل سُود

* ويمضي الشاعر إلى وفود الرحمن يدعوهم للتضرع والدعاء ويذكرهم بمهد عيسى عليه السلام وثالث الحرمين الشريفين:

وإذا ما الحجيج أمعن في الذكرى وأضحى على خشوع مديد

فادعُوا كُلُّ مُسلم عبد الله وألقى جبينه للسجود

أفلسطينُ قبلة المسلم الأول في لهفة الغبين الحريد!

مهدُ عيسى أمانةٌ من يد الله وسطر من الكتاب المجيد

* وفي قصيدة بعنوان «الفردوس المفقود» عبر الشاعر محمد أحمد محجوب عن ذكريات كان يختزنها في قرارة نفسه عندما حلّ باسبانيا ممثلا لبلاده في مؤتمر عقد بها في عام ١٩٦٧م، و«الفردوس المفقود» هي بلاد الأندلس تشكو حال زمانها ومجدها الطارف التليد، وقد صاغ الشاعر هذا المجد المندثر في شعر اتسم بحسن السبك وعذوبة الكلمة وطلاوتها، فقال[١٣]:

نزلت شطَّك بعد البين ولهانا

فذقت فيه من التبريح ألوانا

وسرت فيك غريباً ضل سامره

داراً وشوقاً وأحباباً وإخوانا

فلا اللسان لسان العرب نعرفه

ولا الزمان كما كنا وما كانا

ولا الخمائل تشجينا بلابلها

ولا النخيل سقاه الطل يلقانا

ولا المساجد يسعى في مآذنها

مع العشيَّات صوت الله ريَّانا

* ثم يمضي الشاعر في مسيرته مصوراً الماضي التليد الذي لم يبق منه سوى الآثار والأطلال التي تثير كوامن النفس وتؤرق الوجدان، فقال في أسلوب سلس بليغ:

كم فارس أوفى المجد شرعته

وأورد الخيل ودياناً وشطآنا

وشاد للعرب أمجاداً مؤثلة

دانت بسطوته الدنيا وما دانا

وهلهل الشعر زفزافاً مقاطعه
وفجَّرَ الرَّوض أطيافاً وألحانا
يسعى إلى الله في محرابه ورعاً
وللجمال يمد الروح قربانا
لم يبق منك سوى ذكرى تؤرقنا
وغير دار هوى أصغت لنجوانا
أكاد أسمع فيها همس واجفة
من الرقيب ، تمنى طيب لقيانا
طفنا بقرطبة الفيحاء نسألها
عن الجدود ·· وعن آثار مروانا
عن المساجد وقد طالت منائرها
تعانق السحب تسبيحاً وعرفانا
وعن ملاعب كانت للهوى قدساً
وعن مسارح حسن كن بستانا

* ثم انتقل شاعرنا بعد ذلك إلى الحديث عن فلسطين وقد بلغه اندحار الجيوش العربية في نكسة عام ١٩٦٧م، فبكى فلسطين وحق له أن يفعل ذلك، كما عاهد أبا الوليد - الشاعر والوزير الأندلسي (ابن زيدون) - بأنهم عقدوا العزم للثأر مهما كلفهم الأمر، لأن الجرح قد وحدهم وسوف ينتصرون بلا أدنى ريب، أما القدس فسوف يفدونها بالنفس والنفيس، فقال:

هذي فلسطين كادت والوغى دولٌ
تكون أندلساً أخرى وأحزانا
نغدو على الذلِّ أحزاباً مفرقة
ونحن كنا لحزب الله فرسانا
رماحنا في جبين الدهر مُشرعة
والأرض كانت لخيل العرب ميدانا
أبا الوليد عقدنا العزم أن لنا
في غمرة الثأر ميعاداً وبرهانا
الجرح وحَّدنا والثأر جمَّعنا
للنصر فيه إرادات ووجدانا
لهفي على القدس في البأساء دامية
نفديك ياقدس أرواحاً وأبدانا

سنجعل الأرض بركاناً نفجره
في وجه باغ يراه الله شيطانا
فينمحي العار في رأد الضحى فنرى
أن العروبة تبني مجدها الآنا

* وهكذا وجدت القدس كما وجدت القضية الفلسطينية مكاناً سامقاً في وجدان الشعراء السودانيين فصاغوا في ذلك شعراً مفعماً بحرارة العاطفة وعمق الشعور وصدق المعنى وحسن السبك.

---

الهوامش:

(١) ديوان النيل: قصائد مختارة من الشعر المصري والسوداني، إعداد لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر، والمجلس القومي لرعاية الآداب والفنون بالسودان (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م) ص١٧٥ - ١٧٦.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) د. عبد الله الطيب: أصداء النيل، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م ، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٤) «ملحق التراث» بجريدة المدينة المنورة، الخميس ٢٣ جمادى الأولى ١٤١٠هـ - ٢١ ديسمبر ١٩٨٩م ، العدد ٨٢٥٩.

(٥) سورة الرعد: الآية ١٠.

(٦) أنظر حجة القراءات لابن زنجلة ، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص٣٥٥.

(٧) سورة يوسف: الآية ١٠.

(٨) سورة المدثر : الآية ٢٨.

(٩) سورة الذاريات: الآية ٢٩.

(١٠) محمد المهدي المجذوب: نار المجاذيب، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص٥٦.

(١١) سورة النساء : الآية ١٥٧.

(١٢) سورة البقرة: الآية ١٥.

(١٣) محمد أحمد محجوب: مسبحتي ودني (ديوان شعر) دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.

# حوار مع: الأستاذ الدكتور / حلمي طه الشاعر، المستشار الثقافي ومدير البعثة التعليمية بسفارة جمهورية مصر العربية بالرياض

## أ.د حلمي طه الشاعر، في سطور:

* دكتوراه في الفيزياء من جامعة عين شمس «تخصص فيزياء جوامد» عام ١٩٧٥م.
* عمل بكلية التربية، جامعة عين شمس معيداً ومدرساً مساعداً واستاذاً مساعداً واستاذاً بقسم الفيزياء.
* كما عمل استاذاً مشاركاً بكلية التربية بالمدينة المنورة (المملكة العربية السعودية) لمدة خمس سنوات ١٩٨٣م - ١٩٨٨م بجامعة الملك عبد العزيز.
* عمل عميداً لكلية التربية النوعية بالمنوفية «جمهورية مصر العربية».
* رئيس تحرير مجلة «طيبة» وهي مجلة داخلية يصدرها المكتب الثقافي التعليمي لعرض فعاليات الأنشطة الثقافية والفكرية والفنية التي تنظمها السفارة المصرية والمكتب الثقافي.
* له العديد من الأبحاث العلمية المنشورة في المجلات العلمية العالمية المتخصصة.
* له مشاركاته في مجال التقويم للمرحلة الثانوية المصرية.

إعداد:
**عقيل بن ناجي المسكين**
- الرياض -

في مقر البعثة التعليمية لجمهورية مصر العربية بالرياض التقيت بالاستاذ الدكتور حلمي طه الشاعر، وكعادته في استقبال الضيوف اسرع واقفا مع ابتسامة عريضة صاحبتها كلمات الترحيب ماداً يده للمصافحة، ابتسامته تحمل طيبة المصريين وحسن سريرتهم، وبعد أن جلست معه بعضاً من الوقت في «دردشة» خفيفة بدأنا حوارنا هذا حول محوره الأساسي:

دور المكتب الثقافي التعلمي المصري في خدمة المواطن والجالية المصرية بالمملكة:

*المنهل:*

** ما هو الدور الأساسي الذي تؤديه البعثة التعليمية التابعة لسفارة مصر العربية لخدمة والجالية المصرية في المملكة والمواطن السعودي؟ وما مدى التعاون بين الجهات الرسمية بالمملكة وأنشطة هذه البعثة؟*

** البعثة التعليمية بسفارة جمهورية مصر العربية بالرياض تدرك تمام الإدراك أنها ليست بعيدة عن وطنها فهي حقيقة في وطنها الثاني، فالعلاقات التي تربط مصر والسعودية علاقات متعددة وقوية جداً في شتى المجالات ولها جذورها العميقة، ولذا كان على هذه البعثة أن تعطي صورة واضحة وصحيحة عن مصر بحيث تشمل ابراز معالم



ـ الأستاذ الدكتور حلمي الشاعر في مكتبه.. ومعه مجري الحوار الاستاذ عقيل المسكين.

التاريخ المصري وبيان الدور الكبير الذي قامت به مصر في سبيل تقدم الحضارة الإنسانية على مختلف العصور وكذلك عرض صورة حية للنهضة الحديثة في مختلف الميادين والتعريف بنواحي التقدم الفكري والفني بجمهورية مصر العربية في التأليف والترجمة وغير ذلك من تطور الإنتاج الفني مع بيان المقومات الأساسية للثقافة المصرية وأنها ثقافة اسلامية في الأصل.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تقوم البعثة بإعداد المواطن السعودي بالمعلومات والبيانات التي يطلبها بغرض التحاقه بالجامعات المصرية سواء في مرحلة الليسانس والبكالوريوس أو في مرحلة الدراسات العليا، وكذلك المعلومات الخاصة بالسياحة، واني أعتقد أن مصر من البلدان المناسبة سياحياً للمواطن السعودي وذلك نظرا لعدم تواجد أي احساس بالغربة بالنسبة له عند سفره الى مصر فهو في وطنه الثاني.

أما دور البعثة التعليمية للجالية المصرية في المملكة فهي تقوم بالتصديق على الشهادات المصرية وتوضيح موقف الطلاب عند انتقالهم الى الدراسة بمصر كما أنها تقوم بالإعداد لإمتحانات أبنائنا في الخارج وهذا النظام مخصص للطلاب المصريين الذين يقيمون مع ذويهم خارج مصر (في جميع أنحاء العالم) ويدرسون حسب نظام التعليم المصري حيث «يعملون حساباتهم» على عودتهم الى مصر في

سفارة جمهورية مصر العربية
المكتب الثقافي
الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فعليك اثم كل القبط يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون

الله
رسول
محمد

احتفالا بمرور ١٤ قرنا على الفتح الإسلامي لمصر

٢٩ من ذي الحجة ١٤١٦هـ - ٢٧ من المحرم ١٤١٧هـ
١٦ من مايو - ١٣ من يونيو ١٩٩٦م

الرياض

أي وقت من الأوقات، هؤلاء الطلاب يسمح لهم بالإمتحان خارج مصر بسفاراتهم ويقوم المكتب بإعداد وتجهيز هذا الإمتحان، كما أن الطالب المصري الذي يدرس بالمملكة بمجرد بلوغه سن

الثامنة عشرة فعليه أن يخضع لنظام الإشراف العلمي وهذا الإشراف يقوم به المكتب أيضاً وله قواعده ونظمه ولوائحه، بالإضافة الى الإتصال بالجهات السعودية المسؤولة لتيسير بعض الأمور المتعلقة بالطلاب سواء من يتبع لوزارة المعارف أو الرئاسة العامة لتعليم البنات.

ومن جهة التعاون بين المكتب والجهات الرسمية في المملكة فإني في الحقيقة أشيد بالتعاون التام مع القائمين على العملية التعليمية سواء في وزارة المعارف أو الرئاسة العامة لتعليم البنات حيث أنهم لا يبخلون إطلاقاً لبذل أقصى جهد ممكن لحل ما يقابلنا من مشاكل كما أشيد أيضاً بحسن التعاون مع الرئاسة العامة لرعاية الشباب وهذه الجهات هي التي تتصل مباشرة بأنشطة المكتب وهناك الكثير من الجهات الرسمية الأخرى ولكنها لا تتصل مباشرة بأنشطة المكتب ورغماً عن ذلك فانها تبذل أقصى جهد ممكن عند اللجوء اليها.

*المنهل:*

*** كان الموسم الثقافي للعام الدراسي المنقضي ١٩٩٥م ١٩٩٦م عدة نشاطات ثقافية وفنية وأدبية وفكرية ودينية، وأبرز هذه النشاطات الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على دخول الفتح الإسلامي لمصر وهي ذكرى لا يمكن أن تنسى لأنها جزء من تاريخها الحضاري، ما هي أهم معالم الإحتفال بهذه الذكرى التاريخية؟ وما مدى تفاعل الوسط الثقافي والفكري والإعلامي سواء في داخل مصر أو خارجها؟***

** الاحتفال الذي قام به المكتب الثقافي

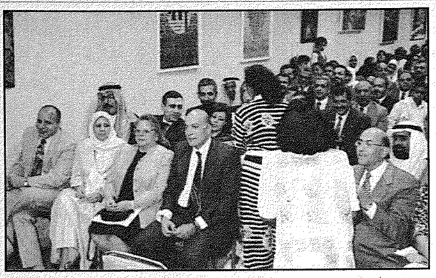


*ـ مجموعة من الاطفال يشاركون في الفعاليات.*

تحت رعاية سعادة سفير جمهورية مصر العربية بالمملكة العربية السعودية وذلك بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على الفتح الإسلامي لمصر كان حقيقة كما ذكرتم من أبرز النشاطات الثقافية لهذا الموسم ونعلم تماماً أن الاسلام قد انبثق في مكة المكرمة وترعرع في المدينة المنورة وانتشر في كل بقاع المعمورة واستقبلته مصر بالرغبة والحب، ومع ذكر مكة والمدينة.. لأنني أود أن أنوه بكل التقدير والإعتزاز بالجهود الكبيرة والعناية الفائقة التي يبذلها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وحكومته الرشيدة في سبيل توسعة الحرمين الشريفين وفي سبيل راحة الحجاج والمعتمرين.

وبخصوص أهم معالم الإحتفال بهذه الذكرى فقد تضمن الإحتفال مجموعة من المحاضرات التي بدأها الاستاذ الدكتور محمد الأحمدي ابو النور وزير الأوقاف الأسبق والاستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وكانت عن «أنبياء الله في مصر» وتوالت المحاضرات عن مصر قبل الاسلام وموقف المصريين من الإسلام عند الفتح والآثار الإسلامية في مصر وجهود مصر في نشر الدعوة الإسلامية، كما كانت هناك محاضرة عن

«الخط العربي ودوره في الفنون الإسـلامـيـة والفن المعـاصـر» واشتمل البرنامج على أمسية شعرية اسلامية ومسابقة رسوم اطفال ومسابقة ثقافية عن لقمان الحكيم ومعرض للرسوم التعبيرية لآيات القرآن الحكيم، كما قام المكتب بتوزيع بعض مقالات خاصة عن تطور المئذنة في الإسلام ومقال عن «ملامح من الفتح الاسلامي»، كما قام المكتب بعرض فيلم عن الناصر صلاح الدين، والذي يتعرض لفترة الحروب الصليبية وفيلم «وا إسلاماه» والذي يتعرض لفترة التتار.



- من الفعاليات الثقافية في الملحقية.

وقامت بعض الجرائد السعودية وبعض الجرائد المصرية بتغطية الإحتفال ولكن كان هناك توقع للتغطية أكبر من ذلك ونرجو أن يتم هذا بشكل أوسع في المرات القادمة بإذن الله تعالى.

*المنهل:*

** بصفتكم مستشاراً ثقافياً ما هي برأيكم أهم السبل التي تؤدي الى التعاون البنّاء بين المثقفين من دول مختلفة هدفاً للوصول الى: وجهات نظر متقاربة - مناقشة الآراء - المواكبة لكل جديد في عالم الثقافة والتطور الحيوي - تبادل المعلومات - صناعة الفهم المشترك للواقع الإجتماعي في الوطن العربي - تقنية الحوار الثقافي بين الشعوب العربية؟*

*وما هو دور المكتب الثقافي التعليمي في ابراز هذا النوع من التعاون الثقافي بين مثقفي وأدباء المملكة ومصر الشقيقة؟*

** كل ما ذكرت هي أهداف يأمل المواطن العربي أن تتحقق وأتصور أن أهم السبل التي تؤدي الى ذلك تكمن في:

- تنظيم المحاضرات والندوات المشتركة والتي يتم فيها الإلتزام بأدب الإسلام في الحوار والمناقشة واضعين نصب أعيننا أن لهذه اللقاءات أهدافاً محددة لمصلحة شعوبنا ودولنا.
- توثيق الصلات بين أجهزة الإعلام المختلفة ومحاولة وضع اسس عامة للإطار الذي يمكن أن تتعامل به.
- معرفة كل منا بتاريخ الآخر وسيظهر في هذه الحالة عمق الإرتباط بين شعوبنا العربية المختلفة وأن علاقاتنا هي علاقات أخوه.
- تبادل الزيارات والمنح بين المؤسسات الثقافية المختلفة.

اما من حيث دور المكتب الثقافي فهو يعمل حالياً (بقدر امكاناته) على:

- تنظيم مجموعات متنوعة من المحاضرات والندوات.
- يستعد لاصدار نشرة ثقافية وأرجو أن يتم هذا في وقت قريب.
- كما يتبنى المكتب فكرة تبادل المعلومات عن المؤتمرات التي تتم بالملكة ومصر ولكنها تسير

سيراً حثيثاً نظراً لأن ذلك يعتمد على ارسال المعلومات الى المكتب.

المنهل:

*في السابق كانت هناك بعثات للدراسة من المملكة الى مصر، أما الآن فقد تطورت المملكة وأصبح فيها الكثير من الجامعات الكبرى التى تخرج في كل عام المئات من الكفاءات والطاقات الوطنية، وهذا التطور يعطي المملكة اكتفاءاً ذاتياً في هذا المجال ما عدا بعض التخصصات العلمية الدقيقة حيث تبتعث اعداد ليست قليلة الى أمريكا وبعض دول أوروبا والدول الأخرى. ما هو رأيك في شبه توقف البعثات التعليمية الى مصر الشقيقة؟ خصوصاً وقد نما الى علمنا دعوتكم الى إعادة هذه البعثات واجراء تعاون تعليمي بين البلدين بصورة أكبر من ذي قبل نظرا للعلاقات الوثيقة بين حكومة خادم الحرمين الشريفين ومصر الشقيقة حكومة وشعباً.*

** اعتماد المملكة على نفسها هو في الحقيقة شيء يسعدني جداً فهذا الإعتماد قوة تضاف الى العرب والمسلمين خاصة وأن المملكة لها وضعها المميز في نفوس المسلمين جميعاً. والعلم بصفة عامة ينمو ويزدهر بالتبادل فالعلم ليس حكراً على مجتمع من المجتمعات ولابد من التبادل، ومن هنا وقد أصبحت المملكة لها إمكانياتها ومكانتها العلمية فإني أدعو فعلا الى اتفاقيات بين المملكة وجمهورية مصر العربية لتبادل المنح والزيارات الدراسية والتعليمية على مختلف مراحلها ونوعياتها، صحيح أن هناك بعضاً من هذا التبادل ولكن الدعوة هنا الى المزيد والتوسع فيها مع مراعاة أن هذه الدعوة لابد وأن تتم على أسس موضوعية سليمة وبما يعود بالفائدة على كلا الدولتين.

المنهل:

*للكتاب دور كبير في نشر الثقافة والفكر والمعرفة بشتى مجالاتها، ما هي علاقة المكتب الثقافي التعليمي لسفارة مصر بالرياض وعواصم الدول الأخرى بعرض الجديد مما يصدر في دولة مصر الشقيقة هدفاً لتعريف وإحاطة مواطني هذه الدول والجالية المصرية بكل ما يصدر في عالم الثقافة والمعرفة في مصر؟*

** أعتقد بأن عرض الجديد مما يصدر في مصر يعتمد على وجود مكتبة عامة بالمكتب الثقافي وهو ما قد بدأناه فعلا والحمد لله ونقوم الآن باستكمال أعدادها بما يلزم من اصدارات مختلفة على أن يكون بها الجديد بإذن الله من الإصدارات وعندي أمل أن تقوم بدورها في الموسم الثقافي القادم إن شاء الله تعالى.

المنهل:

*من خلال تجربتكم العملية بالمجال الثقافي في المملكة ما هو انطباعكم عن أنشطة وفعاليات الساحة الثقافية بالمملكة والتي تشرف عليها النوادي الأدبية وجمعيات الثقافة والفنون والمؤسسات الصحفية والتعليمية، وما يجري تنظيمه من محاضرات وأمسيات ومعارض ومسابقات، خصوصاً وأن الكثير من الإخوة المصريين يعملون في هذه القطاعات ولهم اختلاط بالوسط الثقافي والعلمي والأدبي؟*

** في الحقيقة أنا سعيد جداً بالأنشطة والفعاليات الثقافية التي تتم بالمملكة والتي ذكرتم نوعياتها أو بعضاً منها، وقد قدر لي أن أحضر بعضاً من الندوات وأعجبني نظام الحوار بها ونوعية موضوعاتها وبهذه المناسبة أيضاً أذكر لكم أن عدداً غير قليل من النوادي الأدبية قد أمدت المكتبة العامة بالمكتب الثقافي

ببعض اصداراتها وليس ذلك مقتصراً على الرياض بل وصلنا من مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة، وآمل أن يستمر هذا التعاون بإذن الله تعالى.

*المنهل:*

** ما هو مدى تفاعل المواطن السعودي والمقيم والجالية المصرية في المملكة مع أنشطة المكتب الثقافي التعليمي في مجال الندوات والمحاضرات والمعارض والأمسيات؟ وهل هناك برامج أخرى؟*

** هو تفاعل لا بأس به حتى الآن ويتميز إقبال المواطن السعودي على الأمسيات الشعرية والمعارض بنسبة أكبر ولدينا أمل أن يزداد هذا التفاعل مع الأيام وبالرغم من أننا نركز حالياً على دعم ما هو موجود من أنشطة وإخراج عمل المكتب الى حيز التنفيذ فإن التفكير في برنامج آخر يجول بخاطرنا وهو اشراك الشباب السعودي وشباب الجالية المصرية في موضوعات لمسابقات مختلفة وكما ذكرت لكم فإن هذا مازال في طور التفكير.

*المنهل:*

** للبعض رأي خاص حيث يعتقدون بأن السفارة والمكتب الثقافي التابع لها يغلب عليهما طابع الدور الرسمي وتوثيق الأوراق وتصديقها فقط وتجديد الأوراق الثبوتية وما الى ذلك، أما الجوانب التثقيفية والأنشطة التابعة لها فتعتبر ضعيفة، ما هو رأيك في ذلك؟*

** بالنسبة للمكتب الثقافي فإن هذا الإعتقاد غير صحيح وقد شاركتمونا في الفترة الأخيرة



ـ جانب من حضور الفعاليات الثقافية.

في بعض أوجه النشاط ورأيتم بأنفسكم ما يتم عمله وان كنا باستمرار نأمل المزيد ونعمل على تطور البرامج مع ما يظهر لنا من أوجه قصور أثناء التنفيذ.

*المنهل:*

** ما هي الكلمة التي تود أن توجهها الى المثقف السعودي والمسؤولين عن الحركة الثقافية بالمملكة في السبيل للتعاون مع المكتب الثقافي بخصوص الشؤون الثقافية والتعليمية؟*

** المكتب الثقافي المصري بالرياض هو أخ لكم ويمد يده مرحباً بكم محاضرين ومناقشين ومستمعين، فالثقافة هي أخذ وعطاء وبين الاخوه هي تكامل.

في الختام نود أن نشكر الاستاذ الدكتور حلمي طه الشاعر، المستشار الثقافي ومدير البعثة التعليمية بسفارة جمهورية مصر العربية بالرياض على حسن استضافته لنا وإتاحته الفرصة لإجراء هذا اللقاء الممتع آملين له ولكل العاملين بالمكتب الثقافي التعليمي دوام التوفيق والنجاح.

# حدود الواقعي والمتخيل في «رقرقة الأحلام الملحية» لـ«ادوار الخراط»

ادوار الخراط

احتفلت الاوساط الأدبية في القاهرة مؤخراً بالعيد السبعين لميلاد الكاتب المصري ادوار الخراط، وقد نظمت لهذه الغاية أياماً دراسية عن الكاتب المحتفى به.

وفي هذا السياق الاحتفالي تأتي قراءتنا لاحدى التحف الروائية في سجل الروائي الحكاء، والصائغ العاشق.. ادوار الخراط تحت عنوان «رقرقة الاحلام الملحية»[١].


بقلم:
د. عبد المالك أشهبون
- المغرب -


رواية جاءت في سيرورة التراكم الابداعي النوعي للخراط، مرسخة بذلك تقاليد حكائية متميزة بنكهتها الجذابة، برقرقة إيقاعها الداخلي المنساب، رواية واحدة ومتعددة، نمنمات متنوعة باهرة، لوحات تشكيلية أخاذة، أسطورية غواية لا حد لها من الاثارة الوجدانية والغوص في أقصى مناطق الكائن الانساني.. تنويع ثري في الامساك بتلابيب الغواية الشهرزادية.

## يوميات منمنمة، صارخة وربما مؤلمة قليلا:

في البداية - كما هو الحال في باقي أعمال الخراط الروائية والقصصية - يوقعنا النص (الواحد - المتعدد) في ورطة ذات طابع إشكالي في سياق المناهج النقدية الكلاسيكية والحديثة. فالنص يحيل على مرجعية إجناسية تجد تحققها التداولي في الجنس التعبيري «الرواية» من جهة وأنساق تعبيرية محايثة موزّعة في الفضاء النصي المتراوح بين اليوميات، الرسائل ، المذكرات من جهة ثانية.. وقد أفلح الخراط في بلورة تركيبة فنية، صهر خلالها كل هذه الانساق التعبيرية المتنافرة في بوتقة واحدة منتجاً نصاً متميزاً هو عصارة هذا اللفيف المتشابك. وذلك بتمثل هذه الانساق التعبيرية، واستيعاب قوانينها الداخلية، وصوغ تشكيلات فنية من هذا اللفيف المتداخل، تنسيقا ومواءمة لخلق فسيفساء نصية متفردة تتجاوز بذلك السائد في التعاطي البليد لتمرينات «مقولاتية» تجريبية تفقد هذه الانساق التعبيرية فعاليتها وإجرائيتها الخصبة التي تتراوح بين الحد الواقعي وهو ما يتطلب حداً أدنى من مطابقة النص لمستويات الواقع الذاتي منه أو الموضوعي والذي يجد تحققه النصي في (اليوميات والرسائل والمذكرات) وبين الحد التخييلي الذي يقوم على تخييل العالم الروائي وخلقه، مع نبذ المحاكاة المسكوكة، او الانعكاس المرئي الذي طالما شدد عليه دعاة «الواقعية» في الرواية العربية.

فكيف استطاع الخراط المزج بين الحدين الواقعي والمتخيل تبعاً لطبيعة الانساق التعبيرية الموظفة في هذا المتن؟

إن جرأة الخراط الفنية في تأصيل الابداع الروائي تتجلى في اللباقة العالية التي تحلى بها الخراط وهو يتوسل اليوميات والرسائل والمذكرات وتعبيرات فرعية تعتبر ـ عادة ـ احتياطيا خاما هائلا طالما باغتنا كل مرة بتجلياته المباشرة او الموحى اليها، حسب ما يتطلبه المقام التداولي دون إقحام مضغوط او رجراج للتوظيفات المستثمرة في اقتصاد الرواية.

والتعاطي مع مكونات السرد الذاتي لم يفرض على الخراط ذلك الانضباط الصارم للمقولات المحددة لكل نسق تعبيري على حدة، وهو الخلط الظاهر الذي يسم مجموعة من الاعمال الروائية الحديثة من منطلق النظريات النقدية في الابداع الروائي، وهو ما يحيل هذه النصوص الى تمرينات تطبيقية جافة ومفرغة من حيوية النص النابض، المفعم بالنضارة الفنية اللازمة.

ففي فسيفساء المساحة النصية للرواية، نجدنا نتنقل بين هذه الانساق التعبيرية المتنوعة التي تزخر بها الرواية، دون استبداد نسق ما محدد. إن العمود الفقري للنص الخراطي هو هذه الهارمونيا التي يفلح من خلالها في اتقان التوزيع الفني المسترسل والمتناغم لهذه الانساق في الفضاء النصي للرواية، على غير تقليد، يوميات لا تتشكل بكل مقوماتها الاساسية: نصاً بدون رتوشات، تشطيبات مميزة لها دلالاتها، ارتعاشات الكتابة الكاليغرافية.. وأشياء أخرى تدخل في صميم العناصر المكونة لهذا الشكل التعبيري الذي له تقاليده وأعلامه في دائرة الادب الشخصي عامة، بالاضافة الى ما تتطلبه الكتابة «التراسلية» من شروط لتأسيس الميثاق التراسلي الذي هو دعامة هذا النسق التعبيري وقوامه.

وقد تعامل الخراط مع اليوميات كنسق تعبيري مجرد، وجد خصوصيته في الكتابة الجديدة التي اعتمدت التحديث والتنويع، والنفس الخلاق في توظيف «اليوميات» إضافة الى اختلاط فصول اليوميات نصيّا واختلال البعد التراتبي والزمني، هناك التناول المتعدد لليومية الواحدة عبر مساحات نصيّة متقطعة، مختلفة، من خلال التقديم والتأخير او القطع والتضمين من جهة تصبح اليومية من جهة ثانية شتاتا خطابيا متفرقاً ومتحققا على طول الفصول التسعة، بدون تتابع سببي أو زمني في لمِّ فصول أحداث كل يومية على حدة.

والغموض الآخر هو الذي يتجلى في حدود اليوميات والرسائل والمذكرات .. حيث يتحقق الحد الواقعي، والحكي الذي ينظم الرواية هنا وهناك مشكلا فضاءا نصياً تخييلياً محايثاً للفضاء الواقعي، وبالتالي يصعب ـ أحيانا ـ فرز الواقعي عن التخييلي ذلك الفرز يعطي كل نسق تعبيري خصوصيته الاجناسية والتي درج بعض الادباء الالتزام بها كقوانين ملزمة.

تصبح رؤية الخراط الابداعية هدفا أساسيا للاستيعاب والتمثل وبالتالي اعادة الانتاج الخلاق الذي «يجعل من الحدود الادبية بين الاجناس التعبيرية واهية في رقعة الابداع الرحبة والفسيحة.

إنها الثورة الواعية على الاشكال الادبية الخالصة التي تم ترسيم حدودها حيث ساد الاعتقاد الغامض بـ «الرواية الخالصة» و«اليوميات الخالصة» وقس على ذلك.. إن هذه الهجنة مبررها عدم وجود جنس أدبي صاف وخالص. ولا يوجد جنس أدبي يشكل النموذج او المعيار. والتفاضل بين الاجناس الادبية وهم مدرسي لا أقل وبالتالي ضرورة استحضار

الأدب بالمفهوم الدينامي المتغير، لانه متبدل بطبيعته وهذا لا يمنع من البحث الطموح لتأسيس شعرية لها أبعاد «عبر - أجناسية» تقوض التحديدات النظرية الجمركية الصارمة بين الأنواع الادبية.

إن سر جاذبية الصنعة الروائية المتفردة للخراط تكمن في هذا الاختراق الداخلي لكل مقومات الكتابة التقليدية، وقوانينها الصارمة حيث يصبح اكتساح كل المناطق الجمالية وتلمس تواتراتها وهزاتها، خارج اكراهات قوانين هذه الفنون استراتيجية لا محيد عنها ورهانا جماليا في افق تطوير الرواية العربية.

## أفضية نوسطالجية عميقة:

إن بؤرة الحكي عند الخراط هي منطقة الذاكرة، وما يستتبعها من مفردات رديفة لها (التذكر، التذكير، الذكريات..) هذه الآلية الأساس في ادارة أسلوب الحكي، وفي توليد عدد لامتناه من العلاقات الارجاعية، تستحثنا لطرح السؤال الجوهري:

- لماذا هذا الاختراق العارم لمسارب الذات الشخصية (السيرة الذاتية). أو لما يدور في فلكها (اليوميات، المذكرات، الرسائل)؟

إن هذا الاكتساح العميق لمنطقة الذات عند الخراط هو جزء من استراتيجية «تمتد الى تلك المنطقة التي أسميتها مرة: منطقة «ما بين الذاتيات» وليست منطقة «الذاتية» وليست أيضاً منطقة التجريدات. أظن أن هذه المنطقة الغامضة هي ساحة العمل الفني»[٢].

إن منطقة «ما بين الذاتيات» هي المدماك المتين الذي تنهض على أرضيته العمل الفني عند الخراط، وفي هذا العمل تتمظهر قسمات هذه المنطقة الفنية الخصبة في الحضور الانزياحي لليوميات والرسائل والسيرة الذاتية في فضاء المحكي ليعلن - جماليا - عن مزيج متفرد من الانساق التعبيرية المتفاوتة الحدود والاستعمالات ذات المقامات التداولية المختلفة.

فالتذكر عادة ما يتأسس على نسق زمني ماضوي، ممزوج بنوسطالجيا الطفولة حيث البراءة أو «الانسان الطبيعي» الذي لم ينتقل بعد الى مستوى «الانسان الاجتماعي» المسيج بمجموعة من الضوابط الصارمة التي تحدد وجوده داخل الجماعة والذي تسحقه اكراهات المجتمع وإلزاماته الكابحة لتطوره الطبيعي.

إن الصراع الدائر في النص بين بنيات متقابلة تتجسد في ثنائية الحب البهيمي التواق الى الاختراق الجسدي المجوني، والحب العفيف الطاهر من جهة ثانية. يولد نزعة مهووسة الى الاقصاء لأحد طرفي المعادلة، هذا الصراع يفرز تساميا نحو «مثال» غائب في الزمن الماضي، يتمظهر خلاله زمن الطفولة المستعاد كبديل متسام ومتعال، في ظل سيادة النزعة العدوانية والغرائزية البهيمية في العلاقات بين الشخصيات التي تحيل على معادلات موضوعية في الواقع الاجتماعي والذي تشكل الرواية المبلور الفني والجمالي لخصوصياته.

كما أن نفس السلوك الفردي لا يجد بُداً من النظر الى المرأة كجسد للاشباع الغريزي بل كرؤية رومانتيكية بأبهى معانيها وصورها كإحالة غير مباشرة لموضوع يستوعب أحزان وآلام «الانسان الاجتماعي» الدفينة الغامضة ويحتضن طموحاته الى الصفاء والبراءة وهو ما يصطلح عليه علماء النفس بـ «النزعة النكوصية» والتي تدفع «الانسان الاجتماعي» الى الرغبة الجامحة للعودة الى دفء الماضي الطفولي بَلْه الى رحم الأم حيث يعيش خارج اكراهات المجتمع واعبائه المتعددة.. وهذا كله بالنسبة لنا يشكل أسلوبا للاحتجاج الصارخ على الوجود الاجتماعي وما

فـيـه من تقاليـد وأعـراف وسلط لا تني تتـعـمق وتترسخ.

وبين «الانسان الطبيعي» و«الانسان الجمالي» يتموقع الخراط ليؤسس لنا القسمات الداخلية لـ «الانسان الجمالي» الذي يعتبر المرأة اكثر من هذا وذاك إنها الملهمة أو «الواهبة» والباعثة على الخلق والابداع.. وهذا كله مصوغ في بوتقة رومانتيكية وارفة الظلال بلا ضفاف.. زمنها الخصيب هو الماضي وآلة استبعاثه هي «الذاكرة».

وهذه التذكرات لا توصف عادة لذاتها ولكن لما تثيره في الذات المثخنة بأعباء الحاضر وقيوده وصروفه من خلجات واستيهامات مجلّلة بالعاطفة الصادقة، وبالنفس الطفولي البرىء.. تذكارات متبقية من حب انهار، أو حلم تحطم.. كما تثير العاشق المعاصر وردة في كتاب او صورة في مناسبة او هدية متبقية بسيطة للذكرى، لا يمكن أن تقدر بثمن في ميزان العواطف.

وإذا كان ولع الخراط بالعوالم الرومانتيكية الحالمة (الطفولة ، المرأة الطبيعية) فإن حظ الطبيعة وازن في تأثيث الفضاء الرومانتيكي لتشكيل اللوحة الجميلة والفاتنة.. حيث يولجنا الخراط حدائق أنسه المزهرة، ببهائها الباذخ، وسحرها الباهر، وجماليتها اللامنتهية(*).

فإذا كان الرومانسي التقليدي قد درج على المزج بين حالته النفسية وبين أحوال الطبيعة، بحيث تصاب بالحزن والكآبة حينما يكون حزيناً، وتبتهج لابتهاجه، فإن الخراط يتجاوز هذه الثنائية التي باتت من إرث رومانسي كلاسيكي ولّى.. فالحساسية الجديدة تجعل من رؤية الطبيعة لا كرديف للمزاج النفسي للشخصية الواصفة، بل كفضاء له استقلال خاص، يستمد هذه الخاصية من عناصر البهاء التي توفرها الطبيعة بمؤثثاتها لا «الانسان الجمالي» وهذا كاف ليدفع الخراط لولوج هذا الفضاء الباهر، مستكشفا أسرار هذه الطبيعة وجمالياتها مبرزا ما كان خفيا ومستجليا ما استتر. وفي إطار عمله هذا يقتطع صفحات يدعونا فيها لاستكشاف مستنبتاته المزهرة والمخضرة.. بأسلوب تجسيمي رائع التشكيل تأخذ فيه الزهرة شكل الغادة الهيفاء. وقد وضح الخراط بذكاء فني فيما مضى هوسه المفرط بالرومانتيكية قائلا: «القضية ليست قضية رومانتيكية، بل قضية العاطفة المغرقة التي أشعر أني معرض لها. فليس عندي مناعة ازاءها. إن الواقع صلب وخشن ووعر وحاد. ولا ينبغي ابداً أن يغفل المرء عن هذا الواقع وعن هذا النوع من المعادلة بين الاغراق في العاطفية والجوهر الآخر. أليست الرومانتيكية هي الهوى المشبوب؟ ولكن المهم هو أن توضع في إطارها الحقيقي. أو الواقعي، او المتوازن»[٣].

وفي الأخير لا يجب أن تفوتنا الاشارة الى مميزات أخرى كاعتماد الخراط على التكثيف الحدثي، والإدهاش الرصين، والسرعة في تعاقب الصور الصغيرة التي نحسها تافهة في حياتنا اليومية، فاذا هي عبر العمل الفني وقائع ذات قيمة كبيرة. من خلال سيادة الرؤية المجهرية الدقيقة للاشياء التافهة في حياة الانسان العادية وتلك إحدى مظاهر التحديث في الرواية العالمية عموماً.

***الهوامش:***

***(١) ادوار الخراط «رقرقة الاحلام الملحية» دار الآداب. بيروت ط١، ١٩٩٤.***

***(٢) مجلة «مواقف» العدد ٦٩ خريف ١٩٩٢، ص ٣٧.***

***(*) يفرد الخراط اكثر من صفحتين لوصف مستبيته المختار .. الا قحوان .. الخشخاش، عباد الشمس، والبانسية، والآس والخزامي والزعفران وسوسن المستنقعات والخلنج والدفلى. والرند والبسلّة.. ص ٩٨ ـ ٩٩.***

***(٣) مجلة «فصول» «الرواية وفن القص» المجلد الثاني العدد ٢، ١٩٩٢، صفحة ٢٣٧.***

# ومسائل في الإفراد والتثنية والجمع



بقلم:
**ابو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري**
- الرياض -

- الأستاذ الشيخ «أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري» واحد من معالم الفكر والأدب على مستوى عالمنا العربي.
- له جهد غير محدود في مجال الدراسات الأدبية واللغوية والثقافية، متفرد في عطائه في مجالاته المتعددة..
- يسعد المنهل وقراؤه بقلم الأستاذ الظاهري وبمشاركته العلمية هذه.
- على أمل تواصله مع قراء منهله.

كنت أحس بنشاط في التأليف والبحث، وأنجز العمل، وأنشط لتصحيح التجارب الأولى منه، ثم يدركني العجز والملل من مواصلة التصحيح والتعديل ويتعلق نشاطي بعمل آخر لا أكرر فيه جهدي.. وبهذا السبب تكدست لدي أسفار تنتظر معاودة التصحيح والتعديل.. بعضها مر عليه أعوام، وبعضها مر عليه شهور، فاضطررت إلى الاستعانة - بعد الله - بأخوين كريمين ضليعين في لغة العرب، بصيرين بدقائق الرسم الإملائي، فجليا عني غمة غماء في الإسراع بإنجاز أعمالي، وصححا لي ما ندَّ عن بصري وبصيرتي من إصلاح، وما كنت أجهله أصلا، وترجح لي أن أعمالي مستقبلا ستصدر إن شاء الله سليمة الأداء محكمة البناء، وكنت قبل ذلك أعاني كثرة التطبيع فيما نشر من مؤلفاتي مع أوشاب من اللكنة، وأخطاء في الرسم الإملائي.. لا أستثني سوى كتيب صغير أجهدت نفسي في تكرار تصحيحه - وهو كتيب الألوان من كتاب الفصل لابن حزم الذي صدر منذ بضعة عشر عاماً - فخرج كما أهوى بريئاً من العلل.

واستدرك أحدهما قولي في أحد كتبي التي يصححها: بقيمتي الحق والخير، وفني التصوير والنحت، ومفهومي الإحساس والإدراك، وطعمي التفاحة الحمراء والخضراء، ومعنيي الإشعاع والإحراق.

وقلت أيضا: وهو مذهب المفكر المعاصر أوزبورن في كتابيه نظرية الجمال، وعلم الجمال والنقد.

وقلت: «إنه تفريق مثلا بين أساليب طه حسين والزيات وسيد قطب ودريني خشبة، وأساليب الهمداني والحريري».

ولم يرتض لي هاته التعبيرات وهداني إلى قول

الدكتور بكر أبو زيد: «لم أقل مصنفي ولا مسندي؛ لأن قاعدة العطف [ أن العطف ] يكون على المضاف لا على المضاف إليه، فكأن السياق: مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة.. أما لو قلت: «مصنفي عبد الرزاق وابن أبي شيبة» فكأنما قيل: مصنفي عبد الرزاق، ومصنفي ابن أبي شيبة، فتنبه ، وانظر: «قطوف أدبية» لعبد السلام هارون: (ص ٤٦٢)[١].

**قال أبو عبد الرحمن:** ها هنا أمور مختلطة، وتحقيقها يفيد قراء المنهل، لهذا أنقل هذه المهاتفة من مقدمة كتابي «مبادىء في نظرية الشعر والجمال» الذي سيرى النور قريباً إن شاء الله.

وكل ما ذكرته تعبير سليم صحيح على الأصل، وبيان ذلك أنك تقول: لابد من التقيد بقيمتي الحق والخير .. والمراد قيمةُ الحق معطوفة على قيمة الخير.. وليس المراد أن للحق قيمتين وأن للخير قيمتين، فيكون التقدير: لابد من التقيد بقيمتي الحق وقيمتي الخير .. فتكون القيم أربع.. وإذا أردت هذا المعنى فلابد أن تظهر المعطوف، فتقول: بقيمتي الحق وقيمتي الخير.

وقولك: «لابد من التقيد بقيمتي الحق والخير»: لا ينصرف فيه الذهن إلى غير قيمتين فحسب واحدة للحق، وأخرى للخير.. والبرهان على ذلك ثلاثة أمور:

**أولها:** أن التعبير اصطلاح فلسفي، وقد جرى الاصطلاح على أن الحق في ذاته قيمة.. إلا أن الحق أخص، لأن القيم متعددة، فالإضافة لتمييز المضاف مثل حب بر.. وليس في العرف الاصطلاحي أن الحق أكثر من قيمة إذا قوبل بالقيمتين الباقيتين وهما الخير والجمال، وإنما يقال: قيم الحق - إذا لم تذكر القيمتان الأخريان - والمراد البراهين والأحكام.

**وثانيها:** أن العطف في الأصل على أقرب مذكور، وأقرب مذكور الحق، فالعطف إذن عطف مضاف إليه على مضاف إليه، فتكون القيمتان مضافتين إلى المضاف والمعطوف عليه معاً.. هذا هو الأصل حتى يقوم برهان على خلافه، وقد أسلفت البرهان على أن خلاف هذا الأصل غير محتمل، فقام لنا برهانان في توجيه الكلام بعطف الخير على الحق: أحدهما برهان الأصل، وثانيهما برهان امتناع غير الأصل.

**وثالثها:** أن الأصل عدم التقدير، فلا يرد احتمال: قيمتي الحق وقيمتي الخير.

وأما الاحتجاج بقوله تعالى {على لسان داوود وعيسى} حيث أفرد المضاف إلى اثنين ولم يقل: «لساني» فغير وارد هاهنا، ولا يعني أن القاعدة إفراد المضاف بإطلاق، بل يعني خروج هذا المثال عن الأصل - بناء على أحد الاحتمالين في تفسير الآية الكريمة - وفق قاعدة متحققة وهي التخفيف على اللسان مع أمن اللبس وتعيِّن المراد.. ويأتي شرح ذلك بعد أسطر إن شاء الله.

ولو قيل: «لابد من التقيد بقيمة الحق والخير»: لتعين أن المراد قيمة واحدة مشتركة.

وهكذا توجه بقية الأمثلة: فني التصوير والنحت، وأساليب طه والزيات ... الخ.

وقولي عن أوزبورن: «في كتابيه نظرية الجمال، وعلم الجمال والنقد» أصح من قول: «في كتابه نظرية .. الخ» لأن الاحتمال يرد بأن العنوانين اسم كتاب واحد إلا بتقدير: في كتابه نظرية الجمال، وكتابه علم الجمال .. وهذا تقدير لغير الظاهر وإلغاء للظاهر، والأولى حمل الكلام على ظاهره ما دام غير ممتنع.

والصواب ما أنكره شيخنا العلامة الدكتور بكر أبو زيد، وهو: مصنفي عبد الرزاق وابن أبي شيبة.. ولا يجوز مصنف - بالإفراد - إلا إذا كان المصنف من تأليفهما معاً.

وما نقله الدكتور إنما هو رأي أنستاس الكرملي الخاطىء ، وليس رأي عبد السلام هارون الصحيح.

ودعوى أن القاعدة «العطف على المضاف لا المضاف إليه» يدفعها قاعدة أن العطف على أقرب مذكور.

وإنما يكون العطف على المضاف عند إظهار المعطوف إذا قلت: قرأت مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة.. فتجعل مصنفاً الثانية منصوبة لأنها معطوفة على مصنف الأولى، وأهملت قاعدة العطف على أقرب مذكور؛ لأن الخبر عن المضاف وليس عن المضاف إليه.. أي أن تعلق فعل القراءة بالمضاف.

والخلاف هاهنا ليس في عطف مضاف موجود

ظاهر، وإنما الخلاف في تقدير ذلك المضاف مما يترتب عليه إلقاء الظاهر وهو عطف ابن أبي شيبة على أقرب مذكور وهو المضاف إليه عبد الرزاق.. وليس كل الناس يعلم أن عبد الرزاق وابن أبي شيبة - أو غيرهما - لم يشتركا في مصنف واحد، وإنما يعلم ذلك جمهور الخاصة، فلا نلبس على غير العالم ونقول: مصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة ونحن نريد مصنف كل واحد منهما.

**قال أبو عبد الرحمن:** إذن الأصل حمل الكلام على ظاهره، وهو أن كل مفرد أو مثنى أو جمع أحيل إلى مفرد أو مثنى أو جمع فظاهره أن المضاف للمضاف إليه إذا كان واحداً، وأنه مشترك إذا كان المضاف إليه أكثر من واحد.

ويرد في كلام العرب خلاف هذا الأصل من أجل سنة العرب في طلب السهولة على اللسان في النطق.. وتحقيق هذا المطلب مشروط بأمن اللبس .. أي تعين المراد بغير احتمال معتبر، ومن هنا أسوق تحقيق العلماء لنماذج ما خرج عن الظاهر وكان أرجح من الظاهر للخفة وأمن اللبس مبتدأ بكلام أنستاس الكرملي الذي فنده الأستاذ عبد السلام هارون.

**قال أبو عبد الرحمن:** ورجعت لعبد السلام هارون، فوجدته يورد كلام أنستاس الكرملي وهو يتعقب تعبيرات لعبد السلام منها عبارته «معجمي استينجاس وريتشارد سن» فيقول: «وهذا تعبير مولد لا تعرفه لغة القرآن، وقد أولع به المعاصرون، واستعمله صاحب تاج العروس والمصباح وغيرهما من اللغويين في إيراد شروحهم لبعض الكلم.. ولو فكروا قليلا لعدلوا عنه؛ لأن معناه أن لاستينجاس معجمين ولريتشاردسن أيضا معجمين؛ إذ قد يكون للمؤلف الواحد تأليفان[٢].. فالعطف يكون على المضاف لا على المضاف إليه[٣]؛ فكأنك تقول: معجمي استينجاس ومعجمي ريتشاردسن.. والصواب معجم استينجاس وريتشاردسن»[٤].

ثم رد عبد السلام على أنستاس بقوله: «ليت شعري كيف نفرق بين وجهي هذه العبارة - التي جعلتها الصواب - إذا أريد بها مرة أن لكل واحد من الشخصين معجماً خاصاً، وأريد بها مرة أخرى أن الشخصين اشتركا في وضع معجم واحد؟

وقد أشرت إلى لغة القرآن، ولعلك تعني ما جاء في قوله تعالى: {على لسان داوود وعيسى بن مريم} حيث أفرد (لسان).. وهذه مسألة خلافية بعيدة عن مسألتنا، وهي مسألة الإضافة إلى متضمنين مفرقين[٥] باعتبار أن اللسان جزء من داوود وعيسى عليهما السلام، وانظر تفصيلها والخلاف فيها في همع الهوامع (٥١/١) في نهاية باب الجمع[٦].

أما مسألتنا هذه فهي إضافة ما ليس جزءاً مما أضيف إليه، فكلمة (معجم) ليست جزءاً من أحد الشخصين.. ومذهب البصريين فيها أن ما ورد على خلاف الأصل - وهو المطابقة - فمسموع، وقاسه الكوفيون. أما ابن مالك فقاسه إذا أمن اللبس.. واللبس في مسألتنا هذه غير مأمون كما أسلفت.. فما ذهبتُ إليه في عبارتي هو الأرجح الأصوب عند النحاة»[٧].

**قال أبو عبد الرحمن:** إذن إحالة المنع من عبارة «معجمي» إلى عبد السلام من التقميش السريع.. وقبل تحقيق هذه المسألة أحب إيراد شيء من كلام المعربين للآية من سورة المائدة، وشيء من نصوص همع الهوامع.

فأما الآية الكريمة فقد تكلم عن تأويلها السمين بقوله: «وجاء قوله على لسان بالإفراد دون التثنية والجمع، فلم يقل: على لساني، ولا على ألسنة؛ لقاعدة كلية، وهي: أن كل جزأين مفردين من صاحبيهما إذا أضيفا إلى كليهما من غير تفريق جاز فيهما ثلاثة أوجه: لفظ الجمع - وهو المختار - ويليه التثنية عند بعضهم، وعند بعضهم الإفراد مقدم على التثنية، فيقال: قطعت رؤوس الكبشين.. وإن شئت: رأسي الكبشين.. وإن شئت: رأس الكبشين.. ومنه: {فقد صغت قلوبكما}.. فقولي: جزأين تحرز من شيئين ليسا بجزأين نحو درهميكما، وقد جاء: من بيوتكما وعمائمكما وأسيافكما لأمن اللبس.. وبقولي: مفردين من نحو العينين واليدين.. فأما قوله تعالى: {فاقطعوا أيديهما} ففهم بالإجماع.. وبقولي: من غير تفريق تحرز من نحو قطعت رأس الكبشين: السمين والكبش الهزيل، ومنه هذه الآية فلا يجوز إلا الإفراد.. وقال بعضهم: هو مختار.. أي فيجوز غيره، وقد مضى تحقيق هذه القاعدة في سورة المائدة بكلام طويل فعليك بالالتفات إليه[٨].

وعن قول الله تعالى: **{والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما}** (سورة المائدة/٣٨) قال السمين: قوله: {أيديهما} جمع واقع موقع التثنية لأمن اللبس؛ لأنه معلوم أنه يقطع من كل سارق يمينه، فهو من باب {صغت قلوبكما}، ويدل على ذلك قراءة عبد الله: {فاقطعوا أيمانهما}.

واشترط النحويون في وقوع الجمع موقع التثنية شروطاً من جملتها: أن يكون ذلك الجزء المضاف مفرداً من صاحبه[٩] نحو قلوبكما، ورؤوس الكبشين؛ لأمن الإلباس[١٠] بخلاف العينين واليدين والرجلين لو قلت: فقأت أعينهما وأنت تعني عينيهما، وكتفت أيديهما وأنت تعني يديهما.. لم يجز للبس[١١].. فلولا أن الدليل دل على أن المراد اليدان اليمنيان لما شاع ذلك، وهذا مستفيض في لسانهم - أعني وقوع الجمع موقع التثنية بشروطه - قال تعالى: {فقد صغت قلوبكما}.

ولنذكر المسألة فنقول: كل جزأين أضيفا إلى كليهما[١٢] لفظاً أو تقديراً وكانا مفردين من صاحبيهما جاز فيهما ثلاثة أوجه: الأحسن الجمع، ويليه الإفراد عند بعضهم، ويليه التثنية.. وقال بعضهم: الأحسن الجمع ثم التثنية ثم الإفراد نحو: قطعت ورؤوس الكبشين، ورأس الكبشين، ورأسي الكبشين.. قال:

ومهمهين قذفين مرتين

ظهراهما مثل ظهور الترسين

فقولي: «جزآن» تحرز من الشيئين المنفصلين لو قلت: قبضت دراهمكما.. تعني درهميكما لم يجز للبس[١٣].. فلو أمن جاز كقوله: اضرباه بأسيافكما، وإلى مضاجعكما[١٤].

وقولنا «أضيفا» تحرز من تفرقهما كقوله: {على لسان داوود وعيسى بن مريم}[١٥]. وقولنا «لفظاً» تقدم مثاله، فإن الإضافة فيه لفظية[١٦].

وقولنا «أو تقديراً» نحو قوله:

رأيت بني البكري في حومة الوغى

كفاغري الأفواه عند عرين

* فإن تقديره كفاغري أفواههما.

وقولنا «مفردين» تحرز من العينين ونحوهما.

وإنما اختير الجمع على التثنية وإن كانت الأصل: لاستثقال توالي تثنيتين.. وكان الجمع أولى من المفرد لمشاركته التثنية في الضم[١٧].. وبعده المفرد لعدم الثقل[١٨].. هذا عند بعضهم.. قال: لأن التثنية لم ترد إلا ضرورة كقوله:

هما نفثا في فيَّ من فمويهما

على النابح العاوي أشد رجام

بخلاف الإفراد فإنه ورد في فصيح الكلام، ومنه مسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما.

قال بعضهم: الأحسن الجمع ثم التثنية ثم الإفراد كقوله[١٩]:

حمامة بطن الواديين ترنمي

سقاك من الغر الغوادي مطيرها

وقال الزمخشري: {أيديهما} يديهما، ونحوه: {فقد صغت قلوبكما} اكتفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف، وأريد باليدين اليمنيان بدليل قراءة عبد الله: {والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم}. ورد عليه الشيخ[٢٠] بأنهما ليسا بشيئين، فإن النوع الأول[٢١] مطرد فيه وضع الجمع موضع التثنية.. بخلاف الثاني فإنه لا ينقاس[٢٢]؛ لأن المتبادر إلى الذهن من قولك: «قطعت آذان الزيدين» أربعة الآذان.. وهذا الرد ليس بشيء لأن الدليل دل على أن المراد اليمنيان»[٢٣].

وعن قول الله تعالى: **{إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما}** (التحريم/٤) قال السمين: «و{قلوبكما} من أفصح الكلام حيث أوقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمجيء تثنيتين لو قيل: قلباكما.

ومن مجيء التثنية قوله:

فتخالسا نفسيهما بنوافذ

كنوافذ العبط التي لا ترقع

والأحسن في هذا الباب الجمع، ثم الإفراد، ثم التثنية.. وقال ابن عصفور: لا يجوز الإفراد إلا في ضرورة كقوله:

حمامة بطن الواديين ترنمي

سقاك من الغر الغوادي مطيرها

وتبعه الشيخ وغلَّط ابن مالك في كونه جعله أحسن من التثنية، وليس بغلط للعلة التي ذكرها[٢٤]، وهي كراهة توالي تثنيتين مع أمن اللبس»[٢٥].

**قال أبو عبد الرحمن:** نلخص من هذا التالي:

١ ـ يضاف الجمع إلى المثنى والمراد المثنى لا للجمع كقوله تعالى: {فقد صغت قلوبكما} فإنما المراد به: قلب كل واحد منكما .. فهما قلبان لا قلوب.

والمسوغ لذلك التخفيف على اللسان؛ لأنه لو قال: «قلباكما» لثقل الكلام بتوالي تثنيتين.

وشرط الأخذ بهذا المسوغ أن يكون الجمع غير متحقق واقعاً.. فأما الآية من سورة التحريم فاللبس مأمون بكون الاثنين ذوي قلبين فحسب.. لكل واحد قلب واحد.

وأما الآية من سورة المائدة عن السارق فتحتمل قطع الأيدي الأربع، إذ لكل سارق يدان، ولكن لما وجد البيان الشرعي من خارج الآية بأن القطع لليمين فحسب علم أن الأيدي بمعنى التثنية على نحو {صغت قلوبكما} لأنه ليس للسارقين غير يمينين.

٢ ـ إذا كان المضاف جزءاً واحداً من المضاف إليه، وكان المضاف إليه مثنى جاز فيه أيضاً أن تجعل المضاف مفرداً فتقول: قطعت رأس الكبشين.. والمعنى رأس كل واحد منهما.

ووجه ذلك أن هذا المعنى متعين لا يُحتمل غيره؛ لأن الكبشين لا يشتركان في رأس واحد فتحمل الإفراد على الرأس المشترك، ولا يجوز حمل المفرد على رأس واحد منهما فحسب، فلم يحتمل العقل غير أن المراد رأس كل واحد منهما.. فمآل المفرد حينئذ إلى معنى التثنية، وساغ التعبير بالمفرد أن معنى التثنية متعين واقع، وأن المفرد على تقدير لا يحتمل معه غير معنى الاثنين، وذلك بتقدير «كل واحد من» أي قطعت رأس كل واحد من الكبشين.

٣ ـ ومن شواهد الإفراد قول الشماخ:

حمامة بطن الواديين ترنمي
سقاك من الغر الغوادي مطيرها

لم يقل الشاعر: فاغري الفوهين، وإنما قال: فاغري الأفواه، فعلم أن المراد التثنية، لأنه ليس لهما غير فوهين.

والأفواه متعين إضافتهن إلى المثنى وهو ضمير الفاغرين. ولو أريد أفواه غيرهما لبقي الجمع على حقيقته، لأنك ستطلب معنى الجمع من أكثر من فاغر.

وذكر الشنقيطي شواهد همع الهوامع فقال:

«حمامة بطن الواديين ترنمي
سقاك من الغر الغوادي مطيرها»

استشهد به على وضع المفرد موضع المثنى، والأصل: بطني الواديين.

قال أبو حيان: ومن العرب من يضع الجمع موضع الاثنين، ووجه ذلك أنه لما أمن اللبس، وكره الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة: صرف لفظ التثنية الأولى إلى لفظ المفرد؛ لأنه أخف من الجمع، وذلك قليل جداً لا ينبغي أن يقاس عليه، ومنه قوله: حمامة بطن الواديين. الخ.. أراد: بطني الواديين فأفرد. وهذا البيت لتوبة بن الحمير[٢٦]. وقال:

بما في فؤآدينا من الهم والهوى
فيجبر منهاض الفؤاد المشعف

استشهد به معطوفاً على ما قبله، واستشهد به أبو حيان على وجه أصرح وأبين، ولفظه: ومن العرب من يخرج اللفظ على أصله من التثنية، فيقول: قطعت رأسي الكبشين، وذلك قليل أهـ.

ومنهاض الفؤاد الذي أصاب فؤاده هيض.. أي كسر بعد جبر .. والمشعف: الذي أصاب الحب شعاف قلبه، وهو رأسه عند معلق النياط. والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق[٢٧]. وقال:

نذود بذكر الله عنا من السرى
إذا كان قلبانا بنا يجفان

الشاهد فيه كالذي قبله.

**قال أبو حيان في شرح التسهيل:** وقال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: وقد ذكر للقياس من وضع الجمع كوضع التثنية، فقال: قطعت رؤوس الكبشين.. هذا هو المختار، ومن العرب من يخرج اللفظ على أصله من التثنية، فيقول: قطعت رأسي الكبشين، وذلك قليل.. قال الفرزدق: بما في فؤادينا.. إلخ .. وقال الآخر: نذود بذكر الله.. إلخ اهـ.

وهذا البيت أظنه لعروة بن حزام أو لكعب صاحب ميلاء[٢٨].

وقال:

هما نفثا في فيَّ من فمويهما
على النابح العاوي أشد رجام

* الشاهد فيه كالذي قبله.

وفي شرح التسهيل لأبي حيان: وقد جمع

الشاعر بين اللغتين، وأنشد البيت.

وضمير المثنى في قوله: «هما نفثا في فيَّ» لإبليس وابنه المذكورين في بيت قبل الشاهد.

وفي البيت أيضا الجمع بين البدل والمبدل منه، وهما الميم والواو.

قال سيبويه: وأما فم فقد ذهب من أصله حرفان؛ لأنه كان أصله فوه، فأبدلوا الميم مكان الواو، فهذه الميم بمنزلة العين نحو ميم دم تثبت في الاسم، فمن ترك دم على حاله إذا أضيف ترك فم على حاله، ومن رد إلى دم اللام رد إلى فم العين، فجعلها مكان اللام، كما جعلوا الميم مكان العين وأنشد البيت.

ونفثا أي ألقيا على لساني يعني إبليس وابن إبليس؛ لأنه مما يقال: إن لكل شاعر شيطاناً، والنابح هنا أراد به من يتعرض للهجو والسب من الشعراء، وأصله في فيِّ الكلب.. ومثله: العاوي والرجام مصدر راجمه بالحجارة.. أي راماه، وراجم فلان عن قومه إذا دافع عنهم.. جعل الهجاء في مقابلة الهجاء كالمراجعة لجعله الهاجي كالكلب النابح.

والبيت آخر قصيدة للفرزدق قالها في آخر عمره تائباً إلى الله تعالى مما فرط منه في مهاجاته الناس، وذم فيها إبليس، لإغوائه إياه في شبابه»[٢٩]. وقال:

فتخالسا نفسيهما بنوافذ
كنوافذ العبط التي لا ترقع

الشاهد في قوله: «فتخالسا نفسيهما» وتقدم ما في هذا النوع. وقال ابن الأنباري: والأكثر فتخالسا أنفسهما، لأن كل شيئين من شيئين:[٣٠] يثنيان بلفظ الجمع كقولك: ضربت صدورهما وظهورهما.. قال الله تعالي: {فقد صغت قلوبكما} والضمير للشجاعين المذكورين قبل هذا البيت في عدد أبيات من قصيدة أبي ذؤيب الهذلي المشهوره»[٣١].. ومن الله أستمد العون، وأستلهم الرشد.

---

**الهوامش:**

(١) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال ص٨٣.

(٢) قال أبو عبد الرحمن: ليس هذا بصحيح، بل لإرادة هذا المعنى تعبير آخر وهو الإظهار، فيقول: معجمي فلان، ومعجمي فلان.

(٣) وذلك عندما يكون المضاف الآخر ظاهراً، أو قام البرهان بلا لبس أنه متعين التقدير.. ولا تعين هاهنا؛ لأنه ليس كل أحد يعلم أن لكل واحد من المذكورين معجماً مستقلا، بل يحتمل الجاهل أنهما اشتركا في تأليفه.

(٤) قطوف أدبية ص ٤٦١ ـ ٤٦٢.

(٥) أي مفرقين بالعطف.

(٦) قال أبو عبد الرحمن: للآية احتمالان: أحدهما: أن يكون المراد باللسان اللغة، وحينئذ يكون لسان داود وعيسى عليهما السلام واحداً، فالكلام على ظاهره. وثانيهما: أن يكون المراد باللسان الجارحة، فحينئذ يتعين أن المراد لسانات بتعين تقدير مضاف آخر هكذا.. لسان داود ولسان عيسى، لأنه متعين بالضرورة أن لكل واحد لساناً، وأنهما غير مشتركين في لسان واحد.. فلما أمن اللبس بهذا التعين اختير الإفراد لأنه أخف.

(٧) قطوف أدبية ص ٤٨٥.

(٨) الدر المصون ٤/٣٨٢.

(٩) أي أن الواحد من المضاف كالقلب (مفرد القلوب المضافة إلى المثنى) جزء واحد من المضاف إليه وليس جزأين فأكثر كاليدين، فلا يقع الجمع حينئذ موقع التثنية؛ لأنه لو جعل بمعنى المثنى لكان في ذلك إلقاء لمقتضى الجمع بلا برهان.. والجمع هو الدلالة الصحيحة، لأن عند كل رجل يدين ثنتين، وللإثنين أربع، وذلك جمع. وإنما حملت آية السرقة من سورة المائدة على التثنية لأنه قام البرهان على أن المراد جزء واحد لا يوجد في المفرد غيره وهو اليد اليمين، فليس للإنسان غير يمين واحدة.

(١٠) وجه اللبس أن قولك للاثنين: «عيونكما» ظاهر في الجمع، لأن للاثنين أربع أعين، فلو جعل للجمع لالتبس المثنى بالجمع، ولاقتضى الأمر التوقف في دلالة «عيونكما» حتى يأتي مرجح من خارج يعين هل المراد المثنى أو الجمع. وأجود من التعبير بأمن اللبس أن تقول: إن حمل الجمع على المثنى حينئذ إلغاء للظاهر وهو الجمع، وإعمال لغير الظاهر وهو التثنية بلا برهان.

(١١) أي لم يجز حمل الجمع في قولك: «أعينهما» على معنى المثنى، لأن الظاهر الجمع، إذ لهما أربع أعين.

(١٢) كالقلب فإنه جزء واحد من الإنسان ليس له غير قلب واحد.. قال تعالى: {ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه} (الأحزاب/٤). فالقلب جزء والرجل كل.

(١٣) لأنه لم يقم برهان على أنه ليس عندهما غير درهمين.

(١٤) الضرب بالأسياف يحتمل معنى الجمع فلا يحمل على التثنية، لأن الفرد قد يجالد بسيفين في المرة الواحدة، وقد يجالد طرفاً واحداً بأكثر من سيف في عدة مرات.. إلا أن هذا خلاف العادة. والمضاجع إذا أريد بهما الزمان الواحد فلا لبس، وإذا لم ترد وحدة الزمان فقد يكون للإنسان أكثر من مضجع في عدة أماكن.

(١٥) فلم يقل: «على لسانيهما» فتكون الإضافة إلى مثنى.

(١٦) أي مثل «قلوبكما» و«رؤس الكبشين» فإن الرجلين والكبشين مثنيان لفظاً لا تقديراً.

(١٧) فالتثنية ضم واحد إلى واحد، والجمع ضم أكثر من واحد.

(١٨) التعليل قاصر هاهنا، لأن عدم الثقل مشترك بين الجمع والتثنية.. وإنما يقال: يعبر بالجمع والمفرد معاً في المسألة المذكورة؛ لأن توالي تثنيتين مستثقل، وقُدِّم الجمع على المفرد على الرغم من اشتراكهما في الخفة؛ لأن الجمع يشارك المثنى في معنى الضم.

(١٩) وجه هذا التفضيل فيما يظهر لي أن التثنية هي الأصل فقدمت على المفرد لمجرد الخفة، وقدم الجمع للخفة ولأمر آخر غير مجرد الخفة وهو مشاركة المثنى في الضم.

(٢٠) هو أبو حيان النحوي.

(٢١) وهو قلوبكما.

(٢٢) وهو الأيدي، لأن للفرد أكثر من يد. ورد السمين على شيخه أبي حيان وجيه جداً، وكلام الزمخشري صحيح.

(٢٣) الدر المصون ٤/٢٦٢ ـ ٢٦٤.

(٢٤) بل يقال: التثنية أولى من الإفراد، والإفراد جائز بما جاز به الجمع من الخفة حسب الشروط المذكورة.

(٢٥) الدر المصون ١٠/٣٦٦.

(٢٦) الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العلوم العربية ١/١٥٤ ـ ١٥٥.

(٢٧) الدرر اللوامع ١/١٥٥.

(٢٨) الدرر اللوامع ١/١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢٩) الدرر اللوامع ١/١٥٦ ـ ١٥٧.

(٣٠) يتحتم في مثل هذا وضع نقطتين فوق بعض؛ ليعلم أن ما بعدهما خبر وليس وصفا.

(٣١) الدرر اللوامع ١/١٥٨.

## المخدرات والجريمة:

آفة العصر

تعاطى المخدرات يدخل ضمن العوامل التى تحرك وتوقظ وتشكل الميول الإجرامية الكامنة في نفوس المدمنين وذلك بعد أن يهدىء المخدر ويقلل الكوامن النفسية التى تتصدى للدعوة الى الجريمة سواء أكانت غريزة سامية أم خوفاً من عقوبة وعندما تسود العوامل الإجرامية يزداد الشخص جسارة وبعد شىء من التردد يدخل الشخص فى مرحلة التصميم التى يمر فيها بسهولة الى العمل الإجرامي، فيرتكب جرائم السرقات وجرائم العنف وجرائم الجنس وغيرها من الجرائم المماثلة.

احمد اسماعيل عبد الكريم
- مصر -



احراق شجيرات «الكوكا»

وقد تتسلط على المدمن عقدة الغيرة الوهمية نتيجة لفشله فى أداء مهمته كزوج، فيتهم زوجته بالخيانة، وقد يخيل إليه أحيانا أن زوجته تنوي به شراً ، أو انها تفكر في الاقدام على قتله فيعتدى عليها بالضرب والإيذاء وقد يصل به الأمر الى قتلها، أو قد تقدم هى عليه فتقتله رداً على اعتدائه عليها بالضرب المبرح، أو الشتم اللاذع المقزع، والجرائد والمجلات تزخر بهذه الحوادث والمحاكم والنيابات، وحسبنا ما جاء فى كتاب القرآن والطب للأستاذ محمد وصفى «الزنا والخمر صنوان وتحف بهما كل الرذائل المعروفة في العالم كالدعارة والفحش والفجور وسوء الخلق وفساد النفس والخبث والغدر والنفاق والخديعة والرياء وغير ذلك من الصفات الخلقية الدنيئة وإنك لا تجد مجرما لا يسكر ولا تجد سكيراً غير مجرم.أ.هـ

فى حالات الادمان التى يفقد فيها الوعي ويهيمن فيها المخدر على عقل صاحبه ترتكب فيها أبشع الجرائم فى حق النفس كما فى حق الغير، فقد تهون النفس على المدمن فلا يجد أمامه شيئاً إلا أن ينتحر فيزهق روحه، هذا غير أن المخدرات ذاتها تؤدي إلى قصر الأجل والفقر والمرض والانحطاط الخلقى ولقد اثبتت الإحصائيات الأمريكية وما أدقها

واكثرها أن ٤٠٪ من حالات الانتحار بين المراهقين هى بسبب المخدرات والمسكرات وتؤكد الاحصائيات التى خرجت من دراسات علمية موثوقة وموثقة أن اكثر من ٧٠٪ من الذين ألقى القبض عليهم فى حوادث السطو كانوا من المدمنين على تعاطي المخدرات. وفى دراسة خاصة أجريت على طائفة من السفاحين والقتلة وجد أن ٨٦٪ من كل المتهمين كانوا قد تناولوا الخمور قبل ارتكاب جرائمهم النكراء.

ولما كان مدمن المخدرات متقلب العواطف يكره ويحب بسرعة كما أنه سيء الظن وقد يضرب أقرب الناس إليه ويتلذذ بتعذيب غيره واهانته[٢] ويجد السعادة في تنغيص حياة وجرح مشاعر الآخرين لذلك فإننا نجد أن عصابات تهريب المخدرات تتسم بالشراسة وفرض السيطرة على المناطق التى تعمل بها وقد يكون الموت جزاء من يظن به الابلاغ عن أحد أفرادها ومكان اجتماعها.

وتؤكد بعض التقارير أن عصابات تهريب المخدرات تميل إلى ممارسة العنف ضد كل من تتصورهم أعداء لها وضد عائلاتهم ومستخدميهم وغيرهم من الأبرياء الذين تربطهم بهم صلة.

وقد ارتكبت هذه العصابات مؤخراً فى ميامى ولوس انجلوس ونيويورك عدداً كبيراً من جرائم القتل قطعوا فيها الرءوس وبتروا فيها الأطراف وكان بعض القتلى من الأطفال الأبرياء وقد وقعت اكثر هذه الجرائم فى وضح النهار أمام المارة فى المنتزهات العامة أو الطرق الرئيسية، كما حدث البعض فى النوادى الليلية على مرأى ومسمع من روادها، والشواهد تدل على أن بعض عصابات المافيا تميل إلى العنف اكثر من عصابات تهريب الكوكايين، وقد حفلت الصحف بأنباء التصفيات الجسدية وحروب المافيا التى ارتكبتها هذه العصابات.

- كثيرا ما يستغل مهربو المخدرات وتجارها المتعاطين ويستخدمونهم كمعاونين لهم فى عمليات التهريب، وبذلك ينقلونهم من مرحلة التعاطى الى مرحلة أشد خطورة. وقد شاهدنا كثيراً من هذه النوعيات فى الجرائد والمجلات.

- إذا ما صدر الحكم على المتعاطى أو تاجر المخدرات وتم إيداعه مع غيره من المحكوم عليهم فى جريمة سرقة، أو قتل أو أى جريمة من الجرائم، فإنه يحاول استمالتهم له لارتكاب جرائم أخرى وكثيراً ما تجد العصابات الخطيرة فى المتعاطين صيداً سهلا للعمل معهم فى حقل نشاطهم الإجرامي.

## الادمان وارتفاع نسبة الحوادث:

مدمن يتعاطى مادة الميثادون لتعوضه عن مخدر الهيروين

اظهرت الأبحاث أن الحشيش يؤثر على مجموعة كبيرة من المهارات اللازمة للقيادة السليمة، فالتفكير السليم والاستجابة السريعة يضعف أداؤهما مما يجعل من الصعب على السائق أن يستجيب بسرعة لطارئ مفاجئ كما أن قدرة السائق على الالتزام بحارة معينة خصوصاً فى المنعطفات وعلى استعمال الفرامل بسرعة، والاحتفاظ بسرعة منتظمة، وبمسافة مناسبة بينه وبين السيارات الأخرى يعتبر صعب المنال فى ظروف استعمال الحشيش، وقد اظهرت الابحاث أن هذه المهارات تظل ضعيفة لمدة تتراوح بين ٤ ـ ٦ ساعات بعد تدخين سيجارة واحدة من الحشيش بعد زوال فترة التأثير، وإذا احتسى السائق كأساً من الخمر مع تدخين سيجارة من الحشيش، فإن وقوع حادث يصبح أكثر احتمالا ولذلك فإن تعاطي الحشيش يشكل خطورة محققة على قيادة السيارات[٣].

كما نجد أن حوالى ٦٪ من طلاب السنة النهائية فى المدارس الثانوية هم من الذين يشربون الخمور يومياً وكثير من هؤلاء الطلاب يذهبون إلى المدرسة وهم مخمورون، بل انهم يشربون في حالة قيادة السيارات مما يزيد الامر خطورة، وقد أدى ذلك إلى مقتل ٧٧٪ فى حوادث السيارات بما يصل إلى

ثلاثين ألف شخص سنوياً معظمهم من شبان - الولايات المتحدة - الذين كان يفترض أن يكونوا أعضاء فعالين منتجين لهم ثقلهم في المجتمع.

من خلال نظرات مدققة للتقارير العلمية الموثقة التى صدرت من هيئات يعتد بها على المستوى الدولي: تشير بعض هذه التقارير إلى أن نصف الجرائم عندها مسببة بطريقة أو بأخرى نتيجة تعاطي الكحوليات وعلاقة الكحول بالعنف والجرائم حسب الاحصائيات الموجودة حتى الآن تتراوح بين ١٣ - ٧٢٪ وفى حوادث اغتصاب النساء هي بين ١٣ - ٥٠٪ وفى حوادث القتل هي بين ٢٤ - ٧٢٪ وفى بولندا دلت الدراسات أن ٣٧٪ من الجرائم عام ١٩٦٦م كانت بسبب تأثير ادمان الكحوليات وفى استراليا كان ٥٠٪ من حوادث القتل والاغتصاب بسبب الكحول وفى فرنسا في عام ١٩٥٥م كان ٤٦٪ من الحوادث سببها الكحول[٤].

وقد اعترف وزير داخلية بريطاني أن معدل ارتكاب الجرائم في بريطانيا في ارتفاع مستمر وقد ارجع الوزير البريطاني ذلك المعدل إلى ارتفاع معدل البطالة وتزايد المخدرات، وازدياد رقعة المدمنين مع زيادة الاسعار، ودعا وزير الداخلية أجهزة الإعلام والمدارس ودور العبادة إلى مساعدة الحكومة في التصدي لتخفيض معدلات الجريمة، وكان تقرير خطير قد صدر عن وزارة الداخلية يشير إلي أن هناك ست جرائم ترتكب كل دقيقة واحدة في بريطانيا واشار إلى أن معدل الجريمة قد ارتفع فى عام ١٩٨٦م بنسبة ٧٪ عنه فى عام ١٩٨٥م وقد وصل عدد الجرائم التى ارتكبت فى العام الماضي وحده إلى ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف جريمة[٥].

وإذا تأملنا الاحصائية البريطانية التي خرج بها وزير الداخلية البريطاني من أن هناك ست جرائم ترتكب في الدقيقة الواحدة، نتيجة الادمان، واذا كان نصف هذه الحوادث أو الجرائم، حوادث سيارات أو قتل فإن ذلك يفوق معدل التزايد السكاني الذى تصرخ منه مصر إذ أن معدل التزايد فى نسبة السكان في مصر بمعدل طفل واحد كل ثلاث وعشرين ثانية وعلينا أن نتأمل النسبة بين هذا وذاك.

إنعكاس المخدرات على نسبة الوفيات:

وتجدر الاشارة إلى أن المخدرات تدمر الصحة وتهلك الابدان وتهدر الطاقات الفتية وتضر بالبدن اضراراً كثيرة وتلحق به الأذى الكثير وتتلف

أعضاء الجسم عضواً عضواً، فهي تضر بالمعدة، والكبد والبنكرياس والطحال والأمعاء والكليتين وكل الأحشاء والقلب والشرايين والجهاز الهضمي، كما يضعف الصدر، فالسكير إذا أصيب بإلتهاب رئوي فسريعاً ما ينقلب الإلتهاب إلى سل وينتقل به المرض اللعين ويتدرج في المراحل، المرحلة الأولى، فالثانية فالثالثة فالموت المحقق، والادمان الكحولي يضاعف مفعول الأنسيولين في الدم لمرضى السكر الذين يعالجون بالانسيولين مما يسبب للمريض تشنجات حادة قد لا يحتملها جسمه[٦].

وشرب الخمر يؤثر تأثيراً ضاراً على الجهاز العصبي، فيسبب ارتجاف اليدين واللسان كما يسبب سرعة النرفزة وسرعة النسيان وبلادة الذهن وأحياناً يؤدي الافراط فيه إلي الصرع[٧].

وجاء في تقرير الجمعية الطبية الفرنسية أن مجموعة من الاطباء الفرنسيين قد قاموا بعدة أبحاث علمية للتعرف على العلاقة بين الاصابة بأمراض الكبد وتعاطى المسكرات، واستغرقت هذه الأبحاث عدة سنوات وقد قام الأطباء بدراسة ١٤٦٨ حالة وتبين من أبحاثهم أن ٧٢٪ من الذين ماتوا قبل سن الخامسة والخمسين كان السبب في وفاتهم هو أمراض الكبد، نتيجة إدمانهم، وقد انتهى هؤلاء الاطباء الفرنسيون فى أبحاثهم إلى أن الادمان على تعاطى المخدرات يهدد بشبح الموت قبل سن الخامسة والخمسين وأن النساء اكثر قابلية للإصابة بأمراض الكبد التى تؤدي الى الوفاة اكثر من الرجال عند ادمانهم على تعاطي المخدرات[٨].

وقد دلت احصائيات الوفيات على أن المسكرات والمخدرات انما هي علة أساسية للموت نظراً لما تحدثه وتسببه من اضرار فى غاية الخطورة للصدر وخصوصاً الرئتين والقلب، فضلا عن المعدة والكبد والطحال، فيصاب السكير بالتسمم الكحولي الحاد، وفي هذه الحالة يكون قد عمل الكحول عمله في المراكز العصبية للتنفس والدورة الدموية.

يقول الدكتور جلال السعيد: «ان ظاهرة تحلل عضلة القلب من تأثير الخمور تحدث في الرجال بنسبة اكبر من النساء وهي تتركز في الأعمار من سن ٣٠ ـ ٥٠ سنة وتبدأ الاعراض في الظهور باضطرابات في نبضات القلب ثم تضخم بسيط وفي هذه المرحلة يمكن شفاء المريض إذا امتنع عن الخمور، أما إذا لم تكتشف الحالة واستمر المريض فى معاقرة الخمر أو تعاطى المخدرات، فـإنه يحدث تضخم بدرجة لا يمكن

العودة فيها أو الشفاء منها، وهى مرحلة تؤدى إلى الهبوط بالقلب والوفاة بعد التحلل لعضلة القلب ودمارها، ولقد ثبت من تجارب أجريت على الفئران أنه يحدث تضخم في عضلة قلب الفأر وبعد اعطائه الخمور لمدة ثلاثة شهور، وقد حدث التضخم وأدى إلى وفاة الفئران نتيجة هبوط في القلب، أما في الإنسان فإن الحال يختلف تبعاً لكمية الكحول ومرات تناول الخمر ونوعها، والبيوت التي يعيش فيها الانسان ونوع غذائه، ولكن في المتوسط فإن عضلة القلب - أي قلب الانسان - ربما تتأثر بعد سنتين إلى عشر سنوات[٩].

ويؤكد الدكتور سدني في كتابه علم السموم على خطورة المخدرات والخمور على الأجهزة والأعضاء البشرية وذلك من خلال عمله فاحصاً وطبيباً شرعياً.

«ان الخمر هي السبب المباشر وغير المباشر في خمسين بالمائة من مجموع حالات الوفاة التي يفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الامريكية[١٠].

ومن خلال الاحصائيات الدقيقة ينكشف النقاب عن خطورة المخدرات وما تسببه من زيادة نسبة الوفيات وقد بلغت نسبة الوفيات في استراليا خمسة أضعاف مجموع الوفيات الناتجة عن الأمراض السارية، ٦٢٪ من الحوادث كان الكحول هو السبب فيها[١١].

والخمور تسبب في مقتل ألفي شخص يومياً في الولايات المتحدة على حسب ما ذكرته التقارير والاحصائيات الرسمية من أن (٢١٢٩) شخصاً يلقون مصرعهم في انحاء الولايات المتحدة بسبب (٦٣٢٨٨) حادث تصادم سيارة يحدث يومياً وذلك نتيجة الإسراف في شرب الخمور وتعاطى المخدرات، وأضافت الاحصائية ان الخمور والمخدرات هي المسئول الأول عن هذه الحوادث حيث بلغ متوسط استهلاك زجاجات الخمر في الولايات المتحدة الامريكية نحو ٩٠ مليون زجاجة يومياً. وتبين هذه الاحصائية خطورة هذا الرقم الذى يوضح لنا أن اكثر من نصف الشعب الأمريكي مخمور، أو سكير لساعات طويلة على مدى ساعات اليوم.

وقد أجرى السيد انفولد المستشار الطبي الدائم لجهاز مراقبة اساءة استعمال المخدرات والمواد المؤثرة على الحالة النفسية بباريس دراسة تحليلية للوفيات المرتبطة بتعاطي المخدرات والمواد المؤثرة على الحالة النفسية، وعلي ضوء المعلومات المتاحة والتي استقاها



مدمن والاستعداد لجرعة أخرى من الهيروين

الباحث من المكتب المركزي لمكافحة المخدرات بباريس بين الباحث أن عدد الوفيات بلغ ٢٣٧ حالة عام ١٩٨٤م، أشارت إلي أن معظم الضحايا من الشباب الذين تقل أعمارهم عن خمسة وعشرين عاماً حيث كانت نسبتهم ٧٥٪ من حالات الوفاة وأن نسبة الاناث من الضحايا لا تتجاوز ١٣٪ وأن الهيروين اكثر العقاقير المسببة للموت وخاصة اذا حدث التعاطي بطريقة الحقن حيث بلغت نسبة من كانوا يتعاطون ٨٠٪ من اجمالي حالات الوفاة. من خلال هذه الاحصائيات نستطيع أن نقول ونؤكد القول على أن المخدرات مرض من الأمراض الخبيثة التي انتشرت أو كادت تنتشر علي ارض الواقع.

*الهوامش:*

(١) محمد وصفي - القرآن والطب.

(٢) د. احمد شوقي الفنجري ، المخدرات في الطب والدين، مجلة الوعي الاسلامي، ع١٢٢.

(٣) الاحمدى أبو النور - رسالة الامام ص ٤٢ ومجلة الطب النفسي - النفس المطمئنة العدد السادس اكتوبر ١٩٨٥، اعرف عدوك الحشيش خطر داهم يتربص بالشباب ص٢٨.

(٤) عزت حسانين المخدرات والمسكرات بين الشريعة والقانون ص٩٣.

(٥) مجلة منار الاسلام ، العدد الرابع سنة ١٣ ص١٢٨.

(٦) الأهرام ، عدد صادر يوم ١٩٧٨/١١/٩م.

(٧) الانبا غريفورس، رأى المسيحية في المخدرات - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٨) مجلة آخر ساعة العدد ١٨٦٢ ، أول يوليو ١٩٧٠م.

(٩) مرجع سابق ص ٣٠.

(١٠) المخدرات بين الشريعة والقانون مستشار عزت حسانين ص٩٣.

(١١) د. نبيل صبحي - الخمر والادمان الكحولي ص٨٠.



أعلام .. وأعمال:

# الشيخ محمد البشير الابراهيمي (في قلب المعركة ..)



بقلم: د. عمر بن قينة
معهد اللغة العربية وآدابها
- جامعة الجزائر -

ليس هناك أحبّ إلي النفس من كلمة حق تقال، وموقف وفاء يعلن، يكبر ذلك في حقّ جيل أعطى الكثير لأمته، ولم يأخذ شيئا ذا بال، بل كان جزاؤه الصّدود. والتناسي، حتى صارت في هذه السنوات الأخيرة تمرّ الذكريات الخاصة بوفاة بعض أعلامنا الفكرية في صمت مطبق، في حضور ضجيج حزبي، وانتهازية سياسية وإعلامية، ومن بين هؤلاء: المفكر والأديب والمصلح الشيخ (محمد البشير الابراهيمي ١٨٨٩ - ١٩٦٥م) وإن كان الشيخ غنيا عن التعريف بالنسبة لجيله ولاحقه، ولبعض الباحثين والمثقفين، فهو يكاد يكون مجهولا بالنسبة للأغلبية من قراء العربية في الوطن العربي.

لقد ولد الشيخ (الابراهيمي) سنة ١٨٨٩ في قبيلة (أولاد ابراهيم) بولاية «سطيف» وانتقل الى «الحجاز» فأقام مع والده في المدينة المنورة، ثم انتقل الى دمشق ١٩١٦ وعاد الى الجزائر في ١٩٢٠ حيث استقرّ، وأسهم في الحركة الاصلاحية، وكان نائبا لرئيس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» عبد الحميد بن باديس حين تأسست في ١٩٣١ ورئيسا لها بعده حتى ١٩٥٢ ثم انتقل الى القاهرة في رحلة سنة ١٩٥٢ ليزور عدّة أقطار عربية

وإسلامية، حتى اندلعت ثورة التحرير الجزائرية (نوفمبر ١٩٥٤) فأقام في القاهرة مؤازرا للثورة، وبعد الاستقلال سنة ١٩٦٢ عاد الى الجزائر حيث اندلع الخلاف بينه وبين النظام الذي لاحظ انحرافا على الإسلام في نهجه السياسي والاجتماعي حتى كانت وفاته في (١٩ مايو ١٩٦٥م) مخلّفا وراءه عدة آثار.. وبعض الأثر الأدبي والفكري.

للشيخ إنجازات معتبرة في الحركة الاصلاحية منذ العشرينيات إذن في هذا القرن: خطيبا، واعظا، وكاتبا، وربّما كان الأثر الأكثر اتساعا ورسوخا بكتاباته في (الشهاب) جريدة أولا، ومجلة ثانيا، و(البصائر) في سلسلتيها، خصوصا افتتاحياته في هذه الجريدة الأخيرة التي جمعها في كتابه (عيون البصائر) الذي صدر أوّل مرّة في القاهرة سنة ١٩٦٣ بإشرافه في دار (المعارف) بالقاهرة، فحوى هذا الكتاب مقالاته التي كانت (افتتاحيات) في السلسلة الثانية من (البصائر) بين سنوات ١٩٤٧ و ١٩٥٣ وأعيد طبعه مرّتين في (الجزائر) بعد وفاته واعتبر جزءا ثانيا، أمّا الجزء الأول فقد كان بداية الجهد الذي شرع يبذله تلاميذه وأصدقاؤه بعد وفاته بمساعدة ابنه (أحمد)، من أجل جمع آثاره الفكرية والأدبية ونشرها.

هذا الجزء الأوّل صدر عن (المؤسسة الوطنية للكتاب) في (الجزائر) سنة (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) وهو يشتمل على ما كتبه بعد عودته الأولى من المشرق العربي ابتداء من منتصف العشرينيات، فضم خطبا ومحاضرات الى جانب ما نشره في (الشهاب) و(البصائر) في سلسلتها الأولى، أمّا الجزء الثالث فقد صدر سنة (١٩٨٢م) عن نفس الدار، بينما صدر الجزء الرابع سنة (١٩٨٥م) فضم الثالث ما نشره في (البصائر) خصوصا، مما لم يتضمنه الجزء الثاني أما الجزء الرابع فمعظم مادته سبق نشرها خارج الجزائر في الصحافة العربية: جرائد ومجلات، مثل «الاخوة الإسلامية»، «المسلمون»، «المنهل»، «منبر الشرق»، «الإرشاد»، «الأهرام».

وبعد صمت بلغ عشر سنوات يصدر اليوم كتاب جديد للشيخ عن «دار الأمّة» ذات التوجه القومي، بعنوان: «في قلب المعركة ١٩٥٤ ـ ١٩٦٤» ضمّ كتابات (الإبراهيمي) في قضايا ساخنة، سواء أثناء الثورة التحريرية أو بعد الاستقلال، منها ما نشر سابقا، ومنها ما لم ينشر، حتى كانت الفرصة في هذا الكتاب. وقد أشرف على جمع المادة في هذه المرّة ابنه (أحمد طالب الإبراهيمي) الوزير السابق في عهد كلّ من (هواري بومدين) و(الشاذلي بن جديد) وزيرا للتربية، وللاعلام والثقافة، والخارجية.

والكتاب إضافة جديدة جادة في المكتبة العربية ومنها الجزائرية ليس بأسلوبه المتميّز دائما فحسب، وإنما بمادته، وبما تقدّمه هذه المادة من حقائق موثقة، كانت مجهولة أو غامضة بالنسبة للبعض من بينها دور (جمعية العلماء) في الثورة التحريرية ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢م.

وقام بكتابة تصدير للكتاب الأستاذ

الجامعي الباحث المؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد الله، الذي قال في تصديره عن مادة الكتاب، إنها «وثائق حول الثورة من بيانات وبرقيات وتصريحات وخطب وأحاديث ونداءات حرّرها أو ألقاها باسم جمعية العلماء وجبهة التحرير الوطني، وإذا شئت باسم الشعب الجزائري بين ١٩٥٤ و ١٩٦٤»·

كما ذكر صاحب التصدير في المناسبة بطبيعة بيان (أول نوفمبر ١٩٥٤) الذي أعلن الثورة، حيث يلاحظ غيابا «لمباديء» جمعية العلماء التي رسمتها للجزائر ماضيا ومستقبلا، كما يلاحظ أنّ البيان لا يجيب على بعض النقاط بوضوح كالهوية والإسلام والعروبة، وأنّه ليس ميثاقا أو عريضة مرجعية ذات فلسفة وتصورات حضارية، وإنما هو وثيقة سياسية صحفية (ص:٧) كتبت على عجل، ليس من اليسير أن يبادر فورا أمثال (الإبراهيمي) لتبنّيها، وهو كلام ينبّه الى ما يردد عن تقاعس ينسب للجمعية التي لم تبادر بإعلان الانضمام الى الثورة المسلّحة حين اندلعت (فجر ١ نوفمبر ١٩٥٤م)·

وهذا جانب من التهمة التي يحاول التيار اليساري بالخصوص الصاقها بجمعية العلماء، وفي قيادة هذا التيار ما كان يسمى بالحزب الشيوعي الجزائري قبل الثورة، وخرج في جبة جديدة بعد (١٩٨٩) تحت عناوين مختلفة·

ومن هنا تأتي الأهمية الكبيرة لهذه الوثائق التي تضمنها الكتاب، بما فيها من أفكار وآراء ومواقف وقضايا، وتوقيعات لشخصيات سياسية في قيادة الثورة بالخارج، وفي مقدمتهم (أحمد بن بلّة) و(الورتلاني) و(خيضر) و(آيت أحمد) وغيرهم·

والكتاب حافل بمقالات ومحاضرات وبيانات وخطب وسواها، بعضها أفكار ملتهبة عن احتدام الصراع الحضاري بين فرنسا والجزائر على مستوى الفكر، وبعضها مواقف في المواجهة المسلحة التي خاضها المجاهدون الجزائريون في وجه الغزاة الفرنسيين، وبعضها الآخر عن مشاكل ذات علاقة بالفعل الاستعماري خلال قرن واثنتين وثلاثين سنة، ومنها ما هو ذو طابع حضاري بوجهه القومي، في مثل موضوع «مشكلة العروبة في الجزائر» وهو الموضوع الذي لا تزال له حيويته عربيا عموما وجزائريا خصوصا، وفيه يقول الإبراهيمي: «أمّا الأمم الجارية مع الحياة فإنها تحلّ مشكلاتها القديمة لتتفرّغ للمشكلات الجديدة، ومن سلك هذا السبيل لم تبق له مشكلة، لأن المشكلات إذا وجدت العقول متهيأة لحلّها قادرة عليه متفرّغة له - لم تعد مشكلة، وما صير قضايا العرب مشكلات إلا العرب وعقول العرب، فهم فيها بين حالات ثلاث إما أن يسكتوا فتبقى إشكالا، وإما أن يعتمدوا في حلّها على غيرهم فيزيدها تعقيدا أو يحلها لصالحه لا لصالحهم، وإما أن يعالجوها بأنفسهم ولكن بنيات مدخولة وضمائر مريضة وعقول ناقصة وغايات متباينة وإرادات مستبعدة ومقاصد تافهة، فلا

يكون العـلاج عـلاجـا، وإنما يكون بلاء مـضـاعـفـا» (ص:١٠٢) ثم يضـيـف بعـد هذا بقليل «والعـروبـة لغـة ـ غـمـرتـهـا الرّطانات الأعـجـمـيـة واللـهـجـات العـامـيـة، واللغـات الأجنبية، والرطانات الأعجمية أخذت منها ثم تعـالت عنهـا، واللـهـجـات العـامـيـة مـزّقـتـهـا، وأصـبـحت حـجـة عليـها ومـداخل ضـيم لهـا، واللغات الأجنبية زاحمتها في ضعفاء الهمم والعـزائم من أبنائهـا، وهذه كلهـا مـشـكلات ذات أثر سيء وعميق في المجتمع العربي».

وإن كـبـرت مـشكلات العـروبة، فـهـي في الجزائر صغيرة، كما كان ينظر اليها الرّجل من دون أن يلغي إحساسـه بقوى تجعل من العروبة انتمـاء: مشكلة وعقدة لدى البعض، تنجب مـشكلة أخـرى، خـصـوصـا في الجزائر.

أما على المستوى السياسي فإن بيانات (الإبراهيمي) و(الورتلاني) في إعلان المؤازرة للثـورة (٥٤ ـ ٦٢) باسم (جـمـعـيـة العلمـاء) واضـحـة، تتـصـدّر صـفـحـات الكتـاب، وهي بيـانات تنطلق ابتـداء من (الثـانـي نوفـمـبـر ١٩٥٤) نشرتها صحف وبثتها إذاعات، كلّها تبـارك الثورة المسلحة التي انطلقت في وجـه الاستعمار الفرنسي بالجزائر.

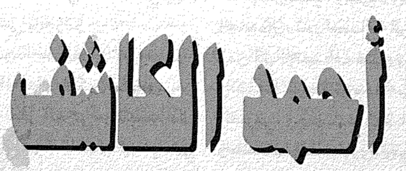
جـاء ذلك عـمـومـا بأسلوب (الإبراهـيـمـي) بعـربيتـه المتـينة الغنيـة، المركـزة، كواحـد من أمراء البيان في النثر العربي، ويتجسد ذلك في أكثر من موقع بهذا الكتاب نفسـه، في مثل مقاله (حرية الأديب) وفي (مـجـمع اللغـة العربية) بالقاهرة يخاطب زملاء في المجمع ـ الذي كان عضوا فيه: «أيها الأخوة الكرام: حيّاكم الله وبيّاكم، وأدامكم وأحياكم، وأبقاكم للعـروبة تصـونون عـرضـهـا، وتسـتـردون قـرضـهـا، وللغـة العرب تجـمـعـون شـتـاتهـا وتحيون مواتها، وترعون على تجهم الأحداث وسـفـه الورّاث متـاتهـا، ولهـذا المجمع تعلون بنيـانه وترفـعـون على العـمل النافع أركـانه» (ص:٢٣٠).

كـتـاب (في قلب المعـركـة) إضـاءة جـديدة لجـوانب في فكر (الإبراهـيـمـي) ومـواقف «جمعيـة العلماء المسلمين الجزائريين» ودورها في ثورة التـحـرير، كـمـا يتـوفـر على عناصـر ذات أهمـيـة كـبـيـرة في كـتـابة تاريخ الثـورة الجـزائرية، الموضـوع الذي لا يزال وسـيـبـقى جـديرا بالبـحث والتـقـصي والتـأمل والفـرز والتقييم.

وإنيّ لعلى يقين تام أن فكر الشيخ (محمد البشير الإبراهيمي) القومي: مؤثرات وآثارا، منطلقات ومقاصد: لا يزالُ في انتظار جهد كبير، لكن من باحث متأن في إنجاز جامعي (أكاديمي) ينير تلك الجوانب: من واقع حياة الرّجل وآثاره التي نتمنى ألا يتأخر باقيها عن النشـر، مـهـمـا قلّت مـادتهـا، وضـعف شـأنهـا العام: تاريخـيـا، وفكريا، وفنيا: تيـسيرا على البـاحـثين، ثم: إنصـافـا للرّجل ولرعيله ـ في زمن قل الإنصـاف فـيـه وكـبـر الجـحـود ـ وإنصـافـا لمرحلة تاريخية من نضـال الجزائر القـومي، وجـهـادها: دفـاعـاً عن هويتـهـا وانتـمـائهـا الحـضـاري، وقوفـا بإباء في وجـه المسخ الأوروبي، ومحاولاته الشرسة للهيمنة: لغة وفكرا وقيما.

## ٣٠

# الشاعر الكبير



كنا في عهد الطلب نسمع اسم أحمد الكاشف مقرونا باسم أحمد محرم، كما يقرن اسم شوقي بحافظ، وهم جميعا من تلاميذ مدرسة البارودي الشعرية التي جددت الشعر ورفعته من هذه الركاكة الى ذروة القوة الآسرة بحيث أصبح هذا العصر بفضل هؤلاء وزملائهم من أخصب عهود العربية، وأرقاها، لذلك كان الناشئة من زملائي يحرصون على استظهار روائعهم في ثقة واطمئنان.

ولم أر منْ هؤلاء شوقيا وحافظا ومحرماً رأى العيان، ولكنّ الحظ السعيد قد أتاح لي زيارة الشاعر الكبير الأستاذ أحمد الكاشف على غير انتظار، كما أتاح لي زيارة مطران ورب صدفة خير من ميعاد.

كنتُ أحفظ كثيرا من قصائد الكاشف التي ينشرها بجريدة الأهرام، وأكثرها ذات طابع سياسي، لأن للشاعر هوى خاصاً مع بعض الأحزاب عن اقتناع، لا عن انتهاز، ولكل إنسان أن يميل حيث يطمئن، فكان يرسلُ شعره المؤيد لزعماء الأقلية، مجافياً زعيم الأمة الذي جمعت عليه الأكثرية، ومع هذا فلشعره سيرورة ونباهة لأنه يمتاز بالصدق، ويتجافي المبالغة، ويجلس مجلس الناصح من ممدوحه، يقترح عليه الرأي ويحذره التورط، فالرجل ناصح مشير لا مصفق هتاف.

احمد الكاشف

وكنت قد قرأت الجزء الأول من ديوان الكاشف، فأعجبت بمقدمته النثرية الطويلة أكثر من إعجابي بشعره في الديوان الأول إذ أصدره في عهد اليفاعة المتطلعة قبل أن يستوى علي سوقه ويستحصد، كانت المقدمة تحمل براءة كبراءة الأطفال، حين يتحدث الشاعر عن صباه الأول، فيذكر إخفاقه في الامتحان المدرسي وهروبه من الكتّاب، وضيقه بمواد الدراسة، وليس في هذا ما يؤاخذ فبرنارد شو أكبر أدباء الانجليز لعهده قد اعترف بمثل ما اعترف به الكاشف، ولكن خيال الشاعر لدى الكاشف، كان يخلق له أوهاماً من أوهام البطولة المستحبة، فيرى نفسه قائداً يحكم الجنود تارة، وقاضياً يأخذ الحق من الظالم للمظلوم تارة أخرى ويندفع لتحقيق ما يتخيله فيُصاب

بالعاقبة المنتظرة، وهي عاقبة لا يسترها الشاعر عن قرائه بل يسجلها في المقدمة محتفلا مؤكدا، وهو بذلك يمتع قارئه بصراحته أكثر مما يمتعه بقصائده، وأدب الاعتراف ذائع مشهور، ولكن الكاشف لم يتعمد الاعتراف ليضاف إلى من أبدعوا في هذا المجال، بل ترك نفسه على سجيتها، متدفقا مع خواطره كما تجيش فى صوره دون تنميق أو اختيار، ومقدمته هذه تذكرني بمقدمة شبلي ملاط لديوانه لأن النبع ولد عند الاثنين، براءة وحماسة ووثوقا بالنفس عن رغبة وطموح.

يذكر الكاشف من مواقف الصبا هذه أن قريته الصغيرة تحدثت عن مروءة شاب شجاع رمى بنفسه في البحر المتلاطم لينقذ طفلين أوشكا أن يغرقا فى الطوفان، فعزم على أن يأتي بأمر مماثل، ثم واتته الفرصة حين علم أن امرأة من نساء قريته أهينت بالضرب فى قرية مجاورة، فجمع عدداً من الصبية ممن هم فى سنه، وسلحهم بالعصى والهراوات وتقدم بهم إلى القرية المعتدية ليهجم على أناسها الكثيرين، وكانت النتيجة أن سقط الجيش المغير في أيدي خفراء القرية، ونال من التأديب ما يستحق، ولولا أنهم أحداث لواجهوا حكم القضاء.

وموقف آخر دونه الشاعر ذاكراً أنه علم أن شاهد زور شهد في مجلس القضاء شهادة آثمة، فرأى أن يقوم بتأديبه وجمع نفرا من تلاميذ مدرسته، وهجموا على الشاهد فأوسعوه ضرباً ومهانة وأخذ يستجير ولا من مغيث، وكانت العاقبة مأمونة، لأن الرأى العام في القرية كان معجبا ببطولة الكاشف وزملائه، فحبذوه واستفاض له ذكر بالحمية والبسالة! كما كان هذا الرأي العام ضائقاً جد الضيق بإثم شاهد الزور وجرمه الشنيع.

طرائف كثيرة تدور هذا المدار، ومنها ما يتعلق بمجابهة المدرسين في المدرسة، ومشاكسة أدعياء العلم من ذوي السمعة البراقة، وهي كلها تجعل المقدمة مصدر ترفيه لقارئها، ولعلها كانت دافعي إلي الإعجاب بالشاعر وتتبع قصائده، وبخاصة حين أصبح من كبار شعراء عصره، وصارت الصحف اليومية وفي مقدمتها الأهرام والبلاغ والسياسة تنشر قصائده في الصفحة الأولى منوهة شاكرة!

أمّا لقائي به، فقد سمح به الدهر مرّة واحدة على غير انتظار، إذ كنت ذات صباح في دار الإخوان المسلمين بالحلمية سنة ١٩٤٦ قبل رحيل الشاعر إلي مثواه بعامين، فسمعت الأستاذ عطية الشيخ ، وكان إذ ذاك مدرسا باحدى المدارس الثانوية يقول لجار له، إنه مضطر للاستئذان لأنه على موعد للذهاب إلي (القرشية) ليقابل الشاعر الكبير الأستاذ أحمد الكاشف، فلم أتمالك أن تقدمت للأستاذ عطية، وليس لي به صلة ما، أسأله كيف السبيل الي رؤية الشاعر الكبير؟ فابتسم الرجل في ودّ وبشاشة لم أتوقعهما، وقال: هيا، فصديقي الأستاذ الضبع خارج الدار، ومعه عربته الخاصة، وسنذهب نحن الثلاثة إذا أردت! قلت إنها فرصة حبيبة، موفقة لا أستطيع القيام بشكرها، فشدّ الرجل الكريم على يدي وصحبني.

بقلم : أ. د. محمد رجب البيومى
- المنصورة -

دار الحديث في الطريق عن الشاعر، فعلمت من الأستاذ عطية أنّه يعانى من أعباء الشيخوخة، ويشكو انقطاع الزملاء والتلاميذ عن زيارته، حتى أصبح فى وحدته غريباً بين أهله، وفي ساعات يغلبه اليأس فيتصور أن جهده الأدبي قد ضاع على مدى خمسين عاما حفلت أمهات الصحف فيها بروائعه، وأن هذه الزيارة ضرورية لمن كان يحس إحساسه، هنا أخذت أجمع فى ذاكرتي ما أعرف من روائع

الشاعر. وما أعلم من مواقف فتوته ومروءته، وقلت إذا أذن الله ووجدت الاستعداد الطيب من الشاعر وزواره، فسأفيض عليهم بما أجعل الرجل الكبير يعلم أن شعره طيَّ الصدور، وأن أبناء الكليات بالجامعة يرددونه ويتدارسونه، وأنه يقرن بشوقي وحافظ ومطران ومحرم، وأن شعراء اليوم من أمثال الأسمر وغنيم ومحمود حسن اسماعيل وناجي وعلي محمود طه من تلاميذه، وهم يذكرون له فضله الكبير. كان الشاعر على علم بالزائرين، فقد تحدثنا إليه تليفونيا، لذلك وجدناه في غرفة الاستقبال المتواضعة، يلبس جلبابه الأبيض، وعليه عباءته الصيفية، وبيده عكازه الذي يتوكأ عليه، ولا أكتم القارىء أني فجعت حين رأيته بين أنياب الكبر كطائر جريح، فقد كنت أعرف صورته تتصدر الصحف مليئة بالشباب، ناطقة بالفتوة، في عينه مضاء، وله شارب أثيث، وفي سيمائه صلابة واعتداد، حتى لقد تخيلته فارس ميدان، لا طائر دوحة! فلما صدمني الواقع بلعتُ ريقي آسفا.

اختصني الشاعر بالحديث بدءاً، إذ كان لا يتوقع مجيئي، فقال حين جلسنا: مرحباً بالشاعر الشيخ، وكنت ألبس العمامة والكاكولة، فقلت، أما شيخ فنعم، وأما شاعر فأنا تلميذ صغير للكاشف الكبير! ضحك الشاعر وقال: في الأزهر أساتذة كبار فكيف أكون تلميذك!؟ فأجبت، إننا جميعا في كلية اللغة العربية نحفظ شعر الكاشف فهو قريع شوقي وحافظ ومطران، ومحرّم! لقد كان (موسم الشعر) الماضي يجمع أكثر شعراء مصر، ولم يكن فيهم من فاق، الكاشف، حيث كانت قصيدته عروس الموسم، هنا قال الأستاذ عطية: لن نتكلم نحن يا مولانا، لأن هذا الزائر النبيه لديه أكثر مما نقول، فقال الكاشف، وأنا أحب أن أسمعه!

قلت: وكان في خاطري أن تكون زيارتي مصدر سرور للرجل، إذ وقع في روعي أن رواية شعره والإشادة بمكانته قد تذهب بعض ما يعاني قلت: حين مات الزعيم محمد محمود رثاه مطران ومحرم والجارم والعقاد، ولكن قصيدة الكاشف كانت ذات رنين مؤثر! هنا مدّ الرجل يده إلى يدي، وقال يا أخي مطران ومحرم أفضل مني بكثير، وأنا أكن لهما من الإجلال مالا تعرف، يكفي أن أذكر معهما! جئت بشاعرين كبيرين جدا، لا أفوقهما بحال. قلت: إني لا أزال أحفظ قول الشاعر الكاشف في الراحل الكبير:

***تلقيت أنباء الشفاء مريحة***
***فلم أمس حتى جاءني النبأ الصعبُ***
***فنحت وناح الطير حولي وماج بي***
***مكاني وغاض الماء والتهب العشب***
***خلا منك بيت المجد والفضل والندى***
***ونادى المعالي أم خلا الشرق والغرب***
***وضمك داج في ثرى الأرض موحش***
***وكم ضاق عن آمالك العالم الرحب***
***أطوف به مستروحا من عبيره***
***وقد صبحته من بواكرها السحب***
***ولو كان جثمان العظيم كنكره***
***لما نال من جثمانك الطاهر الترب***
***أحن إلي الماضي وما هو راجع***
***وقد سار بي فيما أحاذره الركب***
***كأني حادي الظاعنين يمر بي***
***بلا رجعة سرب، ويتركني سرب***

* تهلل وجه الشاعر وقال لقد قلت أروع ما في القصيدة، وأنت فيما أرى راوية كبير فهل تحفظ شيئا مما قال محرم في هذه المناسبة.

قلت أحفظ لمحرم قوله:

***من لي بملء المشرقين بيانا***
***وبما وراء النيرين مكانا***
***رمت الرثاء فما ظفرت بمنبر***
***يسع الرثاء ولا وجدت لسانا***

* ومن أنفس ما قال قوله:

***لما سقوه النفي مُرّا طعمه***
***وجدوه حران الحشا ظمآن***



شوقي








حافظ

احمد محرم



خليل مطران

***لذت مـــــذاقـــــتـــــه فلولا أنـه***
***جم الوقـــار طوى المدى نشـــوانا***

* فقال الكاشف، هذان البيتان استوقفاني كثيرا، وأنا أقرأ قصيدة محرم، وقد نشرت مع قصيدتي في صدر جريدة البلاغ، وبيني وبينه من الود مالا يعصف به الموت لأن محرما انتقل الى رحمة الله، وهو أوسع مني ميدانا، إذ اقتصرت في الأغلب على الشعر السياسي، أما هو فقد تكلم في كل غرض، وراح بائساً معذبا، مع إباء نفس، ونزاهة ضمير. قلت: هذا ما أعلم، وقد تحدثت عن محرم، فما علاقتك بشوقي وحافظ ومطران؟

قال الشاعر أجدني متفتحا للحديث معك على غير عادتي! لقد عاداني شوقي كثيرا مستمعا لأرباب الوشايات، وقد أقيمت له حفلة تكريم بقريتي، أقامها كبير وجهائها محمد شوقى الخطيب بك، وقد دعا فيها من كرموا شوقي في القاهرة وأهملني وأنا جاره القريب، ثم علمت أن شوقيا قد أشار بإهمالي، فتأثرت وعاتبته بقصيدة نشرتها بالأهرام، وحين مات نسيت مواقفه ورثيته صادقا مخلصا لأنه أنبغ من قال الشعر من أعلامه المعاصرين! أما حافظ فصديق أنيس لم أشهد منه ما يريب، وكان لا يضنّ بالثناء الجم على زملائه، ويسعى في قضاء مآربهم قدر ما يستطيع، وأنا ليست لي مآرب، فلم أكلفه شيئا، ولكني أحمل له الود الجم، وقد رثيته مرّتين الأولى عند رحيله، والثانية في حفل أقيم لإحياء ذكراه بعد سنوات من وفاته، ومطران أبقاه الله وحفظه من أحسن من رأيت إخلاصا ومروءة، تحدث عنى مقرظا مادحاً على غير معرفة، وأذكر أنه قال عني مشكورا، «ناري المزاج، زئبقي الخاطر، فخور، لم أعاشره، ولكني طالعت أخريات قصائده فإذا هو ناصح ملوك، وفارس هيجاء، ومقرّع أمم على التقصير، ومرشد الحيارى في مختبط السياسة! لقد قال الرجل كثيرا فأحسن الله إليه كل الإحسان!

قلت: لقد قرأت كلام مطران، كما قرأت مطارحاتك الكثيرة مع محرم، وقرأت مدحتك للخديوى عباس التي عاتبته فيها عتابا شديدا على اختصاصه بشوقى وحده، وعدم التفاته إلى غيره من الشعراء! فابتسم الرجل وقال: ذكرتني، لقد كانت هذه القصيدة أسَّ البلاء مع شوقي، فلم ينسها، مع أنى مدحته فيها، وقلت: إن له زملاء يشاركونه الفضل، فكان هذا كثيرا فى حقه، إذ يؤثر أن يكون وحده!سكت، حيث تناول الأستاذ عطية الشيخ شعر شوقى بالتحليل المعجب، وتطرق القول إلى مناهج من السياسة الداخلية والعالمية، وقضية الوحدة العربية، وكان الكاشف فارس القول في كل اتجاه، وقد انقلب متحمسا متأثرا، كعهدنا به في قصائده، ثم حان الرحيل فودّعني الشاعر باحتفاء كبير لم أكن أتوقعه، وقال لي الأستاذ عطية ونحن راجعون، لقد كان وجودك ضروريا، سعد الشاعر بك كما سعدنا به جميعا.

من وجوه الثقافة

# الشعبي: فقيه الكوفة الظريف

إياد فرعون - سوريا -

أسند الشيخ الهزيل ظهره برفق إلى أحد أعمدة مسجد الكوفة، تنحنح بهدوء ثم رفع رأسه وراح يتفرَّس في وجوه الرجال الذين تحلَّقوا حوله وقد تعلقت انظارهم بوجهه المنهك الذي بدت عليه آثار السنين وسيماء الساجدين الصالحين.

هيَّأ البعض قراطيسه واشرأبَّ البعض الآخر بعنقه محاولا الظفر بنظرة من خلال زحام الرؤوس. وصمت الجميع فيما عيونهم تلحّ على الشيخ بالحديث.

بدأ الشيخ بإلقاء درسه، وكان حول احكام الصوم، فقال: نُقل عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قوله: «تسحروا ولو أن يضع احدكم اصبعه على التراب ثم يضعه في فيه» صمت الشيخ برهة يلتقط أنفاسه ثم همَّ باستئناف كلامه فإذا برجل من الجالسين يسبقه بالسؤال قائلا: أيُّ الأصابع تعني؟.

نظر الجُلاس بضيق إلى هذا السائل الذي بدت على محيّاه سيماء الحمق وملامح البلاهة، وقد همَّ بعضهم بتعنيفه على هذا السؤال البليد، لكنّ الشيخ كان أسرع منهم جميعاً، فقد ابتسم وتناول إبهام رجله وقال: هذا، فضج الجميع بالضحك فيما اطرق السائل خجلا. هل عرفت من هو هذا العالم الفكه الذي أُشْهرَ بالظرف وحب الدعابة ولطف المعشر؟ إنه الشعبي فقيه الكوفة وعالمها الكبير الذي اجاد التظرف والممازحة اجادته لعلل الحديث ومبهم القرآن ودقائق الفقه، فكان بحق من الشخصيات القليلة التي انصفت الفقهاء ودفعت عنهم تهمة العبوس والتجهم التي يأبى البعض إلا أن يلصقها ظلماً بكل فقيه وعالم. ولكن قبل أن نلج عالم الظرف والدعابة في حياة الشعبي لنقترب منه أكثر ولنتعرف عليه فقيهاً وعالماً.

## الشعبي الفقيه:

هو أبو عمرو عامر بن شراحيل، راوية في التابعين جليل القدر، وافر العلم ولد وعاش ومات في الكوفة (١٩ - ١٠٣هـ)، دأب في شبابه على ملازمة العلماء وارتياد مجالس العلم حتى نال نصيباً عظيماً من العلم والفقه معتمداً في ذلك على «صبر كصبر الحمام، وبكور كبكور الغراب والسير في البلاد» على حد تعبير الشعبي نفسه[١] وقد طار صيته في الآفاق حتى أصبح علماً من أعلام الفقه، ومضرب المثل في العلم والحفظ، وقد قال فيه ابن عيينة «علماء الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه»[٢]. وتحفل كتب الطبقات والتراجم، ومراجع الفقه والعلوم الشرعية باجتهادات الشعبي وفتاويه العلمية وشهادات معاصريه فيه، أما الرواة ومصنفو الكتب الأدبية فقد كان لهم شأن آخر مع الشعبي، إذ شغلهم ما عُرف عنه من ظرف وحب للدعابة، فراحوا يتسابقون في جمع أخباره وتتبع نوادره وتدوينها في صدر كتبهم، فإذا نحن أمام رجل خفيف الظل ظريف الطبع، فكه الأخلاق، استحق أن يزاحم أعلام الفكاهة الرصينة في أدبنا العربي، فمن هو الشعبي الظريف؟.

## الشعبي الظريف:

«فرح الشعبي يوماً فقيل له: يا أبا عمرو أفتمزح؟ قال: إن لم يكن هذا، متنا من الغم»[٣].

بهذه الكلمات المعدودة اوجز الشعبي فلسفته في الضحك والفكاهة، فالضحك ليس هزلا يحطُّ من قدر الانسان، أو عيباً يشين صاحبه ويذهب بوقاره، بل هو حاجة فطرية لا تستقيم الحياة دونها، وما أقسى الحياة وأضجرها إذا لم تتخللها ساعات من الضحك والفكاهة يروح الانسان بها عن نفسه، ويدفع ما يطرأ عليه من هم

وغم. انطلاقاً من هذا الفهم الانساني للضحك مزح الرسول [صلى الله عليه وسلم] ومزح الصحابة والتابعون والعلماء والفقهاء، بل كان منهم من نافس ظرفاء العرب فكاهة ونادرة كالاعمش، وابن سيرين، وفقيهنا الظريف الشعبي. ويمكننا أن نقف على أخبار الشعبي ونوادره في عدد من كتب الأدب يأتي في مقدمتها: نثر الدر للآبي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والمراح في المزاح لمحمد الغزي، وأخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي، والبصائر والذخائر لابن حيان التوحيدي، وغيرها. وإليك بعض ما اخترناه من نوادر هذا العالم الظريف :-

بينما كان الشعبي في مسجد الكوفة إذ أقبل رجل فقال: يا شعبي، إبليس كانت له زوجة؟ قال: نعم له زوجة، فقد قال الله عز وجل: {أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو}[٤] ولا تكون الذرية إلا من زوجة. قال الرجل: فما كان اسمها؟ قال: ذاك نكاح ما شهدناه.

- قيل للشعبي: هل تمرض الروح؟ قال: نعم، من ظل الثقلاء.

قال بعض أصحابه: فمررت به يوماً وهو بين ثقيلين فقلت له: كيف الروح؟ قال: في النزع.

- سُئل الشعبي عن مسألة فقال: لا أدري. فقيل له: أما تستحي أن تقول لا أدري وأنت فقيه العراق؟ قال: لكن الملائكة لم تستح إذ قالت: {سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا}[٥]. - دخل الشعبي الحمَّام فرأى داود الأودي بلا مئزر، فغمَّض عينيه، فقال له داود: متى عَميت يا أبا عمرو؟ قال: منذ هتك الله سترك.

- كان الشعبي ضئيلا نحيفاً، فقيل له: ما لنا نراك نحيفاً؟ قال: إني زُوحمت في الرحم (وكان الشعبي قد وُلد هو وأخ له في بطن واحد).

## فتاوى فكهة:

الفُتْيا وظيفة هامة، ومسؤولية دقيقة تتطلب علماً وذكاء وسعة أفق والأصل أن يكون المستفتي جاداً في سؤاله، حريصاً على تحري الحكم الشرعي، ولكن قد يكون المستفتي في بعض الحالات عابثاً يرمي بسؤاله احراج المفتي، أو هازلا لا يقصد إلا المزاح والهزل، أو ربما كان خفيف العقل، محدود الفكر، فيستشكل أموراً سخيفة لا طائل من ورائها، فكيف يكون رد المفتي في مثل هذه المواقف؟

ربما ينفعل بعض فقهائنا، فيعنِّفون الهازل، وينهرون العابث، أو يعرضون عن الجاهل الأخرق في غيظ، لكن الشعبي لم يكن من هذا النوع، بل كان يرد على السائل بجواب لاذع مسكت أكثر هزلا وأمضى سخرية معتمداً في ذلك على ما طُبع عليه من ظرف وذكاء وسرعة بديهة.

ويعتبر الجواب المسكت باباً من أبواب الفكاهة في الأدب العربي، برع فيه عدد من ظرفاء العرب المعروفين من أمثال أبي العيناء، وأبي الحارث جُمَّين، وأبي نواس، والجمَّاز، بيد أن الشعبي كان من المتميزين في هذا الفن، فقد نأى بنفسه عن الأجوبة الجارحة البذيئة التي عُرف بها بعض رواد هذا الفن خصوصاً أبي العيناء، مؤسساً بذلك مذهباً خاصاً في الدعابة ينسجم ومكانته العلمية والفقهية على نحو ما نجده في هذه الفتاوى الفكهة:

- سأل رجلٌ الشعبي عن المسح على اللحية في الوضوء فقال: خلِّلها بأصابعك. فقال: أخاف ألا تَبُلَّها، قال الشعبي: إن خفت فانقعها من أول الليل.

- سأله آخر: هل يجوز للمحرم أن يحكَّ جسده؟ قال: نعم. قال: مقدار كم؟ قال: حتى يبدو العظم.

- سأله رجل فقال: هل أُسلِّم على القوم وهم يأكلون؟ فقال: إن أردت أن تأكل معهم فسلِّم.

- سُئل عن لحم الشيطان فقال: نحن نرضى منه بالكفاف.

- وسأله آخر عن أكل الذُبَّان فقال: إن اشتهيته فكُلْه.

- مرَّ بالشعبي رجل فقال له: أصلحك الله، إني كنت اصلي فأدخلت إصبعي في أنفي فخرج عليه دم، أترى لي أن احتجم؟ فقال الشعبي: الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة.

- وسأله رجل: ما تقول في رجل شتمني في أول يوم في شهر رمضان، أتراه يؤجر؟ قال الشعبي: إن قال لك يا أحمق رجوت له ذلك.

---

**الهوامش:**

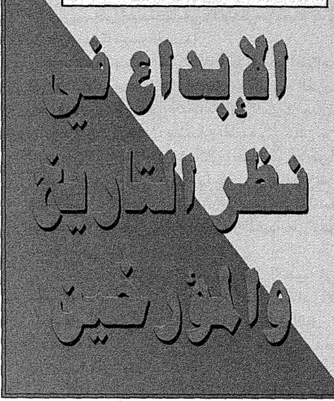
١ - سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي - تحقيق: مأمون الصاغرجي وشعيب الأرنؤوط - بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢: ١٩٨٢، ج٤، ص٣٠٠.

(٢) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي - بيروت: دار الكتب العلمية، ج١٢، ص٢٢٩.

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس: القرطبي - تحقيق: محمد مرسي الخولي - بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢: ١٩٨١، ج٢، ص٥٦٨.

(٤) الكهف: ٥٠.

(٥) البقرة: ٣٢.




اهتم كثير من المؤرخين بتطور حركة الإبداع الفكرى، مشاركين غيرهم من المتخصصين في العلوم الأخرى، ولم يقف اهتمامهم بها عند حد رصدها باعتبارها ظاهرة تاريخية فقط بل تعداه إلى ضرورة الإلمام بأبعادها باعتبارها حركة شغلت جموعا من المثقفين المسلمين منذ منتصف القرن التاسع عشر، كما أنها - كإشكالية ثقافية - كانت ومازالت تؤثر على التكوين الثقافي للعقل العربي المعاصر، إلي جانب تأثيرها على كثير من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وتعود جذور هذه الإشكالية الثقافية على الساحة العربية الإسلامية إلى مطلع القرن التاسع عشر متمثلة فيما خلفته الحملة الفرنسية على الشرق العربي من آثار فكرية، ثم تبعتها البعثات العلمية إلى أوربا والتى أسهمت في اتساع حركة النقل والترجمة عن كثير من جوانب الحضارة الغربية.

وعلى الرغم من انبهار - أو استسلام - بعض كوادر البعثات بما وصلت إليه الحضارة الغربية من تقدم في العديد من المجالات وجمود أو تخلف بعض الجوانب المقابلة في رصيد الحضارة الإسلامية إلا أنهم ظلوا حتى نهاية القرن التاسع عشر لا يمثلون - في الغالب - ظاهرة تقف موقف التحدي للاتجاه الفكري السائد وهو الاتجاه الإسلامي.

وإذا كان وقوع كثير من البلاد العربية تحت الاحتلال الانجليزي والفرنسي وغيرهما قد أسهم في تقوية الاتجاه الداعي إلى الأخذ عن الحضارة الغربية فإن وجود الاحتلال فى حد ذاته كان مستفزا لكثير من أتباع التيار الفكري المحافظ حيث لم يعتادوا منذ العصر الإسلامي أن يحكمهم غير مسلم «كافر»، ولم يكونوا على استعداد لقبول فكره مهما كانت فوائده وجوانبه المضيئة بقدر عدم قبولهم لوجوده وحكمه، واعتبروا أن مقاومة الاتجاه الداعي إلى الأخذ عن الحضارة الغربية يعد نوعا من أنواع الجهاد في سبيل الله، أو الكفاح الوطني، لا يقل عن مقاومة وجوده العسكري.

وقد أدى هذا الدور للتيار المحافظ إلى

اتهامهم من قبل المروجين للتيارات الوافدة بالتخلف والجمود والرجعية، بل وربطت هذه التيارات بين قضية الإسلام السياسي «سياسيا» والاتجاه الأصولي «فكريا»، وكشفت دعوتها إلي لفظ كل ما هو قديم والاتجاه الكامل إلى الحضارة الغربية بحكم أنها مليئة بجوانب الإبداع.

واستتبع ذلك اتجاه مماثل للمفكرين المسلمين المحافظين فدعوا إلى ضرورة إحياء تراثنا الإسلامي وتلمس الطريق الى الإلمام بجوانبه الإبداعية أو الداعية للإبداع، كما دعوا في نفس الوقت إلى لفظ كل ما هو وافد وإلى الربط بين النتاج الحضاري الأوربي وبين جذور الصراع المتجدد بين الشرق والغرب في صورته الدينية القديمة والحديثة.

واتجه بعض المفكرين إلى اعتبار أن لكلا التيارين، تيار الأخذ الكامل عن الحضارة الغربية والتيار الأصولي الذي يتجه إلى إحياء التراث، لكليهما سوءاته وسلبياته التي تزيد عما له من فوائد، حيث رأوا أنهما تياران تبعيان يدعوان إلى اتباع الغير قديما وحديثا دون العناية بتيار ثقافي إبداعي يجسد الولاء وينميه وتبدو من خلاله الشخصية الثقافية المستقلة ويراعي الظروف الزمنية والبيئية.

وحتى التيار الثالث التوفيقي والذي حاول أن يربط بين جذور التراث الإسلامي وبين المنجزات البارزة في الحضارة الغربية فإنه لم يسهم في حل هذه الإشكالية الثقافية بل ربما أسهم في اتساعها وذلك لكونه قد سار في فلك التبعية هو الآخر ولكن بين قطبين متنافرين من جهة، كما أنه - مثله مثل التيارين السابقين - قد أسقط حساب الزمن والمؤثرات البيئية والمرحلية من ناحية ثانية، وكذلك لكونه - في رأى البعض - محاولة يمكن اتهامها بإجهاض المساعي الابداعية لاقتصاره على استلهام النماذج من كلا التيارين المتنافرين من ناحية ثالثة.

بقلم:
د. زكريا سليمان بيومي
كلية البنات - جدة

وكان من الصعب على المؤرخين تفسير العديد من الظواهر الاجتماعية والثقافية التي صاحبت هذه القضية دون الوقوف على طبيعة هذه الإشكالية وتطورها، ولعل متابعة الأحداث في تاريخ مصر فيما بعد الحرب العالمية الأولي يعد نموذجا واضحا لذلك. ففي الوقت الذي سايرت فيه الجامعة المصرية التي أنشئت سنة ١٩٢٥م الاتجاه الليبرالي في تبني فكرة الأخذ الكامل عن الحضارة الغربية وتخريج كوادر في هذا الاتجاه وتدعيمها بكوادر البعثات العلمية إلي دول أوربا كانت الجامعة الأزهرية تزيد توغلا في التراث القديم وتزيد من التركيز على

المناهج الأصولية، وكذلك الصحف ذات الاتجاه الإسلامي، وأسهمت في مجموعها في تخريج كوادر أكثر سلفية عما قبلها.

وأسهم ذلك أيضا في خلق عادات وتقاليد اجتماعية جديدة على المجتمع المصري هي في مجملها مرفوضة في مجتمعنا الاسلامي وبالطبع كان لكل هذا أثره على الشباب حيث صادفت هوى فى نفوسهم وأغرتهم على التمرد على كل ما هو قديم والاستخفاف بالعادات الموروثة حيث لقي في هذه العادات إرضاء لنزواته فأقبل على تعلم الرقص مع الفتيات كي يجاري في عاداته أبناء الجاليات الأجنبية، وتنافس الأغنياء على استجلاب الأدوات المنزلية الحديثة ووسائل الترف من أوربا وعلى إرسال أبنائهم للتعلم في دول الغرب مباهاة بالقدرة على الإنفاق.

وبقدر ما كان التوغل في الأخذ عن الحضارة الغربية يدفع أصحابه لرفض جوانب التراث ومهاجمته وكان يعبر عن عدم فهم هذا الجناح لما يمكن أن يفيد فيه التراث كان رفض التيار الأصولي للأخذ عن الحضارة الغربية ومهاجمتها عند بعض المحافظين تعبيرا عن عدم فهم للجوانب المضيئة في هذه الحضارة. كما أن كلا التيارين قد رفضا أتباع التيار التوفيقي، وبالتالي فإن ذلك قد أسهم في أن يسير التياران الرئيسيان في خطين متوازيين أو متنافرين حتى الآن، وحولهما تتشكل أزمة الثقافة التى تعكس أبعاد التطرف وتسهم فيه في مصر المعاصرة.

وقد رأى بعض المفكرين أن العقم الثقافي أو الفكري هو النتيجة الطبيعية لتيارين اتباعيين - قديم وحديث - فكلاهما يتبع غيره وعالة عليه ولا يُعمل عقله في الاستفادة بكليهما، وأن القضية ينبغى أن تصبح صراعا بين إتباع - تمثله هذه التيارات - وإبداع يمثل إعمال العقل بعد فترة استيعاب وصهر ثقافيين.

على أن ما ينبغي على هذا الفريق من المفكرين إدراكه هو أن السعي إلى إحياء التراث لا يعنى الوقوف عند حد استلهام النماذج المضيئة منه فقط، فبقدر نجاح المؤرخين في وضع أيدينا على هذه النماذج إلا أنهم وضعوا أيدينا كذلك على جوانب هامة يمكن اعتبارها من أهم أسس الإبداع فى تاريخنا المعاصر. فقد أمكن للمؤرخين المسلمين أن يوضحوا الكثير من القوالب أو المناهج أو الأحكام العامة التى تعين على الاجتهاد وتحض عليه وإلى إعمال العقل ووفق معايير ثابتة ترتكز على مفهوم ثابت للقيمة الأخلاقية المستمدة من الدين الإسلامي. وأدرك

كثير من المفكرين والمؤرخين الأوربيين قيمة هذه الأحكام والمناهج حين قاموا بالبحث عن جذور ظواهر الاضطرابات النفسية والاجتماعية والسياسية التي امتلأت بها الساحة الاوروبية عبر مراحل التاريخ الحديث والمعاصر، حيث أدركوا أن القوالب والمناهج والاتجاهات الإبداعية ترتكز على مفهوم متغير للقيمة الأخلاقية لكونها تعتمد على مبدأ المصلحة، وهو مفهوم متغير، وبالتالى تظل محدودة القيمة بالنسبة لخير الإنسان والإنسانية.

كما أن الكثير من الجوانب الإبداعية التي بهرت البعض من مفكرينا في الحضارة الغربية قد تأثرت - إن لم تكن قد نقلت - من المنهج الإبداعي المأخوذ من تراثنا الإسلامي وهو ما تؤكده الحقائق التاريخية وأن ذلك ليس قاصرا علي منهج بعينه، فهناك جوانب إبداعية إسلامية فى الطب والأحياء والفلسفة وغيرها لم يكن من الممكن للحضارة الأوربية أن تبنى أو تقوم دون الإلمام بها أو الأخذ منها.

وفي ميدان الدراسات التاريخية فإن منهج البحث الإسلامي الإبداعي الدقيق أسبق من غيره من المناهج في هذا العلم، ويكفى أن نوضح التزام المؤرخ المسلم منذ عصر صدر الإسلام وحتى الآن بمنهج أهل الحديث في تحرى المعلومة والتحقق من صدقها وتوخى الصدق في تحليلها وبذل الجهد في الحصول عليها. بل وهناك حقيقة ثابتة في المنهج الإسلامي لم يصل من يتصفون بالإبداع إلى أكثر منها حتى الآن وهي «الحقيقة ضالة المؤمن يبحث عنها أنى وجدها»، فنقلت بالنص عند فلاسفة التاريخ «الحقيقة ضالة الباحث يبحث عنها أني وجدها».

وقد خلفت هذه المدرسة الإبداعية العديد من المؤرخين عبر مراحل التاريخ الإسلامى كالطبرى وابن الأثير وابن تغرى بردى، ولعل من أبرزهم العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذى يعد أساسا ارتكز عليه الباحثون الأوربيون في علم الاجتماع وعلم التاريخ، ومازالوا يعتبرونه رائدا من رواد الحركة الفكرية حتى تاريخنا المعاصر.

ويمكن القول بأن التراث الاسلامي وعبر مراحل التاريخ مليء بجوانب الإبداع التى تصغر أمامها كثير من القوالب المنقولة من الحضارات المعاصرة، كما أنه قريب من فكرنا ونفوسنا وظروف بيئتنا، وعلى الأقل فليكن منه القالب الأساسي الذى نصب فيه جهودنا الإبداعية المعاصرة ونصهر فيه كل ما يمكن الإلمام به من كل جوانب المعرفة ومن شتى مصادرها.

# سرّ الزجاجة (٣)

بقلم: د/عبد الرزاق فراج الصاعدي
الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة -

**١٠ - معجم اللغويين والنحاة:**

لرجالات العربية من لغويين ونحاة مكانة خاصة في نفوس المثقفين في بلادنا، ولهم نكهة متميزة كنكهة العربية على لسان أعرابي في جبال الحجاز أو في صحراء نجد.

وجمهور اللغويين في بلادنا أدباء، وكثير من الأدباء لغويون، نحاة، والفريقان وجهان لكوكب واحد، فمنهم من يدور حول محوره بانتظام فيُرى وجهه اللغوي ووجهه الأدبي، فهو لغويّ تارة، وأديب أخرى.

ومنهم من هو كالقمر لا ترى منه إلا وجهاً واحداً، فهو يستر جانبه الآخر على الدوام.

وفي سمائنا من هؤلاء وهؤلاء الكثير، فمنهم من تراه فوقك في كبد السماء يشعّ بأزهى الألوان، ومنهم من تراه يتأهّب للغروب ويرسل ضوءه الأحمر الخافت ليُلامسَ فيك مكامن الوجد الدفينة.

ومنهم من تخدعك عيناك فتراه صغيراً لا يُعْبأ به لانزوائه في كبد السماء، وهو عملاق عظيم لم يُكْتَشف. وهكذا لا تخلو سماؤنا من النجوم والكواكب، إذا غرب كوكب أشرق آخر، وإذا سقط نجم بزغ نَجْم.

وقد شرعت منذ عامين في بناء «مرصد» سميته «معجم اللغويين والنحاة في المملكة العربية السعودية» فبحثت، وسألت ، وراسلت، فاستجاب من استجاب، وسوّف من سوّف، وسكت من سكت، ونسي من نسي، وها أنذا أشكر المستجيب، وأُذَكِّر الناسي، وأحث المسوّف ، وأرجو أن يتكلم الساكت.

**١١ - رحلة «تفيدة» إلى تركيا:**

يشيع اسم (تفيدة) في بعض البلاد العربية، وهو مما وقع في العربية من اللغة التركية، إلا أنه من أصل عربي، وهو «توحيدة» فأخذه الأتراك عن العرب، ولكنهم نطقوا الواو كما لو كانت (ڤ V) وأسقطوا الحاء لأنه لا يوجد في لغتهم، ثم أعيد تصديره إلينا، فقبلناه بصورته المعدلة المحرفة.

ومثله «مرْفَتْ» كلمة عربية مكية انتقلت مع الحجاج الأتراك، ثم عادت إلينا محرفة، فهي في الأصل «مروة» من الصفا والمروة، فقلبوا الواو فاء (V) ووقفوا على التاء، كما يقولون: حكمت وعزت وصفوت.

**١٢ - قصتي مع قصتي:**

أجهدت ذهني، ومزّقت الورقة تلو الورقة وأنا أخاتل الخيال، تهيّأت له عدّة شخصيات، راق لي منها رجل قوي مربوع القامة نصف شعره أسود، في الستين من عمره، تقاعد لتوه من عمله الجامعي، سمّيته: راجي.

وبينما كنت أعاني همَّ البداية، وأكدّ ذهني، وأكتب وأشطب إذ بطرق شديد على الباب! داخلني شعور ممزوج بالتعب والدهشة، إذ كانت الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل.

من عساه يكون؟

خلعت نظارة الكتابة ولبست نظارة المشي، ونهضت ففتحت الباب دون أن أنظر من الكوّة السحرية فيه، فإذا به رجل قوي مربوع القامة نصف شعره أسود!

قلت: من؟ راجي؟

ابتسم ابتسامة صفراء، وقال: هل أدخل؟

عقدت المفاجأة لساني، فكرّر الطلب بالدخول مرتين.

قلت تفضّل.

جلس القرفصاء في ركن المجلس، ولم يمهلني أن أتم مجاملات الترحيب، فقال: أرجو - قبل أن تكتب

قصتي - ألا تضعني في مواقف لا تناسب مقامي، فأنا استاذ جامعي وقد تقاعدت للتوّ حسب رغبتك أو حسب خيالك، مع أنني لم أزل قادراً على العطاء، وأنا أقوى منك كما ترى، فلا تجعلني في مواقف محرجة، ويكفي أنك جعلتني في هذا العمر الحرج، وكنت أتمنى أن أكون في غير تلك السن.

قلت: لن أتدخل في حياتك ياراجي، ولن أكتب من قصتك حرفاً واحداً من عند نفسي، بل أريدك أن تحكي خبرك بنفسك.

أريدك أن تحضر إليّ ساعة من نهار، وتملي ما تريد.

رضي بهذا الاقتراح ، وفرح به، ولا أخفيكم سراً أنني فرحت أنا - أيضاً - لأنه سيحمل عني مشقة التفكير في كتابة القصة، ولا أدري كيف يذهب بي الخيال!

وانتظرته في الغد في الموعد المحدد فلم يحضر.

وانتظرته في اليوم الثاني والثالث والرابع، فلما يئست منه عرفت أنه خدعني، وأنني أخطأت عندما وافقت على أن يروي هو قصته، وكان علي أن أمسك بزمام الأحداث، وأتحكم في مجريات حياته، كيفما أشاء أنا، أليس هو من اختراع أفكاري؟ والقلم قلمي أنا؟

**١٣ - ابن عقيل الظاهري:**

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري طود شامخ في اللغة والأدب، وقد أثرى الساحة بكتبه المتنوعة ومقالاته الغزيرة، ولقد قرأت كثيراً منها منذ أن توقد في قلبي حبّ اللغة والأدب، واستفدت مما فيها، وقد شرّق الشيخ وغرّب وأصعد وانحدر، وأخذت عليه أشياء في أصول اللغة وفروعها، أوشكت أن أخرجها في كتاب، ثم تراجعت إشفاقاً على نفسي.

وقد برِح الشيخ عنّي في المجلة العربية (العدد ٢٣٤) في لحظة فوران، فزلق به القلم يمينا وشمالا في قواعد صرفية معروفة، وتاه بين المتنحي والمتنحوي!

**١٤ - لسان الكبير:**

روى ابن جني عن أبي حاتم السجستاني أنه قال: قرأ عليّ أعرابي بالحرم: «طيبى لهم وحسن مآب» فقلت: طوبى ، فقال: طيبى، فأعدت فقلت: طوبى، فقال: طيبى؛ فلما طال عليّ قلت: طوطو، فقال: طي طي!!

وهذا يدل على ثقل لسان الكبير؛ لأخذ جهازه الصوتي وضعه النهائي على ما اعتاده في بيئته من طرائق الكلام في الأصوات والحروف والمخارج والغنن بخلاف الصغير الذي يتقبل ما يسمع، ويسهل عليه محاكاته؛ لطراوة جهازه الصوتي وصفاء ذهنه وتهيئه للاستقبال والاستيعاب والمحاكاة، ولهذا قالوا: العلْمُ في الصغر كالنقش في الحجر، ولهذا - أيضاً - يحرِص علماء التربية على نواحي التلقين الصوتية في عملية التعليم لدى الأطفال.

ولا أجدى في هذا الشأن ولا أحسن ولا ابرك ولا أعظم من تلقين الطفل القرآن.

**١٥ - المغربي:**

مات المغربي، محمد على مغربي، الأديب التاجر، والتاجر الأديب، لقد اطلعت في ملحق الأربعاء (٢ رجب ١٤١٧هـ) على جملة من مرثياته بأقلام عدد من الكُتّاب، فحرّك ما قرأته فيّ الخواطر ، وأبحرت في سيرته الذاتية، ميلاده، شبابه، حياته، كفاحه، علمه، أدبه، تجارته، مواقفه الإنسانية، إسهاماته الخيرية.. ثم وفاته.

لقد طُويت صفحة حافلة بالأحداث السارة والحزينة، مزيج من الكفاح والجهاد والصبر والعرق، طويت تلك الصفحة التي كان سطرها الأول سنة ١٣٣٢هـ وختم سطرها الأخير هذا العام ١٤١٧هـ.

هكذا يموت الإنسان..

يموت مهما بلغ من تحصيل العلم والمال والجاه والصحة، يموت، لابدّ أن يموت لتمضي سنة الله في خلقه.

يا لضعف الإنسان وحقارته، ويا لعظمته وجبروته!

إن العظيم من شاء أن يكون عظيماً.

الناس جميعاً يبحثون عن المكانة المرموقة، يبحثون عن السعادة، فمنهم من يفتش عنها في المال وسعة الرزق، ومنهم من يظنها في لذات الجسد الحسية ومنهم من وجدها في اللجوء إلى الله والرضا والقناعة.

لقد كان المغربي - رحمه الله - أديباً بارزاً في أدبنا السعودي المعاصر، وتاجراً معروفاً، واستطاع بعزيمته وصبره وبتوفيق الله له أن يجمع بين نقيضين لا يجتمعان، العلم والمال.




يقول الأستاذ محمد سعيد العريان فى كتابه حياة الرافعى تحت عنوان (مقالات منحولة).

في سنة ١٩١١ أصدر الرافعى كتاب (تاريخ آداب العرب) فتقبله الأدباء بقبول حسن، وكتبت عنه المقالات الضافية في كبريات الصحف، ولكن ذلك لم يكف الرافعى، ففي ذات يوم قصد إلى جريدة المؤيد، فلقى هناك صديقه المرحوم أحمد زكي باشا، فأهدى إليه كتابه، ورجاه أن يكتب فصلا عنه، فقال له أحمد زكي باشا «وماذا تريدني أن أكتب» قال الرافعي: تقول .. وتقول» فقال زكي باشا: اكتب ما تشاء، وهذا إمضائي! وجلس الرافعى إلى مكتب في دار الجريدة فكتب ما شاء أن ينسبه إلى صديقه فى تقريظ كتابه، ثم دفعه إليه فذيله باسمه ودفعه الى عامل المطبعة، وقرأ الناس في اليوم التالي مقالا ضافيا بإمضاء أحمد زكي باشا في تقريظ (تاريخ آداب العرب) شغل الصفحة الأولى كلها من الجريدة، ولكن أحدا من القراء لم يعرف أن كاتب المقال هو الرافعى يثنى على كتابه، ويطري نفسه.

ولهذه الحادثة أخوات مع زكي باشا نفسه، فإنه لما أنشأ نشيده - يريد الرافعي - «اسلمي يا مصر» قرأ القراء مقالا في الأخبار (أخبار أمين الرافعي) بإمضاء أحمد زكي باشا يثنى على النشيد، ويطري مؤلفه، ولم يكن كاتب هذا المقال غير الرافعي، بل إن أكثر المقالات التي يراها القاريء في الكتيب الصغير الذي نشره الرافعي عن نشيده هذا، هو من إنشائه أو إملائه.

وقد ظل هذا التعاون وثيقاً بين المرحومين

**د. أبو حسام**
المنصورة

**١٩١ - حب الثناء:**

يقول الشاعر:

**يهوى الثناء مبرِّزٌ ومقصر**
**حب الثناء طبيعة الإنسان**

وحبُّ الثناء لدى المبرّز موضع تساؤل، إذ له من تبريزه ما يغني عن المديح، ولكن أرباب الأقلام فى حاجة الى أن يشعروا بقيمة آثارهم الأدبية، فإذا سكت عنها الناقدون ألحُّوا في طلب النقد، وفيهم من يتجاوز الإلحاح الى الاحتيال، فيكتب الثناء عن نفسه، ثم يمهره باسم علم بارز، والضعف الإنساني مما لا حيلة للمرء فيه وما وجد به الضعف إلا لأنه إنسان.

زكي باشا والرافعي إلى أخريات أيامهما، ومنه أن زكي باشا كان على نية إعداد معجم لغوي كبير قبيل وفاته، وكان للرافعي في إنشاء هذا المعجم أثر ذو بال، وفيه فصول ألفها الرافعي بتمامها وأعدها للإمضاء، ولكن المنية أعجلت أحمد زكي باشا عن إصدار هذا المعجم، وأحسبه مازال محفوظا بين مخطوطاته».

هذا ما قاله الأستاذ العريان، ولي سؤال يدور حوله؛ فإن أسلوب الرافعي الكتابي لا يشتبه بأسلوب أحمد زكي باشا بحال من الأحوال، لأن طابع الرافعي أبرز من أن يخفى، أفكان الرافعي يتعمد مجافاة أسلوبه ومحاكاة أسلوب شيخ العروبة، وذلك عبء فوق عبء التأليف، قد يكون! والتعاون الذي ذكره العريان وقال إنه امتد إلى أن مات أحمد زكي باشا يوحي بسؤال آخر، لقد كان الرافعي يودع كبار الراحلين بمقالات مؤثرة مثل شوقي وحافظ ومحمد الخضري ويعقوب صروف فلماذا لم يؤبن صديقه أحمد زكي؟ إذا كانت الصلة هامة.

**١٩٢ - (الشاعر أحمد الزين):**

كان الشاعر العالم الراوية المحقق الأستاذ أحمد الزين من نوابغ عصره شعراً وبحثاً وتحقيقا، وشعره على قلته من أروع ما يقال، ومازلت أذكر تأثري برثائه للهراوي حين نُشر في الأهرام والثقافة بعد رحيل الهراوي وفيه يقول:

**دع الجمال بما تهوى محاسنه**
**يمضي وتخلفه الأحزان والعلل**
**عيب الجمال بلاهُ بعد نضرته**
**يا ليت عشاقه قبل الهوى عقلوا**
**فاملأ فؤادك من يأس تُرِحهُ به**
**أشقى نفوس الورى شيء هو الأمل**

* وموضع الشاهد هنا أنّ الشاعر أصدر في سن السابعة عشرة من عمره، وكان طالبا بالأزهر مجموعة شعرية باسم (قلائد الحكمة) وقد صدرت بتقريظ شعري لشيخ شعراء مصر اسماعيل صبري باشا قال فيه:

**إذا كنت يا زينُ زينَ الأدب**
**فإن كتابك زين الكتب**
**قلائد طوقت جيد البيان**
**بهنّ وحليت جيد العرب**
**خلائق تزري بنفح الرياض**
**إذا ضحكت من بكاء السحب**
**وما المرء إلا خلاقٌ كريم**
**وليس بما قد حوى من نشب**

* وقد ذكر الأستاذ على فوده بمجلة الرسالة تعقيباً على هذه الأبيات قبل أن يرحل الزين الى جوار ربه بخمسة أعوام فقال:

«إن مدح الشاعر صبري باشا للشيخ أحمد الزين له قصة رواها على ملأ من كرام العلماء والأدباء إمام من أئمة الأدب والعلم هو شيخنا مصطفي عبد الرازق باشا، يجب إيرادها إنصافا للشاعر الغائب».

كان ذلك منذ عامين، وبيت عبد الرازق بعابدين على عهدك به في ليلة من ليالي رمضان، ولم يكن الشيخ أحمد الزين وطائفة من أصدقائه غائبين عن هذه الجلسة، فقد جرى ذكر الشعر والشعراء وصلتهم بالنحو واللغة، فقال الدكتور هيكل باشا: لعلّ الشاعر اسماعيل صبرى باشا لم يكن واسع المحصول اللغوي سعة تحميه من التورط أحياناً في

بعض الأخطاء، فالتفت الشيخ مصطفي عبد الرازق باشا يدفع غيبة صديقه صبري باشا، فقال له هيكل باشا، لقد أسمعني بعضهم شعراً جاء فيه كلمة (خلاق) بمعنى (خلق) وهي ليست كذلك فيما يقول الشيوخ، فقال مصطفي عبد الرازق باشا - والشيخ أحمد الزين حاضر - إني أنكرت ذلك أيضا، فلما لقيت صبرى باشا لم أكتمها عنه، فقال لي: إن الشيخ الزين رجل مثابر على الود، فلما هَمَّ بطبع ديوانه سألني أبياتا فلم تسعفني القريحة، ولما تكرر منه الطلب، لم يسعني إلا أن أقول له - وهو شاعر أيضا - اصنع أبياتا لنفسك على لساني، فلما أُهدى إليَّ ديوانه قرأتها كما قرأتموها، وصبرت على ما لم تصبروا عليه».

والسؤال المتبادر للذهن تعقيباً على هذا القول؛ لماذا لم يطلب صبري قراءة ما ينسب إليه قبل طبعه؟ وهذا من أوجب حقوقه؟

**١٩٣ - (رجعة الى الماضي):**

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإننا ننقل عن الجزء السادس من معجم الأدباء لياقوت هذه النادرة:

«ثم يعمل (أي الصاحب بن عباد الوزير الشهير والكاتب الجهير) فى أوقات كالعيد شعراً، ويدفعه إلى أبي عيسى بن المنجم، ويقول له: قد نحلتك هذه القصيدة فامدحني بها في جملة الشعراء، وكن الثالث من المنشدين، فيفعل ذلك أبو عيسى، وهو بغداديٌّ مُحكَكٌ، قد شاخ على الخدائع وتحنّك، فينشد فيقول له [الصاحب] عند سماع شعره في نفسه، ووصفه بلسانه، ومدحه من تحبيره: أعد يا أبا عيسى فإنك والله مجيد، زه يا أبا عيسى [زَهْ كلمة فارسية تدل على الإعجاب] قد صفا ذهنك، وجادت قريحتك، وتنقحت قوافيك ليس هذا من الطراز الأول حين أنشدتنا في العيد الماضي، إن المجالس [مجالس الصاحب] تُخَرِّج الناس، وتهب لهم الذكاء، وتزيدهم الفطنة، وتحوّل الكودن [الهجين من الخيل] عنيفا والمحمرّ جوادا، ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزة سنية، وعطية هنية، ويغايظ الجماعة من الشعراء وغيرهم، لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لا يقرض مصراعا، ولا يزن بيتا، ولا يذوق عروضا.

**١٩٤ - (الدكتور زكي مبارك):**

ألَّف الدكتور زكي مبارك كتابه عن العشاق الثلاثة؛ جميل بن معمر، وكثير بن عبد الرحمن والعباس بن الأحنف وهو كتاب «لطيف الحجم في مجموعة سلسلة إقرأ» الشهيرة، ولكن أسلوبه التحليلي واختياره الشعري، وجماله التعبيري مما يشهد له بالتفوق، وقد فوجيء القراء بكلمة مادحة عنه، نشرتها الأهرام بقلم زكي مبارك نفسه، وهو صدق واقعي يدل على الصراحة الناصعة التي يعهدها القراء في الكاتب الكبير، وقد علقت الأهرام على المقال بأنه إحدى طرائف الدكتور النادرة إذ يكون المقرظ هو المؤلف، والفارق النفسي بعيد بعيد بين من يكتب التقريظ بقلمه وينسبه إلى غيره، وبين من يقرظ نفسه علانية، ويقول إنه أدرى بمحاسن الكتاب من سائر النقاد.

ولو كان الذي كتب هذا التقريظ لنفسه غير الدكتور زكي مبارك لكان مبعث نقد واعتراض، ولكن الدكتور لا يواجه باعتراض ما، لأنه في مقدمات كتبه الشهيرة، يتحدث عنها حديث المعجب الفاخر، ويغمز غيره ممن شاركوه

القول في منحاه الأدبي غمزاً يصل الى درجة الهجوم! فأي شيء في أن ينقل بعض ما يقوله في المقدمة بقلمه أو شبيهاً به الى جريدة الأهرام!! إنك تقرأ - مثلا - كتابه الممتاز حقا عن النثر الفنى في القرن الرابع الهجري فتجد من أساليب المباهاة الفاخرة مالا يعرف التواضع العلمي بحال، فالدكتور يقول إني أحب أن أكون في طليعة المنصفين لمؤلف هذا الكتاب، وهل من العدل أن أظلم نفسي وأنصف الناس؟ إن هذا الكتاب أول كتاب من نوعه في اللغة العربية، أو هو على الأقل أول كتاب صنِّف عن النثر الفني في القرن الرابع، فهو منارة السارين في غيابات هذا العهد السحيق، ولن يستطيع أى مؤلف آخر، مهما اعتز بقوته وتعامي عن جهود من سبقوه أن ينسى أنيٍّ رفعتُ من طريقه ألوفا من العقبات والأشواك،.. الى آخر ما كتب الدكتور في صفحات طوال.

**١٩٥ - تجربة شخصية:**

ألَّف بعض الزملاء كتاباً علميا يجمع الخطأ الصواب، وأهداني نسخة منه، وألح إلحاحاً مفرطا في أن أكتب كلمة عن مؤلفه وإزاء زياراته المتتابعة اضطررت إلى كتابة كلمة عرضت مزايا الكتاب وأشرت إلى ما لحظته من وجوه المؤاخذة، وما كاد المؤلف يرى المقال حتى بادر بكتابة مقال مسهب في الردّ على ما انتقدته به موضحاً أني أغفلت كثيرا من محاسن الكتاب وهي كذا وكذا، وذهب المقال إلى الأستاذ رئيس التحرير فلم ينشره. وفوجئت بالزميل يرجوني أن أتوسط لدى رئيس التحرير في نشر النقد! واضطررت بدافع الحياء، وقام الرجل الكريم بالنشر وكتب لي يقول إنه دون المستوى بكثير، وما كان لك أن تهتم بنشر هذا اللغو!! وصرت أعتقد أن الزميل الفاضل سيحمد لي موقفي، وينتهي الى هذا الحد، ولكنَّ عجيبة العجائب حقا هي أنه جاءني يرجو أن أردَّ على رده بمقال لتدور معركة حول الكتاب قلت يا أخي إن رئيس التحرير نشر ردّك مضطرا، وهذا خطابه إليّ، فكيف تدور المعركة في فراغ مجدب!! احمرّ وجه المؤلف وخرج ليقول لأصدقائي، إنني أنكر عليه سبقه العلمي وأقف في طريقه الأدبي! وأنّ نفسي مريضة!! ثم قاطعني فارتحت كثيرا لهذه المقاطعة، ولكني ندمت على أني انقدت له بدافع المجاملة فسطرت المقال المنكود! فما رأى القاريء في هذه التجربة؟

**١٩٦ - من شعر حافظ ابراهيم:**

قال حافظ ابراهيم مقرظا ديوان الشاعر الأديب النابغة مصطفي صادق الرافعي:

**أراك وأنت نبت اليوم تمشي ... بشعرك فوق هام الأولينا**

**وأوتيت النبوة في المعاني ... وما دانيت حد الأربعينا**

**فزن تاج الرآسة بعد سامي[١] ... كما زانت فرائده الجبينا**

**وهذا الصولجان فكن حريصا ... على ملك القريض وكن أمينا**

**فحسبك أن مُطريك ابن هاني[٢] ... وأنك قد غدوت له قرينا**

---

الهوامش:

(١) سامي: محمود سامي البارودي رب السيف والعلم.

(٢) ابن هاني : أمير الشعراء أحمد شوقي.

ظواهر مدهشة:

# الساعات الحيوية عند الكائنات الحية

بقلم:
**محمد فيض الله الحامدي**
- سوريا -

## الوقت عند الكائنات الحية:

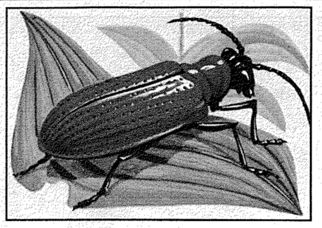
من الملاحظات المباشرة لنشاطنا الفيزيولوجي خلال يوم واحد، نستنتج أن جسمنا يقوم بسلسلة من الفعاليات المنسقة بشكل متواقت، يدعو إلى التفكير بأنَّ الجسم يمتلك ميقاتية (ساعة) أو مجموعة ميقاتيات.

فالذي اعتاد الإستيقاظ في الساعة السادسة صباحاً، يستيقظ في نفس الساعة كل يوم كأن منبهاً داخلياً يوقظه. ومن اعتاد تناول طعام الغداء في الساعة الثانية بعد الظهر، يحس بالجوع في نفس الساعة، فكأن المعدة والجهاز الهضمي عموماً على علم بالتوقيت الذي اختاره صاحبها لتناول الغذاء. وكما احتاج الإنسان في حياته الإجتماعية إلى التوقيت، وضبط الوقت بالساعات والتقاويم، فإن كافة الكائنات الحية وهبها الخالق إمكانية ضبط الوقت بشكل يتفق مع الظواهر التي تتكرر بتواقت، كالليل والنهار، والمد والجزر، والشهر القمري والفصول الأربعة.

وبشكل عام يمكن تقسيم العالمين النباتي والحيواني من حيث تواتر الليل والنهار إلى قسمين:

## أولا: كائنات نهارية:

تعتمد على الضوء في نشاطها، فالنباتات الخضراء تقوم بالتركيب الضوئي، وكثير من الحيوانات والانسان كذلك، تنشط نهاراً بحثاً عن غذائها فتلاءمت حواسها مع النشاط النهاري مثل حاسة البصر، وانعكس ذلك على النشاط الفيزيولوجي في الجسم. ففي الإنسان مثلا، لوحظت تغيرات في درجة الحرارة متواترة مع تعاقب الليل والنهار ولوحظت تغيرات



- حشرات نهارية النشاط.

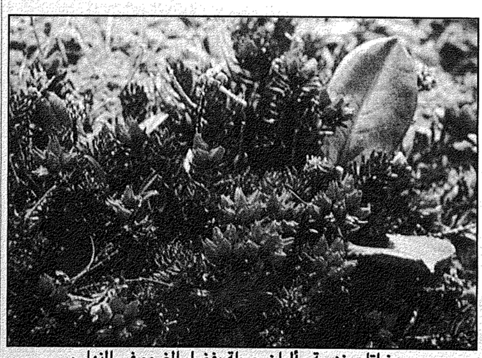


- تنقسم الحيوانات والنباتات إلى مجموعتين (نهارية وليلية).

دورية في نشاط القلب وضغط الدم، ونشاط الكلية والغدد، فدرجة حرارة الجسم تكون في أقل قيمها بين الساعة الرابعة والخامسة صباحاً، ودقات القلب وضغط الدم تكون منخفضة صباحاً، وكمية السكر في الدم تكون في حدها الأدنى في السادسة مساء، وفي حدها الأعلى في التاسعة صباحاً، وإفرازات الغدد للهرمونات تقل وتزداد حسب النشاط العام للجسم ووظيفة الهرمون، وينسحب ما ذكرناه عن الإنسان على سائر الأحياء الأخرى بشكل أو آخر.

## ثانيا: كائنات ليلية:

تنشط ليلا في الظلام، بغياب الضوء الباهر، وقد تكيفت حواسها مع الظروف الليلية، وتبعاً لذلك فإنَّ نشاطها الفيزيولوجي



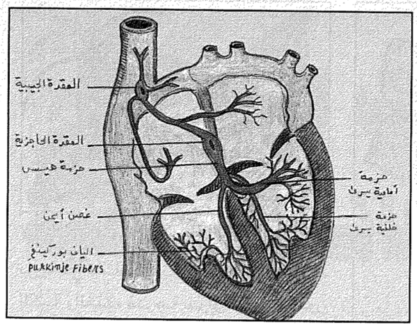
- نباتات زهرية - ألوان جميلة بفضل الضوء في النهار.

متواقت مع تواتر الليل والنهار، ومن الكائنات الليلية، طائر البوم والقوارض والصراصير والبعوض وقسم من آكلات اللحوم، والثعابين.

ولكن تقسيم الكائنات الحية إلى نهارية وليلية، لا يعطي الدليل المباشر على التوقيت الحيوي، فطائر البوم لا يستطيع الإبصار في الضوء الشديد ولذلك لا جدوى من نشاطه في النهار، لذلك ينشط في الليل، في الظلام، والإنسانُ في الظروف العادية لا يستطيع النشاط ليلا، لعدم قدرة حاسة البصر على تمييز الأشياء بغياب الضوء، لذلك ينشط في النهار، وهناك عوامل حضارية فرضت على الإنسان أن يكون نهارياً أو ليلياً. والسؤال الآن:

***** هل تمتلك الكائنات الحية ساعات لضبط الوقت؟*

قبل الإجابة على هذا السؤال لابد من تحديد الأسس التي يُعتمد عليها في ضبط الوقت، فالزمن مرتبط بالحركة، وفي الكون ظواهر متحركة، فكيف نحدد الوقت الذي يفيدنا في نشاطنا، فنعمل في ساعات النشاط الحيوي، ونستريح في ساعات الحد الأدنى من النشاط الفيزيولوجي؟ وضع الإنسان وحدات لقياس الزمن وضبط الوقت




**ـ مقطع تخطيطي للقلب يوضح مواقع العقدتين وحزمة هيس وتفرعاتها والياف بوركينغ.**

بالاعتماد علي حركة الأجرام السماوية، فاليوم هو تكور الليل والنهار (ليل ونهار) وتم تقسيمه الى (٢٤) ساعة وفق أسس معينة.

فمن شروق الشمس إلى شروق الشمس في اليوم التالي، يقدر الوقت بـ (٢٤) ساعة، والليل والنهار ينشآن من دوران الأرض حول محورها من الغرب الى الشرق. وهذا ما يعرف باليوم الشمسي، وهناك ما يُعرف باليوم النجمي واليوم القمري، فالأرض تتحرك حول الشمس وتتغير مواقعها بالنسبة للنجوم، ولما كانت حركتها باتجاه الشرق، فإن النجوم تبدو متحركة نحو الغرب، فإذا أشرقت الشمس مع نجم في وقت واحد، ففي اليوم التالي يخرج النجم قبل شروق الشمس بأربعة دقائق، فاليوم النجمي يعادل (٢٣) ساعة و(٥٦) دقيقة تقريباً، وكذلك يتحرك

القمر حول الأرض من الغرب الى الشرق، أي يتأخر غروبه بمقدار (٤٨) دقيقة، فيكون اليوم القمري (٢٤) ساعة و(٤٨) دقيقة.

وبالنسبة للانسان في علاقاته الإجتاعية والإقتصادية لا يعير اهتماماً لليوم النجمي واليوم القمري، لكن بعض الأحياء كما سنرى ضبط نشاطها كما يبدو بالاعتماد على اليوم النجمي واليوم القمري إلى جانب اليوم الشمسي.

ونعتمد في التقاويم على وحدة زمنية أكبر من اليوم، هي الشهر، وحدد الشهر من دوران القمر حول الأرض، وما يرافق دورانه من ظواهر حسب موقعه بالنسبة للشمس والأرض. وما يسببه في البحار من مد وجزر، اعتمدت الكائنات الحية على تلك الظواهر في ضبط توقيتها، وبشكل خاص الأحياء البحرية الشاطئية، حيث وقتت نشاطها مع المد والجزر. والوحدة الزمنية الاكبر من الشهر هي السنة بفصولها الأربعة، يعتمد عليها الانسان في تقدير الأعمار والخطط الاقتصادية والعلاقات بين الدول (المعاهدات وغيرها). وفي الكائنات الحية أيضاً آليات متواقتة مع هذه الوحدة (السنة الشمسية) ونعود لسؤال:

### ** هل تمتلك الكائنات الحية ساعات لضبط الوقت؟

يبدو أن كافة الأحياء بدءاً من الجراثيم وانتهاء بالإنسان لديها أعضاء أو آليات تضبط الوقت، كما تضبط الميقاتيات الوقت الإجتماعي في حياتنا وعلاقاتنا. فبعض الجراثيم تنشط في ساعات معينة من النهار، حتى إذا وُضعت في ظروف مخالفة لظروف الوقت المحدد. فكأنها تعرف الوقت.

وفي النباتات تلاحظ ظواهر ملفتة للنظر، كما لاحظ ذلك العالم الفلكي «دي ميران» عام ١٧٢٩م. إذ تنكمش بتلات بعض الأزهار ليلا وتبسط نهاراً، وعكس ذلك في بعض الأنواع، تبسط ليلا وتنكمش نهاراً، وبعض الأوراق الخضراء تقوم بنفس السلوك، ويُعزى ذلك إلى تأثير الضوء والحرارة، ولكن ما لاحظه (دي ميران) أن هذه النباتات إذا نقلت إلى ظروف واحدة عدة أيام، (ظلام مستمر أو إضاءة مستمرة)، فإن انكماشها وانبساطها يستمران بتواتر متواز مع تواتر الليل والنهار فهل لها ذاكرة زمنية؟ أم تمتلك ساعة حيوية منبهة تذكر النبات بوقت نشاطه واستراحته؟

لم يقطع العلمُ التساؤلات حول هذه الظواهر بتجارب يقينيه ومازال البحثُ مستمراً وإذا انتقلنا إلى عالم الحيوان، وخاصة تلك التي تمتلك جهازاً عصبياً راقياً، فإننا سنقف عند حالات تؤكد وجود آليات وربما مراكز خاصة لضبط الوقت، مع مرونة لتعديل التوقيت حسب الظروف المستجدة، أي تمتلك الأحياء ساعات حيوية الكترونية

ولكنها ذكية، وسوف نتناول التوقيت اليومي والشهري والسنوي لدى الأحياء.

### التوقيت اليومي:

ذكرنا أن بعض الظواهر في النباتات متواقتة بتواتر الليل والنهار، وفي عالم الحيوان أمثلة لا تحصى، فالحيوانات الليلية تنشط في الليل بدءاً من غروب الشمس كالفئران والصراصير والخفافيش والقنافذ وغيرها، وفي النهار تنشط الأحياء النهارية وما كان لها أن تقوم بهذا النشاط لو لم تحدث تبدلات في فيزيولوجية الجسم بشكل عام فالجملة العصبية والحواس تبقى نشطة في الفترة المخصصة ليلا أو نهاراً، ولذلك تكون أنشطة أجهزة الجسم الأخرى في حالة استجابة مع نشاط الجملة العصبية.

ويمكن تعديل التوقيت اليومي عند الإنسان، فالذي اعتاد الاستيقاظ في السادسة صباحاً بدون منبه خارجي، يمكن أن يمدد التوقيت إلى الثامنة صباحاً إذا استمر في النوم للثامنة صباحاً عدة أيام وفي ظروف حياة جديدة تتعلق بالضوء والحرارة وعوامل أخرى. ولكن على أساس (٢٤) ساعة وليس أقل من ذلك. فإذا اعتاد أن ينام الانسان (٨) ساعات من (٢٤) ساعة، لا يستطيع ضبط هذا التوقيت على أساس (٢٠) ساعة مثلا. وهذا يرتبط باليوم الشمسي والتكيف معه عبر آلاف السنين، فلو كان اليوم الشمسي (٣٠) ساعة، لكان أساس التوقيت من (٣٠) ساعة.

فإذا وضع الانسان أو الحيوان في ظروف الليل أو النهار عدة أيام فهل يحافظ على دورة نشاطه اليومي على أساس (٢٤) ساعة؟

من تجارب عديدة على النباتات وبعض الحيوانات كالصراصير، تبين أن دورة نشاطها تقل أو تزداد حسب نوع الكائن الحي، وتتراوح بشكل عام بين (١٩) و(٢٩) ساعة.

### التوقيت الشهري:

يعتمد الإنسان على التقاويم في تحديد الأشهر والأسابيع، وتم تحديد الأشهر بالملاحظة الواعية لحركة القمر حول الأرض، وهي ظاهرياً تستغرق (٢٩) يوماً شمسياً أو ثلاثين يوماً شمسياً. وبمقارنة عدد دورات القمر حول الأرض بدورة الشمس في فلك البروج في (٣٦٥) يوماً وربع اليوم، تبين أن (١٢) دورة للقمر تعادل تقريباً دورة واحدة للشمس في فلك البروج، ودورة الشمس في فلك البروج ظاهرياً هي السنة، فالسنة إذاً تقدر بـ (١٢) شهراً. وفيما بعد ظهر مفهوم الشهر القمري والشهر الشمسي، ولا مجال لتفصيل ذلك هنا.

وفي عالم الأحياء نشاطات متوافقة مع فترات زمنية تقدر بالشهر أو نصف الشهر كما سنرى.

إن المد والجزر في بعض البحار يحدثان

بشكل يومي، فعندما يصبح القمر فوق سمت البحر يحدث المد أي ارتفاع الماء، فيمتد إلى البر ويغطي مساحات معينة من رمال الشاطيء وصخوره وعندما يصبح القمر في آفق البحر يتراجع الماء أي يحدث الجذر، وكثير من الحيوانات وقتت نشاطها مع ظاهرتي المد والجذر نذكر منها:

- الديدان المتزحلقة من جنس كونفوليتا تعيش على رمال الشاطيء أثناء الجزر، فإذا جاء المد تطمر نفسها في الرمال، وإذا نقلت إلى حوض اختبار زجاجي فيه رمل، ووضع الحوض بعيداً عن البحر، تخرج هذه الديدان في فترات الجزر وتطمر نفسها في الرمل في فترة المد كأنها تعيش على رمال الشاطيء وتستمر هذه الظاهرة عدة أيام حتى يحدث التكيف مع الوضع الجديد.

- ونوع من المحار يفتح قوقعته أثناء المد ويغلقها أثناء الجزر، نقل إلى حوض التجارب، فكان يُبدي استجابة مماثلة مع تواتر المد والجزر.

والغريب أن الكائنات الحية وقتت استجابتها مع تواتر المد والجزر رغم تأخر المد والجزر يومياً بمقدار (٤٨) دقيقة، أي أن الكائن الحي يؤخر نشاطه يومياً بمقدار تأخر المد والجزر.

وظاهرة المد والجزر مركبة، لأن الشمس لها دور في المد والجزر أيضاً، فإذا كانت الأرض والقمر والشمس على استقامة واحدة، حدث مدٌ أعظمي ويحصل هذا في بداية الشهر القمري وفي منتصفه، والمد في بداية الشهر القمري أعظم من المد في وسطه، ويحدث مد في حده الأدني في التربيع الأول والتربيع الأخير للقمر، يرافق المد الأعظمي جزر أعظمي، ويرافق المد الأدنى جزر أدنى ، وقد وقتت بعض الحيوانات نشاطاتها الخاصة وفق هذه الظاهرة أي المد الأعظمي.

- بعض الأسماك من نوع غرونيوز تتجمع عل الشطآن الرملية في كاليفورنيا في بداية الشهر القمري، بانتظار المد الأعظمي من أجل التكاثر، وفي الأيام الأخرى لا تسلك ذات السلوك.

- والسرطان اللاهي ينشط خلال الجزر الأدنى، ويختبيء في جحره خلال المد الأعظمي وإذا نقل إلى أحواض التجربة، يسلك نفس السلوك بشكل متواقت مع المد والجزر الأعظميين في البحر الذي أُخذ منه.

والكائن الحي يعمل وفق اكثر من توقيت، فهو يعتمد على التوقيت اليومي في بحثه عن الغذاء وعلى التوقيت الشهري للتكاثر أو تحقيق مزيد من فرص البقاء على قيد الحياة، وبالنسبة للانسان نلاحظ ظاهرة التوقيت الشهري عند المرأة، في الإباضة والحيض (الدورة الشهرية) وهي تعادل وسطياً شهراً قمرياً، ترافق ذلك تغيرات في فيزيولوجية الجسم ونشاطه الهرموني بشكل

دوري أيضاً، على أساس التوقيت الشهري.

### التوقيت السنوي:

إن الأمثلة عن هذا التوقيت كثيرة في عالمي النبات والحيوان، فبعض النباتات الموسمية تزهر في فترة محددة من السنة، وتثمر في مدة معينة، وبالنسبة للنباتات المدجنة يعرف الإنسان بشكل دقيق، متى يزرعها ومتى يحصد ثمارها بالاستناد إلى توقيتها الحيوي.

وأشهر الأمثلة على التوقيت الحيوي السنوي في عالم الحيوان هو النشاط التناسلي للقطط في شهر شباط في المناطق المعتدلة، وتضع الإناث مواليدها في آذار، ولكل ظاهرة استثناءات، كما أن ظاهرة الهجرة السنوية عند بعض الطيور والأسماك والفراشات وغيرها، التي تحدث في شهر معين من السنة، دليل اكيد على وجود توقيت حيوي سنوي عند هذه الأحياء.





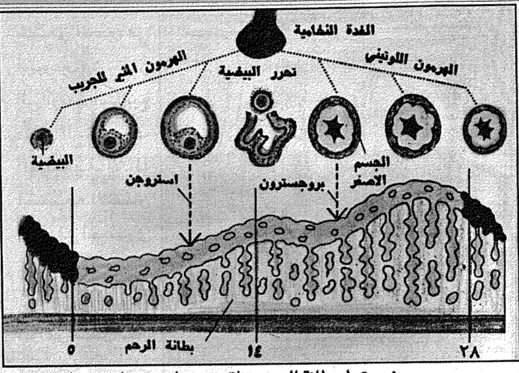
- أربع صور تمثيلية للقطة الذكية التي لاحظها الدكتور غوستاف إيكشتاين، وكانت تتصرف كأنها تدرك الوقت بالساعة والدقيقة في يوم الاثنين من كل اسبوع.

وإذا كان الإنسان يعتمد السنة في تقدير الأعمار ووضع الخطط الإقتصادية، والسنة تعادل (١٢) شهراً، والشهر (٣٠) يوماً، أي أن الانسان يعتمد في تقدير الوقت على وحدات التوقيت، السنة والشهر واليوم وأجزاء اليوم، كذلك تفعل الأحياء بشكل أو آخر بميقاتيات حيوية وتقاويم حيوية فأين تقع؟ وما هي؟

### توقيت حيوي غير دوري:

فعاليات الحياة منضبطة بشكل دقيق، وهي تعمل وفق توقيت داخلي مبرمج

باشراف وتوجيه المورثات، أي لا علاقة مباشرة بينهـــا وبين التـــواترات الطبيعية، من ذلك تطور بيضة الدجاج مثلا، فهي تتطور إلى كـــتكوت (صـــوص) في فترة ثلاثة أسابيع إذا توفرت لها الحرارة المناسبة، والتقليب المستمر بمعدل مرتين في اليوم.




- رسم يوضح تبدل بطانة الرحم بتواقت مع تطور جريبات دوغراف وتحرر البيضة وتشكل الجسم الأصفر وحدوث الحيض بشكل دوري - تتكرر هذه الظاهرة عند المرأة شهرياً.

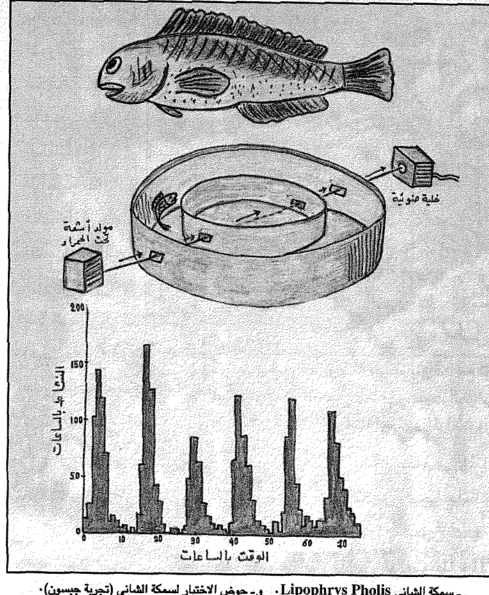
في الحالة الطبيعية لتكاثر الدجاج، تطرأ على الدجاجة تبدلات فيزيولوجية، فتتوقف عن الحركة، وترتفع درجة حرارتها، وترقد على البيض، فتعطي من جسمها حرارة ورطوبة مناسبة للبيوض، وتقلب البيوض بمنقارها، تتحسس البيضة بمنقارها فتعرف الجانب الاكثر حرارة من الآخر، فتقلب البيضة لتتوزع الحرارة على كافة أجزاء البيضة، ولتتعرض محتويات البيضة لظروف متوازنة من الحرارة والرطوبة وقوة الجاذبية الأرضية.

يحدث التبدل الفيزيولوجي في جسم الدجاجة في أواخر الشتاء وبداية الربيع بشكل عام في المناطق المعتدلة، لهذا فدورة تكاثر الدجاج متوافقة مع الفصول وهذا توقيت حيوي تحدد خلال ملايين السنين.

وقد استطاع الإنسان التحكم في توقيت التكاثر الحيوي في الدجاج بالتفريخ الصناعي، حيث تحضن البيوض الملقحة في حاضنات صناعية في مكان تكون درجة الحرارة فيه بحدود (٤٢) درجة مئوية، ورطوبة مناسبة مع تقليب مستمر، وبعد (٢١) يوماً تفقس البيوض، فتخرج الصيصان فلم يعد التفريخ الصناعي دورياً أي يمكن توليد صيصان في كل الفصول.

لكن تطورات الجنين داخل البيضة خاضعة لتوقيت دقيق مدهش بفضل توجيه المورثات التي قدرها الحكم العليم. فلا

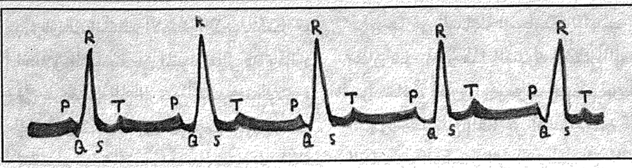
يكتمل الجنين في اسبوعين ولا يتأخر إلى أربعة أسابيع في الظروف الطبيعية، إلا إذا أخضعه الانسان لظروف أخرى كالتبريد ونحو ذلك. وفي الحياة ظواهر مترابطة، فجملة أسباب تؤدي إلى نتيجة، وهذه النتيجة تصبح سبباً لظاهرة جديدة، وهكذا تتعاقب الأسباب والنتائج، حتى يتحقق الهدف المنشود من وجود الحياة لهذا الكائن أو ذاك.




ـ سمكة الشاني Lipophrys Pholis. وـ حوض الاختبار لسمكة الشاني (تجربة جبسون).
ـ مخطط بياني يوضح ايقاع النشاط الداخلي لسمكة الشاني حسب تجربة جبسون في المختبر والقمم المنتظمة تتوافق مع أوقات المد المتوقعة.

ونشير إلى بعض أسرار الحياة، فالبيضة لا تحتوي على نسيج عظمي أو نسيج عضلي أو نسيج عصبي... الخ، فكيف تتشكل؟

تنقسم البيضة (الخلية التناسلية) بعد التلقيح انقسامات متتالية في فترات زمنية دقيقة فتنشأ آلاف الخلايا وهذه الخلايا تنتج بروتينات وأنزيمات، وعندما تصل كمية البروتينات والانزيمات إلى تراكيز معينة وبوجود عوامل أخرى تبدأ المورثات بتشكيل هذا النسيج أو ذاك، ولا توجد قفزات في الحياة، فالحوادث مترابطة متسلسلة متواقتة. والوضع معقد جداً، فالتوقيت الحيوي المرتبط بتطور الخلايا والانسجة والأجهزة في جسم الكائن الحي لا تخضع لتواترات الطبيعة دائماً، أي لا تكون دورية تماماً.



- مخطط القلب الكهربائي ونلاحظ الدورية في نبضة القلب، وقراءة تحتاج إلى طبيب مختص.

## *القلب ساعة تنبض مدى الحياة: (الشكل (١))*

ينبض القلب بشكل متواتر مدى الحياة، والقلب يعمل تلقائياً حتى بعد نزعه من الجسم بشروط خاصة، فللقلب حركة ذاتية تبدأ بالانقباض الأذيني بتحريض من العقد الجيبية ويستغرق الانقباض الأذيني (١ر٠) من الثانية، ثم يبدأ الانقباض البطيني بتحريض من العقدة الحاجزية وألياف بوركينغ المتفرعة من حزمة هيس (Hiss) والتي تنشأ من العقدة الحاجزية، ويستغرق الإنقباض البطيني (٣ر٠) من الثانية، بعد ذلك ينبسط القلب في فترة (٤ر٠) من الثانية، فالقلب يعمل نصف الوقت ويستريح نصف الوقت، ترافق هذه الحركة تغيرات كهربائية، وقد استطاع الإنسان تسجيل هذه التغيرات على شكل مخطط بياني، ومنه يستدل على الانقباض الأذيني والانقباض البطيني، والانبساط، وليس هذا فحسب إذ يمكن تقدير مدة كل حركة وما يصيبها من اضطراب أثناء الأمراض. فمخطط القلب الكهربائي يشير إلى ساعة القلب البيولوجية تماماً.

والشكل المرفق يوضح مخطط القلب الكهربائي النموذجي، فالحرف (P) يشير إلى الانقباض الأذني والأحرف Q R S تشير إلى الانقباض البطيني، والحرف (T) يشير إلى الانبساط، كل ذلك يحدث في (٨ر٠) من الثانية عند الانسان البالغ السليم.

## *الدورة الشهرية عند المرأة: الشكل (٢).*

جملة (العادة الشهرية) مستخدمة في اللهجات المحلية، وهي تعبر عن ظاهرة الطمث عند المرأة، فالمرأة في سن البلوغ تطرح كمية من الدم (الحيض) في الشهر لمدة عدة أيام وتتكرر بشكل دوري إذا كان الجسم سليماً، وتستطيع المرأة أن تحدد بشكل دقيق متى سيبدأ الحيض عندها. والظاهرة معروفة تماماً بفضل تطور علوم الطب، فهي تخضع لضبط هرموني، ابتداء من هرمونات الغدة النخامية وانتهاء

بهرمونات الجسم الأصفر الذي يتشكل بعد انطلاق البييضة من المبيض إلى قناة فالوب، في طريقها إلى الرحم. تحدث تبدلات في بطانة الرحم استعداداً للبيضة، فإذا لُقِّحت، تنقسم عدة إنقسامات وتنزل إلى الرحم لتعشش في مكان غني بالأوعية الدموية، فإذا لم تلقح، لا تستقبلها بطانة الرحم، فتتمزق الأوعية الدموية، ويخرج الدم (الحيض)، ولغة التخاطب بين المبيض والرحم والغدة النخامية هي الهرمونات، وما يهمنا هنا أن العمل موقت بشكل دقيق. وإلا تحدث أخطاء لا تحمد عقباها، وعلى سبيل المثال: إذا لم تتشكل بطانة الرحم قبل نزول البيضة الملقحة فكيف ستتغذى البيضة وتعشش؟

إن التوقيت هنا داخلي على مستوى الجسم بكامله، ولا علاقة له بالقمر أو الشمس حالياً وربما كان في الأزمان البعيدة ظاهرة متواقتة مع القمر وهذا غير مؤكد.

### سلوك عجيب لقطة ذكية:

### الشكل(٣)

يروي الدكتور غوستاف ايكشتاين أستاذ علم النفس في جامعة سينسيناتي في الولايات المتحدة الأمريكية ما لاحظه على قط ذكي: كان القط يعيش مشرداً في حرم الجامعة ينتقل من مكان إلى مكان، في أيام الاسبوع، ولكن في يوم الاثنين تحديداً، كان يأتي إلى باب المطبخ فيموء طالباً الأكل، فإذا أعطي ما يطلب يتناوله بسرعة، ثم يذهب مسرعاً في الساعة السابعة والنصف إلى مكان ما. أثار هذا السلوك انتباه العالم غوستاف، فقرر أن يعرف الهدف من هذا السلوك، فتتبع القط في أحد الأيام، عبر القط حرم الجامعة إلى أن وصل إلى القسم النسائي في المشفى الجامعي، فقفز فوق حافة نافذة في الطابق الأرضي في الساعة السابعة و(٤٥) دقيقة، وبقي محدقاً في الغرفة مدة ساعتين ثم عاد مسروراً نحو المنزل.

وعرف غوستاف فيما بعد أن هذا القط بعد تناول العشاء كان يستمتع بالنظر الى لعبة (بنفو) وهي لعبة يا نصيب تعتمد على قسائم وأرقام مدونة على لوحة مضيئة وصالة مليئة بالمراهقين. والسؤال الآن:

** كيف عرف القط يوم الإثنين؟ وكيف حدد الساعة السابعة والنصف موعد العشاء؟ والثامنة إلا الربع موعد البدء باليانصيب؟ وأي ساعة حيوية يمتلكها هذا القط؟ وكيف استطاع أن يربط بين كل هذه العناصر (يوم الاثنين والعشاء واليانصيب) في أوقات محددة؟

ليس هناك إجابة دقيقة على هذه التساؤلات، ولا يمكن تعليل هذا السلوك بالفعل المنعكس الشرطي فقط، إنه سلوك عجيب وغريب بمفاهيمنا البشرية!.

### طائر جميل مهاجر «الهدهد»:

الهدهد من الطيور الجميلة، ويعرف في

بعض المناطق باسم طائر سليمان نسبة إلى نبي الله سليمان عليه السلام، عندما تفقد الطير، فوجد الهدهد غائباً، وعندما عاد أخبره الهدهد عما رآه في اليمن، ملكة تحكمهم ولها عرش عظيم، إنها الملكة بلقيس، وكان الملك سليمان (عليه السلام) في بلاد الشام، إن القصة تؤكد هجرة هذا الطائر بين الشمال والجنوب، بحثاً عن الأماكن الدافئة، في الربيع يهاجر هذا الطائر باتجاه الشمال، وبحلول الشتاء يهاجر نحو الجنوب في فترات محددة، فكيف يحدد وقت الهجرة؟ الإحتمالات كثيرة، منها: الاعتماد على مواقع النجوم، أو إدراك التبدلات في الطقس أو استجابة لتغيرات فيزيولوجية في جسمه، كل الاحتمالات واردة، ولكن ما خفي علينا من أسرار الساعة الحية أكبر مما نعرف.

## *الساعة الحيوية في سمكة الشاني: الشكل(٤)*

سمكة الشاني Lipophrys Pholis تعيش على سواحل فرنسا في مناطق المد والجزر، أثناء المد تنشط باحثة عن غذائها، وأثناء الجزر تندس تحت الصخور أو بين الأعشاب حتى يحين موعد المد التالي.

وقد أجرى العالم ر.ن.جبسون المسؤول في الجمعية الاسكتلاندية في Oban والمهتم بدراسة الأسماك (المدجزرية) تجربة على سمكة الشاني، كما يلي:

وضع السمكة في حوض ماء خاص بشكل إطار، تستطيع السمكة أن تسبح فيه بشكل دائري وكانت السمكة تقطع الأشعة تحت الحمراء التي سلطها على منافذ زجاجية في جدران الوعاء وفي كل قطع للأشعة كانت الخلية الضوئية تسجل نشاط السمكة، فلاحظ جبسون أن السمكة تنشط بشكل مكثف أثناء حصول المد في الطبيعة وهي داخل الحوض.

وتهدأ أثناء الجزر، وقد رسم مخططاً بيانياً لنشاط السمكة ولاحظ أن قمم المخطط تتوافق مع أوقات المد، ويتكرر النشاط مرتين في اليوم خلال (٢٤) ساعة.

ويعلق جبسون على هذه النتيجة، وتجارب على أسماك أخرى «تستمر بعض الأسماك من فصائل مختلفة في القيام بنفس السلوك المرتبط بفترتي المد والجزر، إذ تجعل فترة راحتها في الوقت المتوقع للجزر، ونشاطها في الوقت المتوقع للمد.

ولا يعرف بالضبط حتى الآن كيف يتم ترسيخ هذا النظام الداخلي، برغم الابحاث المعملية التي بينت أن الضغط المائي المصاحب لارتفاع الماء وانخفاضه أثناء المد والجزر هو المتسبب جزئياً على الأقل، وليس لكثير من الاسماك المدجزرية مثانة هوائية، ويعتبر هذا العضو مسؤولا عن معرفة مستوى الضغط في الاسماك العظيمة. لذلك تبقى كيفية اكتشاف الأسماك المدجزرية للتغيرات البطيئة في الضغط أمراً محيراً،

وفي الطبيعة تتغير استجابة الاسماك لحالتي المد والجزر تبعاً لتعاقب الضوء والظلام أو ربما تبعاً لنظام زمني متأصل. (أربع وعشرون ساعة تقريباً).

## أين تقع الساعة الحيوية في جسم الكائن الحي؟ الشكل (٥)

من الأمثلة الكثيرة التي تظهرها الأحياء كنشاط متواقت مع تواترات في الطبيعة. يتضح أنَّ آلية ضبط الوقت موزعة في كل الأنسجة، وبالتحديد في كل الخلايا، فوحيدات الخلية كالجراثيم مثلا، ليس لها جملة عصبية ولا أعضاء متخصصة، ورغم ذلك تمتلك ساعة بيولوجية بشكل ما.

وفي النباتات الموسمية، تلاحظ الأنشطة المتواترة مع تواترات الطبيعة وهي لا تمتلك جملة عصبية، فهل الساعة الحيوية في الجذور؟ أم في الساق؟ أم في الأوراق؟ إنَّ نشاط الكائن الحي تساهم فيه كل الانسجة والأعضاء، وهذا يدفعنا للبحث عن أعضاء وأنسجة أو مراكز متخصصة لضبط الوقت عند الكائنات الراقية، فإذا تخربت تلك المراكز فقد الكائن الحي القدرة على ضبط الوقت. وفي الإنسان يخضع نشاط الجسم لإشراف الجملة العصبية وأخلاط البدن (الضبط الهرموني) لذلك لابد من التفكير بأن مراكز ضبط الوقت موجودة في الجملة العصبية وبالتحديد في الدماغ، في مكان ما، وربما في المهاد البصري (الهيبوتالاموس).

مع عدم تخلي كل خلية عن توقيتها الداخلي للقيام بنشاطها وانقسامها في الوقت المناسب. ومن الناحية التشريحية نجد أنَّ الغدة النخامية، وتدعى ملكة الغدد - (تضبط نشاط الغدد الأخرى) - هذه الغدة لها ارتباط مباشر بالمراكز العصبية، ولها فص عصبي وتقع في مكان استراتيجي في الدماغ، أي يتكامل الإشراف على نشاط الجسم في الإنسان بفضل التنسيق بين الجملة العصبية والنظام الهرموني (عمل الغدد).

وأجريت تجارب على حيوانات كثيرة لمعرفة مراكز ضبط الوقت عندها، ومن تلك التجارب تجربة أجريت على الصراصير وفيما يلي نتائجها:

كانت الصراصير تخرج من مخابئها في الساعة السادسة مساء في أحد المخازن وتبقى ناشطة حتى الساعة السادسة صباحاً، نقلت إلى أماكن أخرى مع تعريضها إلى نور مستمر أي (لا يوجد ظلام) فغيرت مواعيد نشاطها بشكل مخالف للسابق. وقد اهتدى العلماء إلى مراكز ضبط الوقت عند هذه الصراصير، فمن تجارب تشريحية كثيرة ودقيقة، تبين وجود أربعة خلايا عصبية في عقدة قرب الدماغ، هي المسؤولة عن ضبط الوقت، إذ أخذت هذه الخلايا من الصراصير الناشطة ليلا من المخزن الأول وزرعت في الصراصير التي اعتادت النشاط بوجود النور المستمر، وفي العمليات الناجحة كانت الصراصير تنشط من الساعة السادسة مساء إلى السادسة

صباحاً كأنها موجودة في المخزن الأول رغم وجود النور.

## ما هي الساعة الحيوية (البيولوجية).

قبل أن نبين ما الساعة الحيوية نضرب مثلا للتوضيح. إنَّ الساعة اليدوية (الميقاتية) التي نضعها على معصمنا آلية مزودة بمسننات، تتحرك بقوة مرونة النابض، ويتم ضبط الوقت فيها من التناسب العددي بين أعداد المسننات المختلفة، وهي محسوبة بدقة وفق قواعد حسابية، ولا يمكن معرفة الوقت بها إذا لم تزود بمؤشرات (عقارب) تشير إلى أرقام متفق عليها، مدونة على لوحة خاصة، والسؤال الآن:

- هل يشكل النابض ساعة؟
- هل تشكل المسننات ساعة؟
- هل تشكل المؤشرات (العقارب) ساعة؟

إن مجموع تلك الأجزاء في إطار معين وبتركيب معين تشكل ساعة (ميقاتية) فإذا حدث خلل في أي جزء، يحدث الخلل في ضبط الوقت، فالنابض المرن إذا أصبح رخواً بتأثير الحرارة أو بصدمة ميكانيكية، يفقد جزءاً من مرونته وتتباطأ حركة المسننات وتتباطأ حركة عقارب الساعة، وينعكس ذلك على آلية ضبط التوقيت، فتؤخر الساعة في هذه الحالة، كانت تلك المقدمة ضرورية لإدراك المقصود بالساعة الحيوية (البيولوجية) فكل خلية في الجسم لها توقيتها وكل جهاز حيوي في الجسم له توقيته، ومجمل أجهزة الجسم تعمل بتواقت وانسجام تام عندما يكون الجسم سليماً من العاهات والأمراض.

فكل خلية حية بحاجة إلى غذاء واكسجين، وعناصر كيميائية، ترد إليها عن طريق الدم، وتعمل بتوجيه الجملة العصبية والهرمونات على صعيد الجسم عموماً وتعمل بتوجيهات المورثات في داخل النواة على الصعيد الداخلي، فكل خلية لها توقيتها الداخلي، يعمل بالثواني والدقائق وفترات أقصر وأطول، ولكن التوقيت العام للجسم يعتمد على آليات مشتركة لأجهزة عديدة وتتفاوت أهمية وأدوار الأجهزة في ضبط الوقت.

إن الساعات الصناعية تعمل بقوة مرونة النابض أو بالقدرة الكهربائية في الساعات الحديثة، ولا تعمل الساعة في ضبط الوقت إلا إذا توفر لها مصدر للطاقة أو القوة، فأين نجد القوة أو الطاقة الضابطة للساعة الحيوية؟

الساعة الحيوية هي نظام الحياة، فالخلية التي ستعطي الكائن الحي (البيضة الملقحة) تنشط بشكل متواقت بدقة، وبتوجيه المورثات لتعطي كل نسيج في الوقت المناسب فهل هو صدفة أن يكون تخليق الإنسان في بطن أمه تسعة أشهر بشكل عام.

إن نقطة البدء في عمل الساعة الحيوية كانت في مورثات الخلية الأولى التي أعطت الكائن الحي، ويستمر التوقيت مادامت الحياة مستمرة، لهذا الكائن أو ذاك. وكما

في الساعات الصناعية، هناك أجزاء أساسية وأجزاء مكملة، كذلك الساعة الحيوية فمراكزها في الجملة العصبية، في الكائنات الحية الراقية تمثل أجزاءها الرئيسية.

ونقف بشكل مفصل عند حركة القلب في الانسان التي أشرنا إليها سابقاً تحت فقرة القلب ساعة تنبض مدى الحياة.

إن الحركة القلبية تتكون من الإنقباض الأذييني والانقباض البطيني، تعقبهما فترة استراحة (انبساط) ومدد هذه الحركات في الجسم السليم، في الانسان الكهل (٥٠ - ٦٠) سنة هي:

١ - الانقباض الأذيني يدوم (١ر٠) ثانية.

٢ - الانقباض البطيني يدوم (٣ر٠) ثانية.

٣ - الاستراحة (الانبساط) تدوم (٤ر٠) ثانية.

فتكون مدة الحركة القلبية الواحدة (النبضة) هي: (٨ر٠) ثانية، ولما كانت الدقيقة (٦٠) ثانية، فيكون عدد نبضات القلب في الدقيقة [٦٠ - على - ٨ر٠ = ٧٥ نبضة]، وقد تزداد أو تنقص نبضات القلب في الدقيقة، حسب الحالة الصحية والعمل والجهد المبذول، والقلب يعمل نصف الوقت ويستريح نصف الوقت مدى الحياة، وإذا حدث خلل في توقيت عمل القلب اضطرب نظام الدورة الدموية وحدث خلل في الجسم، قد يؤدي إلى الوفاة.

فكيف يتم ضبط الوقت في عمل القلب؟

يتم ذلك بفضل عقدتين وألياف شبه عصبية في جدار القلب، وكذلك طبيعة النسيج العضلي للقلب. فالعقدة الأولى (العقدة الجيبية) وتدعى عقدة (كايت فلاك) - تقع على الأذنية اليمنى بجانب الجيب الوريدي النازل. والعقدة الثانية (العقدة الحاجزية) وتدعى عقدة (تاوارا)، تقع بين الأذينتين والبطينين في الحاجز، تتصل العقدة الأولى بالثانية، بألياف شبه عصبية، وتتفرع من العقدة الثانية حزمة هيس ، التي تتفرع إلى الياف تستبطن جدار البطينين من الداخل وتدعى ألياف (بوركينغ).

وإذا عزل القلب عن الجسم، ووضع في محلول مغذ «محلول رينجر» يبقى حياً ينبض ببطء بفضل العقدتين، وعندما يكون في الجسم تكون نبضاته سريعة لأن الايعازات تأتيه من البصلة السيسيائية عن طريق أعصاب محركة، لهذا إذا تعرضت البصلة السيسيائية لضربة قوية يتوقف القلب، ويموت الإنسان، وإذا زادت نسبة غاز ثاني اكسيد الكربون في الدم، كما يحصل في حالات الاختناق أو حبس النفس، تتأثر خلايا البصلة السيسيائية، فتوعز بطريقة ما لزيادة وتيرة عمل القلب لتنشيط دوران الدم، كي يُطرح غاز ثاني اكسيد الكربون عن طريق الرئتين بسرعة، أي تقل فترات الانقباض والانبساط في النبضة الواحدة، وتصل نبضات القلب إلى اكثر من (١٠٠) نبضة في الدقيقة. فالقلب عدَّل توقيت عمله بايعاز خارجي من (البصلة السيسيائية) وهذا يفيد أن الساعة الحيوية مركبة مرتبطة بالحياة

ولكن لها مراكز أساسية في الجملة العصبية وبعض أنسجة الجسم، وتعمل بمحرضات خارجية وداخلية كما سيتضح لاحقاً.

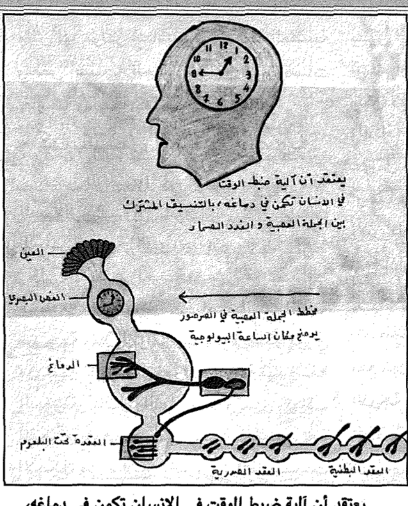
## كيف تعمل الساعة الحيوية؟

يمكن الدخـــول في الإجـــابة على هذا السـؤال، بسـؤال آخـر وهـو: لماذا وجـدت الساعة الحيوية (البيولوجية)؟.

إن الكائنات الحـيـة تعـيش في بيـئـات مختلفة وهـي متكيفة مع عناصر البيئة الثابتة من جهة ومع العوامل المتغيرة بشكل دوري من جـهة ثانية، والتغيرات الدورية لها صفة الديمومة، كالليل والنهار والمد والجذر وتعاقب الفـصـول، وهـي عـوامل قديمة خـضـعت لهـا الأحـيـاء من مـلايين السنين، لذلك احـتـاجت عضوية الأحياء لحاسة الوقت من أجل ضبط نشاطها وفق التغيرات الدورية، وقدر الخالق سبحانه فيها الآليات اللازمة بحكمته، ولعلنا ندرك الآن أهـمـيـة العـوامل الخـارجـيـة في توقيت السـاعـة البـيـولوجـيـة، ودفـعـهـا إلى العمل، وهـي متـغيرة متبدلة حسب الظروف التي تحيط بالكائن الحي.

وعلى المستوى الخلوي، تقوم الحياة على عـملين مـتناقـضـين في آن واحـد، عمل بنائي يتـمـثـل في تصنيع بروتينات جـديدة ومـواد أخرى، وعمل هدمي يتمثل في اتلاف الغذاء المسـتـهلك لتـأمين طاقـة، ومن التـوازن (الديناميكي) بين العـملين والذي نسـمـيـه (الإستـقلاب) تستـمر الحياة. لا يتساوى الهـدم والبناء في النتـائج، وفي الكم. قـد يكون الإسـتـقـلاب لصـالح البناء اكـثـر من الهدم أو العكس. ولا مـجـال لتفصيل اكثر، ولكن لابد من التنويه أن الاسـتـقلاب (الهـدم والبناء) يخضع لضبط دقيق من خلال جملة عوامل منها الحرارة والتراكم الكمي للنواتج أو مـا يعـرف بقـانون فـعل الكتلة، وعـمل الإنزيمات...الخ.

فـإذا أخـذنا نوعـاً من الجراثيم الهـوائيـة التي تعـيش في المياه الآسنة كـمـثـال، إنَّ نشاطها الأعظمي يحدث في درجات حرارة تقع بين (٣٥ ـ ٤٥) درجـة مـئـوية، وهـذه الدرجة تتأمن في الطبيعة نهاراً في الفترة الواقعة بين الساعة الثانية عشرة والرابعة مـسـاء، وبعـدهـا تبدأ درجـة الحـرارة للمـاء الآسن بالانخفـاض فيقل نشاطها، وبتكرار وتعاقب درجات الحرارة على الجراثيم تتكون نواتج بشكل غير متوازن في فتـرات النهار داخل الخلية، فإذا تشكلت كمية من مادة (أ) في فترة النشاط المثلى من السـاعة الثانية عشرة إلى الرابعة مساء فإن انتاجها يتوقف بعد ذلك، وتبدأ عمليات الهدم، ومتى وصلت النسـبـة إلى حـدهـا الأول تشـعـر الخليـة بالحاجة إلى بناء جديد، هذا الشعور يتكون بمرور الزمن ولذلك إذا وضعنا هذه الجراثيم في درجـة حـرارة (٣٠) درجـة مـئوية خـلال (٤٨) سـاعـة، نجـد أن نشـاطهـا يزداد في الفـتـرة الواقـعـة بين السـاعـة (١٢) ظهـراً والرابعة مسـاء. وبعدها يحدث تبديل بطيء للتكيف مع الظرف الحراري الجديد، والآلية




**- يعتقد أن آلية ضبط الوقت في الانسان تكمن في دماغه، بالتنسيق المشترك بين الجملة العصبية والغدد الصماء.**
**- مخطط الجملة العصبية في الصرصور يوضح مكان الساعة البيولوجية.**

أعقد مما وصفناه بكثير.

وما يحدث في الجراثيم يحدث في خلايا الأحياء الراقية وفي الإنسان، فالساعة الحيوية تعمل من خلال الاستقلاب، وبتحريض من عوامل خارجية، ويحتفظ الاستقلاب بدوريته لفترة معينة، فيظهر كأن الكائن الحي يمتلك ساعة منبهة، توقت نشاطه مع التواترات في الطبيعة، ومن الأمثلة العجيبة في هذا المجال نذكر ما يحدث للسرطان العازف Fiddlercrab في الليل تفرز الخلايا الصباغية لهذا السرطان مادة بيضاء عاجية، وفي النهار تفرز مادة رمادية قاتمة، واضح أن العامل الخارجي المنبه هو الضوء، وأثناء المدّ والجزر تزداد قتامة المادة الرمادية إذا حدث المدّ في النهار وتزداد المادة البيضاء إذا حدث المد أثناء الليل وهنا يلعب ضغط الماء دوراً خارجياً إضافياً لدور الضوء، فإذا نقل هذا السرطان إلى حوض ماء ثابت، ونقل بعيداً عن موطنه، ووضع في مكان دائم الإنارة أو دائم الظلمة عدة أيام، يستمر تغير لون السرطان بتواتر مع تعاقب الليل والنهار ومع المد والجزر كأنه على شاطيء البحر الذي أخذ منه، وبمرور الزمن يفقد هذه الخاصية.

إن السرطان العازف يستجيب لتواترين دوريين معاً، الليل والنهار والمد والجزر كأن فى جسمه ساعتان إحداهما تنبه بتعاقب الليل والنهار والأخرى لتعاقب المدّ والجزر. كيف يحدث ذلك؟ الجواب في أعماق الخلايا العصبية التي تعمل بنظام دقيق. وأي ظاهرة في الحياة مركبة الأسباب، ولكن نميل إلى ردهاإلى سبب واحد قد يكون أساسياً أو واضحاً، فالحرارة والضغط الجوي والرطوبة وحركة الرياح عوامل مترابطة بالإضافة إلى الاشعاع الشمسي والإشعاع الكوني والمجال المغناطيسي

الأرضي. فهذه العوامل تؤثر في نشاط الخلايا الحية وبالتالي توقيتها.

### ساعات حيوية محيرة:

كيف تحدد الطيور موعد هجرتها وهي لم تقم بها سابقاً؟ وكيف تحدد أسماك الحنكليس موعد هجرتها من نهر النيل إلى بقعة الإنسال في المحيط الأطلسي وهي لم تر أبويها في رحلتهما السابقة؟

إننا أمام لغزين عظيمين هما:

أولا: تحديد موعد البدء بالهجرة في شهر معين من السنة.

ثانيا: البوصلة الحية التي ترشد هذه الكائنات في هجرتها عبر آلاف الكيلومترات ليلا ونهاراً، وفي هذا البحث لن نتطرق إلى أسرار البوصلة الحية أو ما يعرف بحس التوجه عند الأحياء، وإذا شاء الله ستكون لنا وقفة عند أسرار البوصلة الحية في بحث خاص.

### ساعة الإنسان الحيوية:

نشاط الانسان الفيزيولوجي متواقت مع تواترات الطبيعة وبشكل خاص الليل والنهار كسائر الأحياء، ولكن في الإنسان حاسة لتقدير الوقت بشكل غامض، وقد أجريت تجارب على الإنسان نفسه لتقدير الوقت في غياب المنبهات الخارجية وبعيداً عن تواترات الليل والنهار (النور والظلمة).

ففي عام ١٩٦٢م دخل العالم الفرنسي (ميشيل سيفر) في نفق تحت الأرض دون أن يتأثر بتعاقب الليل والنهار، واصطحب معه عدته من الغذاء والماء واللوازم الأخرى وقرر أن يمكث شهرين معتمداً في تقدير الوقت على حواسه، من جوع وعطش ونشاط فيزيولوجي، نوم ويقظة، فكان يسجل مرور كل يوم حسب اعتقاده، وبعد (٤٠) يوماً أخبره زملاؤه كم لبثت في النفق؟ فقال: (٢٥) يوماً، ومازال طعامي يكفيني لأكث من شهر. وفي عام ١٩٦٥م دخل العالم الفرنسي (انطوان سوني) والعالمة (جوزيه لوزير) في أحد الكهوف، وكان كل منهما يسجل عدد الأيام حسب نشاط الجسم الفيزيولوجي ومكثا في الكهف (١٢٢) يوماً ، وجرى اتصال هاتفي بين انطوان سوني وأحد العلماء، فأخبره أن اليوم هو (٢/ نيسان/ ١٩٦٥م). وقد دهش (سوني) إذ كان حسب تقديراته أن يوم المكالمة هو (٦ من شباط ١٩٦٥م). وفي تجربة أخرى عام ١٩٦٧ دخل ثمانية علماء في كهف في جبال بوداي لقضاء شهر كامل دون الاعتماد على التوقيت الخارجي، وبعد انقضاء شهر حسب تقديرهم، خرجوا بعد أربعة أيام من انقضاء الشهر، أي كان تقديرهم للوقت اليومي يعادل (٢٧) ساعة. نلاحظ دور التواجد الاجتماعي في ضبط الوقت إلى حد ما، فالاستقرار النفسي له دور في سلامة حس الوقت عند الإنسان.

وتبرز أهمية الاعتماد على الساعة البيولوجية في رحلات الفضاء البعيدة، حيث لا يصلح النظام الأرضي للتوقيت في سفن الفضاء، كذلك المكوث في أعماق البحار في قمرات أو غرف خاصة لمدد طويلة.

نخلص مما تقدم: لدى الحيوانات والنباتات آليات لضبط الوقت القصير والطويل على إيقاعات تواتر الظواهر الطبيعية، وهي إحدى أسرار الحياة التي لم يعرف عنها إلا القليل، ومهما علم الإنسان فما يجهله أكثر {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}.

# مسك الختام

## كلمات.. للحياة..!

لكي تشعر من حولك بأنك مازلت على قيد الحياة لابد لك من حركة .. من همسه .. من صوت مسموع .. من صرخة مدوية تحفر أركان المكان من حولك اذا كان كل الذين من حولك نيام.

هناك معادلة منطقية لابد وأن يحكمها التوازن العادل بين مصلحة المبادىء.. ومبادىء المصلحة.. أي أنه لكي يتم العطاء من جانب.. لابد وأن يتم الأخذ من الجانب الآخر .. وإلا تحول الأمر في التعامل الى ابتزاز.. وغبن مرفوض أيا كان ورق السلفان المغلف به.. وأيا جاءت القناعات!! المُقَنَّعة.

ونحن هنا ندرك أن للآخرين مصالح لدينا يجب أن نُسلِّم بها.. لأن العالم مصالح .. إلا اننا نؤمن أيضا وقبل أي شيء وقبل كل شيء أن لنا مصالح على أرضنا لها درجة الأفضلية، والأسبقية على مصالح الغير.. وما لم تحترم مصالحنا السيادية، والسياسية.. فإن مصالح الآخرين لدينا تفتقد عذريتها.. شرعيتها.. ومصداقيتها.

إن مصالح تقوم على مفهوم الأخذ وحده دون عطاء .. دون توازن بينهما يعمق الثوابت المصلحية بين الطرفين تتهاوى دون شك بفقدان الأرضية الصالحة لاستقرارها واستمرارها.

من حقنا أن نرعى مصالح الآخرين.. ولكن في حدود أن تظل مصالحنا لديهم على قدم المساواة في التعامل .. شريطة أن يؤخذ في الحسبان أولويات أهدافنا القومية.. من غير ابتزاز مصلحي.. ولا انحياز لعدو محتل ما برحت آلته الجهنمية وشهيته الشيطانية تحصد الأرواح البريئة من أهلنا دون رادع.

لن تظل مصالح ثابتة من جانب واحد فقط.. ثوابت التاريخ أكدت هذا .. ولا شيء آخر.

نعم .. أخطأ وأخطأ صدام حسين في حق الشقيقة الجارة «الكويت» وفي حق وطنه «العراق». وفي حق أمته العربية التي أصابها بسبب نزقه الجنوني الصداع والتمزق.. ولكن .. ما ذنب شعب العراق المغلوب على أمره.. والذي يتضور جوعا.. ويموت الآلاف من اطفاله وقد افتقدوا الدواء.. والغذاء تحت طائلة الحصار الظالم.

{ولا تَزر وازرة وِزْرَ أُخْرى} صدق الله العظيم.

«اسرائيل» لها نفس الأخطاء .. نفس العدوان المتكرر.. احتلت أراضي الغير.. أذلت.. ومع هذا لم تحاصر .. بل تُناصر..!

ليس من مصلحة هذا العالم المغلوب على أمره.. والذي لا يملك دفعاً ولا دفاعاً عن نفسه أن تتفرد به قوة عظمى واحدة.

إن المصلحة تتأتى في قيام توازن استراتيجي.. بين قوتين عظميين أو أكثر.. تضع حداً للاستفراد.. وشهية الاستبداد.. أو على الأقل تحد من شراسته بعامل الحذر من رد فعل قوي مواز لقوته.. إن الميزان يظل فاقداً عدله واعتداله ما لم يتوفر

سعد البواردي

له كفان متساويان على أرضية التعامل.. هكذا أتصور.

***

* من اختار المذلة أهدى له الإنكسار.. بهذا المعنى عبر ونستون تشرشل ضمن خطابه الرائع في مجلس العموم البريطاني عام ١٩٣٨ إبان وقع الهزيمة.. قائلا بالحرف الواحد:

- لقد خيِّرت انجلترا بين الحرب والعار.. وقد اختارت العار وكوفئت بالحرب.

- هل كان يؤذن في مالطه .. أم أنه يهدي مقولته لكل المؤذنين في مالطه؟!

* البعض مخه أشبه بالأسفنجة لا يمتص الا ما يستهويه.. تلك هي طبيعة بعض رجال الفن والفكر والسياسة.

* الميثاق الوطني الفلسطيني الذي تم تعديله قوبل بالترحيب الحار من اسرائيل واصدقائها الى درجة النار.. مبروك لو ان هؤلاء جميعاً ردوا للسلطة الفلسطينية جميلها واعترفوا بقيام دولة فلسطين المستقلة على ترابها الوطني منذ عام ١٩٦٧. وإلا «فلا مبروك ولا يحزنون».

* كيف لمخلوق أن يأمن جانب من حادّ خالقه.. وحرَّف رسالته .. وجادل رسوله .. ونكث عهده .. وتنكر عبر تاريخه لأبسط قواعد القيم الانسانية؟!!

أمر يصعب قبوله.. أو تصديقه .. ومع هذا نعلل انفسنا بكلمة «لعلَّ» و«عسى» و«ليت» وهل تنفع شيء «ليت».

* محطة (M.P.C) التلفزيونية تستحق من كل مشاهديها التهنئة وهي تغطي أحداث العالم من حولنا.. وبالذات قضايا الساعة التي تطال مستقبلنا.. والأخطار المحدقة من حولنا.. والبعيدة عنا.. انها نافذة حية مفتوحة تطل على مجتمعنا العربي والإسلامي عبر مساحته الشاسعة الواسعة.. تخاطبه من خلال تغطية تلفزيونية كانت مفقودة الى وقت قريب.. حكراً على قنوات مشبوهة موسومة بالتحيز أصدق ما يقال عنها انها تعبر عن وجهة نظر غير محايدة.. بل اكاد أقول معادية لتوجهات المسلمين وقضاياهم.. في ساحة الأقمار الصناعية معركة حامية الوطيس ومؤثرة اسمها البث الإعلامي المشاهد عبر الأقمار الصناعية.. ذلك البث الإعلامي المتداخل من خلال ما يصوغه ويقدمه من مادة تشكل وجدان المتلقي.. وتفجر في كرامته بؤرة القبول والرفض والتحدي.

من هنا فإننا نطلب المزيد والمزيد من كل قنواتنا الفضائية العربية كي تكسب ونكسب معها الرهان في معركة حرب الإعلام الخارجي.. وفي عصر ثورة المعلومات.. فلم يعد الصوت المحدود المساحة من مكان في الساحة.. ولم يعد للصوت المبحوح.. أو الخافت من صدى.

العالم كله بكل قنواته.. وكل قواته يتسابق من أجل كسب المزيد من السبق.. وحصاننا العربي تميز بالسبق.. ولا أقل من أن يكون انساننا العربي على قدم المساواة مع غيره.. المكسب الوحيد الذي نريده ان لا نكون على الهامش في زمن اختلطت فيه الأوراق.. واختفت فيه الحقائق المجردة خلف ضبابية الرؤية عن قصد وعن عمد.

# بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك

صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل ومنسوبوها يتشرفون

برفع أسمى آيات التهاني وأجمل عبارات الأماني إلى مقام

**خادم الحرمين الشريفين**

# الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

**وصاحب السمو الملكي**

# الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

**وليّ العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني**

**وصاحب السمو الملكي**

# الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

**النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام**

وبهذه المناسبة العزيزة نبتهل الى المولى سبحانه أن يحفظ لبلادنا الغالية دينها وعزها وأمنها في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين ورعاية حكومته الرشيدة وأن تعود هذه الذكرى العاطرة عاما بعد عام وبلادنا في تقدم وازدهار.




# دعوة إلى جميع الأطفال بالمملكة

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية الثامنة عشرة لرسوم الأطفال إسهاماً منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى البنين والبنات في المملكة العربية السعودية .

## ملاحظة هامة:

يرجى من جميع الأطفال الراغبين في الإشتراك في المسابقة ومن أولياء أمورهم ومدرسيهم أن يقراوا شروط المسابقة بعناية، وأن يتبعوها بدقة، حتى لا تستبعد الرسوم المخالفة لشروط المسابقة .

## شروط المسابقة:

١- يحق لكل طفل مقيم في المملكة ولا يقل عمره عن خمس سنوات ولا يزيد على أربع عشرة سنة أن يشارك في المسابقة .

٢- للطفل مطلق الحرية في اختيار موضوع الرسم .

٣- يتقدم كل طفل للمسابقة برسم واحد فقط ، على أن يكون الرسم من عمله هو دون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين أو غيرهم .

٤- يجب أن يكون الرسم عملاً أصلياً غير منسوخ أو مشارك به في مسابقة أخرى .

٥- يجب أن يكون العمل المقدم رسماً أو ما يشبه الرسم كأن ينفذ من أوراق القص أو اللصق الملونة، أو قطع للقماش، أو ما شابه ذلك ، وتستبعد الأعمال المجسمة من مواد بارزة كقطع الخشب ، أو قطع البلاستيك، أو الفخار ، أو ما شابهها، ويمكن للطفل أن يستخدم أي نوع من الألوان أو الأحبار أو ما يراه مناسباً لرسمه .

٦- يجب أن يكون الرسم نفسه خالياً تماماً من أية دلالة على اسم الطفل أو مدرسته .

٧- يجب أن يكون مقاس الرسم ٣٥ سم X ٥٠ سم ، وللطفل الحق في الاستفادة من هذه المساحة أفقياً أو عمودياً .

٨- يجب تنفيذ الرسم على الورق المقوى ، أو تثبيته على لوح من الورق العادي أو القماش .

٩- يجب أن يكون الرسم مرتباً ونظيفاً .

١٠- يجب تثبيت القسيمة المرفقة بهذا الإعلان، أو صورة منها ، علي ظهر الرسم، كما يجب ملء جميع البيانات المطلوبة فيها بدقة ووضوح .

١١- عند إرسال الرسومات يجب على مرسليها وضعها في ظروف أو مغلفات متينة تحميها من التلف أثناء نقلها بالبريد .

١٢- تصبح جميع الرسومات المشارك بها في المسابقة ( الفائزة وغير الفائزة) ملكاً لأرامكو السعودية وتبقى في حيازة إدارة العلاقات العامة ، التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسب ما تراه مناسباً .

١٣- تشكل إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لجنة تحكيم من ذوي الخبرة والمعرفة في الفنون لاختيار الفائزين في المسابقة ، ويعد قرار هذه اللجنة نهائياً .

١٤- آخر موعد لاستلام الرسومات هو يوم الأربعاء ٣ ذو القعدة ١٤١٧ هـ ، الموافق ١٢ مارس ١٩٩٧م ، ولن يدخل المسابقة أي رسم يصل بعد هذا التاريخ ما لم يتم التأكد من أن سبب التأخير هو البريد ، وذلك عن طريق ختم البريد على الظرف .

١٥- ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي:

**مسابقة رسوم الأطفال الثامنة عشرة**
**إدارة العلاقات العامة - الغرفة رقم ٢٢٣٨ - مبنى الإدارة الشرقي**
**أرامكو السعودية - الظهران ٣١٣١١**

خَصّصت الشركة للفائزين في هذه المسابقة مائة وخمسين جائزة قسمت إلى الفئات التالية :

## الجوائز

**خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٥ و ٨ سنوات**

**خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١١ سنة**

**خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٤ سنة**

**يمكن توجيه الاستفسار عن المسابقة إلى قسم الخدمات المساندة بإدارة العلاقات العامة على الهاتف رقم ٨٧٤٤٤٢١ و ٨٧٣٤٢٠٣ مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق .**

(PRS-10-96)

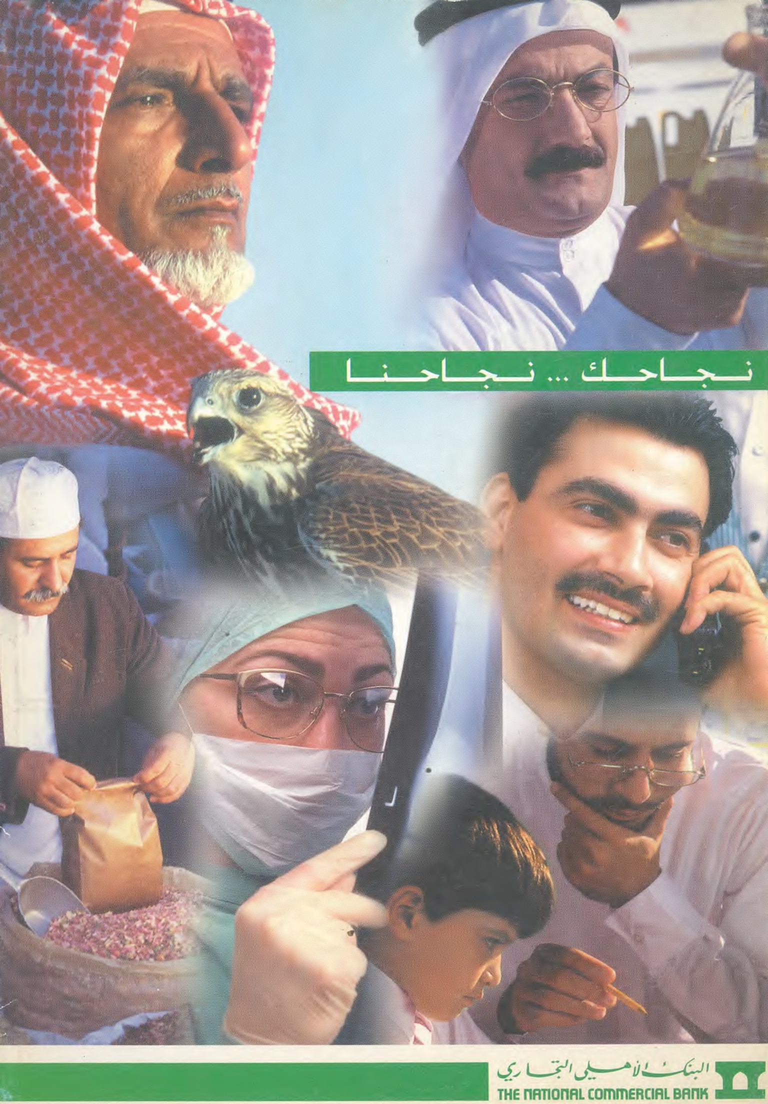
**يجب ملء هاتين القسيمتين أو صورتيهما وتثبيت إحداهما على ظهر الرسم المشارك به وإرفاق الأخرى منفصلة مع الرسم.**

مسابقة أرامكوالسعودية الثامنة عشرة لرسوم الأطفال

اسم الطفل كاملاً : ..........................
تاريخ الميلاد: .................. عمره: ..........
الصف الدراسي: ..........................
اسم المدرسة: ..........................
عنوان المدرسة أو العنوان اسخصي كاملاً: ..........................
ص ب: ..........................
المدينة: .............. الرمز البريدي: ..........
الموقع: ..........................
الشارع: ..........................
الهاتف: ..........................
الفاكس: ..........................
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ: ..........................
موضوع أو عنوان الرسم المشارك به: ..........................
التاريخ: ..........................

مسابقة أرامكوالسعودية الثامنة عشرة لرسوم الأطفال

اسم الطفل كاملاً : ..........................
تاريخ الميلاد: .................. عمره: ..........
الصف الدراسي: ..........................
اسم المدرسة: ..........................
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً: ..........................
ص ب: ..........................
المدينة: .............. الرمز البريدي: ..........
الموقع: ..........................
الشارع: ..........................
الهاتف: ..........................
الفاكس: ..........................
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ: ..........................
موضوع أو عنوان الرسم المشارك به: ..........................
التاريخ: ..........................


نجاحك ... نجاحنا
البنك الأهلي التجاري
THE NATIONAL COMMERCIAL BANK